شرح
دِيوان المُتنبّي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وقد امتازت هذه الطبعة بالدقة والبسط والاستيعاب، بحيث تلاقت في هذا الشرح جميع شروح المتنبي وشرحت فيه الشواهد والنظائر وما إليها وصار بذلك مغنياً عن جميع الشروح

الجزء الثاني

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان



وقال يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، أنشده إياها فى ميدانه بحلب وهما على فرسيهما :

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا
وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فى الْعِدَا[1]

وَأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ
وَيُمْسِى بِمَا تَنْوِى أَعَادِيهِ أَسْعَدَا[2]

وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ
وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى[3]

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً
رَأَى سَيْفَهُ فى كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا[4]

---

(١) يقول : كل امرئ يعمل بعادته ، وما تعوده وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة هذا الممدوح أن يغزو أعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمحه . جعله سيفا ووصفه بالطعن ، فكأنه جعله سيفا ورمحا .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطعن — فى البيت السابق — ويمسى : عطف على يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التى يكون معها اضطراب فى الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عداته عنه بضد إرجافهم ؛ فهم يرجفون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وفلجه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم ، إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان . ويروى بدل «تنوى» تحوى : أى أنه أملك لما فى أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواه .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مريد . يقول : ورب عدو أراد أن يضره فضر نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمة له ، فكأنه أهدى إليه هدية وضل بذلك عن القصد . فقوله أهدى : من الهدية ، وما هدى : من الهداية . وعبارة العكبرى : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أى قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأضله بقصده له ، فصار مهديا إليه — من الهدية — لأنه يغنم الجيش فيكون غنيمة له ، فيكون الهادى مضلا ومهديا إليه ليغنمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف فى يده فآمن وأتى بكلمة الشهادة : إما خوفا منه ، وإما ظنا بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه .



هُوَ الْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا عَلَى الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا(١)
فَإِنِّى رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى وَهٰذَا الَّذِى يَأْتِى الْفَتَى مُتَعَمِّدَا(٢)
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا(٣)
وَتُحْيِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا(٤)

---

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالما ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضبا عرض نفسه للتهلكة ، مثله فى ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والغوص على مافيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبارة الخطيب التبريزى : لا تأته وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نكبه . يقول : إن البحر يعثر براكبه — أى يهلكه — عن غير قصد وعمد ، أما الممدوح فإنه يهلك أعداءه متعمدا . وهذا المعنى قريب من قوله فى إحدى قوافيه السابقة :

وَيَخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا

وقال ابن جنى : المعنى : ليس إغناء البحر من يغنيه عن قصد ، وهذا يغنى من يغنيه عن تعمد . قال : ويعثر : قد يأتى فى الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أصابه بنكبة . ومعنى يعثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشىء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يغرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عثرة البحر بالفتى على إغنائه .

(٣) يقول : من تمرد عليه وفارقه من الملوك هلك ، ومن سالمه منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا — مقصورا — العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إذا ما أغارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ
أغارَتْ عليه فاحتوتْهُ الصنائعُ



ذَكِىٌّ تَظَنِّيـــهِ طَلِيعَـــةُ عَيْنِهِ ... يَرَى قَلْبُهُ فِى يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا(١)
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ... فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأَوْرَدَا(٢)
لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْـــتُقِ يَوْمَهُ ... مَمَاتًا وَسَمَّاهُ الدُّمُسْـــتُقُ مَوْلِدَا(٣)
سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ... ثَلَاثًا لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا(٤)

---

(١) التظنى : أصله التظنن ، قبلت النون الثانية ياء ، ومعناه الظن ، وطليعة الجيش الربيئة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير — فى قوله ماترى غدا — للعين . يقول : إنه من الذكاء والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشىء قبل أن تراه عينه ، كالطليعة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه فى يومه بظنه ماتراه عينه غدا . وهذا من قول أوس بن حجر :

الأَلْمَعِىُّ الَّذِى يَظُنُّ بِكَ الظَّـــنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وعبارة ابن جنى : هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئا رآه بعينه لا محالة

(٢) يقول : إنه يصل بخيله إلى الغايات البعيدة التى يتعذر الوصول إليها حتى لو كان قرن الشمس — وهو أول مايبدو منها عند طلوعها — ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة وإقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لذلك : أى لأجل ماقلته فى البيت السابق ، ويومه : أى اليوم الذى أسر فيه ، والضمير فى سماه : إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من الشجاعة والإقدام وما إليهما لم ينثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمى الابن ذلك اليوم مماتا ، لأنه وقد أسر يئس فيه من الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولدا لأنه نجا فيه من أظفار المنية فصار كيوم ولدته أمه . والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتا للابن حياة للأب .

(٤) جيحان : نهر ببلاد الروم ؛ وآمد : بلد بالثغور . يقول : بلغت جيحان من آمد فى ثلاث ليال — وهى مسافة بعيدة لا تقطع فى مثل هذه المدة — وبذلك أدناك الركض من جيحان — على بعده من محل قيامك — وأبعدك عن آمد — على قرب عهدك بمغادرتها — وعبارة ابن جنى : أدناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال الواحدى ناقدا : وهذا — أى كلام ابن جنى — لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثا من أرض آمد ، وهذه مسافة



فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ ... جَمِيعاً وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا(١)
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ ... وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا(٢)
وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ غَيْرَهُ ... وَلٰكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا(٣)
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً ... وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلاَصَ الْمُسَرَّدَا(٤)
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً ... وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا(٥)
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرُّ وَجْهَهُ ... جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا(٦)

لا يقطعها أحد يسير فى ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد فى ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى فى يدك ؛ ولم يك ذلك إعطاء منه يبتغى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؛ والطرف العين . وقوله: منك تجريد يقول: لما رآك كنت قيد عينه لعظمك فى نفسه فشغلتها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار فى حكم الميت فى تخاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدمستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانتهز الدمستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويجتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص: الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرد : المنظوم المنسوج بعضه فى بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا فى طرفها زج ، يقول : وصار يمشى فى دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الخيل السراع — لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الخيل — بعد أن يئس ونال منه الهم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكر ، عطف القرن على قرنه فى الحرب : والنقع : غبار الحوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كر الفرسان — فى الطعن والضرب —



فَلَوْ كَانَ يُنْجِى مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ تَرَهَّبَتِ الأَمْلاَكُ مَثْنَى وَمَوْحِـدَا[1]
وَكُلُّ امْرِىءٍ فى الشَّرْقِ وَالْغَـــرْبِ بَعْدَهَا
يُعِـــدُّ لَهُ ثَوْبًا مِنَ الشَّـــعْرِ أَسْوَدَا[2]
هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِى أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَا[3]

وجهه جريحا ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحدا واحدا . « هذا » وقوله وموحداً ـ بفتح الحاء ـ هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أى بعد فعلة الدمستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجى من على ترهب لـكان كل امرىء من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سمى : أى ذكر اسم الله ، يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : ليهنك العيد الذى أنت عيده : أى تحل فيه محل العيد فى القلوب ـ إذ أن العيد ممـا يبتهج به الناس ، فـكذلك هذا العيد يبتهج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزنا وأنت مراده

ثم قال :

وأنت عيد لمن سمى وضحى وعيّد

أى أنت عيد لـكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هنيئاً لك ، فحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفعت العيد كما يرفعه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هنيئا عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هنيئاً ـ وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هنأك هنيئا ، وربما وضعوا اسم الفاعل فى هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهى ترقص ابناً لها :

قُمْ قائمًا قُمْ قائمًا لقيتَ عبداً نائما
وَعُشَراء رائمـا وأمَـــة مُراغِمًا



وَلاَ زَالَتِ الأعْيادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ تُسَلِّمُ مَخْرُوقاً وَتُعْطَى مُجَدَّدَا[١]
فَذَا الْيَوْمُ فى الأيَّامِ مِثْلُكَ فى الْوَرَى
كمَا كُنْتَ فِيهِمْ أوْحَداً كَانَ أوْحَدَ[٢]

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وعبد مراغم مضطرب على مواليه . تريد: قم قياما]

(١) اللبس : ما يلبس ، استعارة للأعياد ، فأجراها مجرى الملبوسات . يقول : لا زلت تلبس الأعياد المتكررة عليك في الدهر ، فإذا مضى عيد أتاك عيد بعده جديد ، فصار الماضى خلقا والقادم جديداً . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهرى : إنما جمع أعياد بالياء للزومها فى الواحد . وقيل للفرق بين أعواد الخشب وبينه ؛ وسمى العيد عيداً لانه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسلمون : شهدوا عيدهم ، والعيد ؛ مااعتادك من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حُبِّها عِيد

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أمْسَى بأسماء هذا القلبُ مَعْمُودا إذا أقولُ صحاً يعتادُهُ عِيدا[١]
كأنني يَوْمَ أمْسِي ما تُكلِّمُنِي ذو بُغية يَبْتَغِي ماليْسَ مَوجودا
كأنَّ أحْوَرَ مِنْ غِزْلانِ ذى بَقرٍ أهْدَى لنَا شَبَهَ العينينِ والجِيدا

(٢) وبديع قول أبى تمام فى هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنهُمْ عن غَطارِفةٍ كأنَّ أيَّامَهُم مِن حُسنِها جُمَعُ

قال ابن جنى فى شرحه هذا البيت ـ بيت المتنبى ـ : فى البيت نظر ، وهو أنه خص العيد وحده ـ دون الأيام ـ بما ذكر من الشرف وكان ينبغى أن تكون أيامه كلها كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران : أحدهما ـ وهو الأظهر ـ اشتماله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزية على غيره مما ليس بعيد . قال العكبرى بعد أن أورد كلام ابن جنى . هذا : ويجوز أن يقال

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً فى موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففى قوله يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا   وحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا[1]
فَيَاعَجَباً مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ   أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَىْ مَا تَقَلَّدَا[2]

إنما جعله فى الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير فى قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكملت لكم دينكم » لا تخذناه عيداً ، فقال عمر . إنى لأعلم أى يوم نزلت وفى أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص المتنبى هذا اليوم بالشرف فى الأيام كشرفه ــ أى الممدوح ــ فى الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى فى المتساويين ، مثل العين والعين واليوم واليوم : فترى العينين تتفاضلان فتصح إحداهما وتسقم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء شمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام فى الصورة ، ولكن الجد مازه من سائر الايام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

وإذا تأمَّلْتَ البلادَ رأيتها   تثرِى كما تثرى الرجالُ وتُعْدِمُ
حظ تَعاوَرَهُ البقـاع لوقته   وَادٍ به صِفْرٌ وآخرُ مُفْعَمُ

[ثرا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حداه ، يقول : أما يخشى الخليفة ــ وقد تقلدك سيفاً له ــ أن تكون سيفا عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما فى هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت فروى دائل ــ بالدال المهملة ــ من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالذال المعجمة ، وهو الرجل المتقلد سيفه المتبختر فى مشيته . والذائل : السيف الطويل أيضا ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذيال الذنب . والذائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ   وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كلَّ قَضَّاءَذائِلِ[1]

---

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت : والنثلة : الدرع السابغة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ بَازاً لِصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيما تَصَيَّدَا[١]

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازا يصيد به أتى عليه الأسد فصاده وقد ضرب هذا مثلا للمعنى السابق . يعني أنك فوق من تضاف إليه . وفى هذا المعنى يقول دعبل :

فكان كالكلبِ ضَرَّاهُ مُكَلِّبُهُ لِصَيْدِهِ فغدا يصطاد كلابه

ومن هذا الباب البيت المشهور :

أُعَلِّمُهُ الرماية كل يوْم فلَمَّا استدَّ ساعِدُهُ رَمانى[٢]

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جنى : يصيره الضرغام . قال ابن جنى : قلت له – أى للمتنبي – جعلت من شرطا صريحا ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لاتركب الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء – فى يصيره – ثم حذفتها . . . والذى قاله جائز ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه: يصير الضرغام من يجعله بازا فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يا أقرعُ بنَ حابس يا أقرعُ إنك إن يُصرَعْ أخوك تصرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جنى ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبي : أردت الفاء ثم حذفتها ، فجائز حسن قد جاء فى الكلام الفصيح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع – أحد ملوك اليمن – وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .

(٢) استد : استقام . قال الأصمعى : اشتد – بالشين المعجمة – ليس بشيء ؛ قال ابن برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فلا ظَفِرَتْ يمينكَ حينَ تَرْمِي وشَلَّتْ مِنكَ حامِلَةُ البنــــان



رَأَيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ فى مَحْضِ قُدْرَةٍ   وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الحِلْمُ مِنْكَ المُهَنَّدَا(١)
وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُ   وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الَّذِى يَحْفَظُ اليَدَا(٢)
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا(٣)
وَوَضْعُ النَّدَى فى مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلاَ
مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فى مَوْضِعِ النَّدَى(٤)
وَلكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْياً وَحِكْمَةً   كَمَا فُقْتَهُمْ حَالاً وَنَفْساً وَمَحْتِدَا(٥)

فقلت يارسول الله : إن لى مالا وليس لى من يرثنى إلا ابنة لى فأتصدق بنصف مالى ؟ قال : لا ، فقلت : فالثلث ؟ قال: الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس * التقدير : فهو خير ، لحذف الفاء .

(١) المهند : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم فى قدرة خالصة لايشوبها عجز ولا تقصير ، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد اللئيم ؛ والكاف — من قوله كالعفو — اسم بمنزلة مثل فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ : يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح عن حر استرقه بهذا الصفح . فيذل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غلَّ يداً مُطلقها   واسترق رقبة مُعتقها

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حق قدره ، فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا وجرأة عليك .

(٤) بالعلى : متعلق بمضر . يقول : ينبغى أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق ، فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن فعل هذا أضر بعلاه وهدم أركان دولته .

(٥) المحتد : الأصل ؛ والمنصوبات — فى البيت — تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا[1]

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد فى الرأى والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفس — إذ كنت أعلاهم همة — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهى تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفى منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه ، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الأبيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الابيات التى تقدمت ، فسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ماخفى وقال آخرون : إن المقتدين بسيف الدولة فى المكارم ، يأخذون ويتركون ما خفى . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالافكار، ولقال : يدق على الكرام . وقال ابن جنى : هذا البيت مثل قول عمار الكلابى :

ما كلُّ قولِىَ مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعــرفوا فدَعُوا

قال ابن فورجه : عمار الكلابى محدث لحنة ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوى أمى لحانة ، وهذا البيت من أبيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومِنْ قياس نحوهِمِ هذا الذى ابتدعُوا
إن قلتُ قافيةً بِكراً يكونُ لها مَعْنًى خلاف الذى قاسُوهُ أَوْ ذَرَعُوا
قالوا لحنْتَ وهــذا ليس مُنتصباً وذاكَ خفضٌ وهــذا ليسَ يرتفعُ
وحَرَّضُوا بين عبدِ اللهِ من حُمُقٍ و بين زيدٍ فطالَ الضربُ والوَجَعُ
فقلتُ واحــــدة فيها جَوابهمُ وكثرةُ القولِ بالإيجــاز تنقطعُ
ما كل قولِىَ مشروحاً لكم فخذوا ماتعرفُونَ وما لم تعرفُوا فدعُوا
حتى يصيرَ إلى القوْمِ الذين غُذوا بمـــا غُذيْتُ بهِ والقولُ يجتمعُ
فيعرفوا منـــه معنى ماأفُوهُ بهِ حتى كأنى وهم فى لفظهِ شَرَعُ
كم بينَ قومٍ قدِ احتالوا لمنطقِهِم و بينَ قومٍ على إعرابهِم طُبِعُوا

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا[١]
إِذَا شَدَّ زَنْدِى حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمِ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدَا[٢]
وَمَا أَنَا إِلاَّ سَمْهَرِىٌّ حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا[٣]

وبينَ قومٍ رأوا شيئاً مُعاينة وبينَ قومٍ حكوا بعضَ الذى سَمِعوا
إنى غُذِيتُ بأرض لاتشَبُّ بها نارُ المجُوس ولا تُبْنَى بها البيعُ

فقد نقله أبو الطيب إلى المدح ، وأقام دقة صنيعه فى اقتناء المكارم مقام دقة معنى الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت .

(١) الكبت : الإذلال . يقول : أنت الذى غمرتنى بنعمك حتى صرت محسدا ونجم لى حساد يحسدوننى ويقصدوننى بالسوء فاكفنى شرهم بإذلالهم ورد كيدهم فى نحورهم ، وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثانى من قول أبى الجويرية العبدى :

فما زِلْتَ تُعْطِينى ومالىَ حاسد مِنَ الناسِ حتى صِرْتُ أُرْجَى وأُحْسَدُ

وقال بعده أبو نواس :

دَعَنِى أُكَثِّرْ حاسِدِىّ بِرِحْلَةٍ إلى بلدٍ فيه الخَصِيبُ أَمِيرُ

وقال البحترى :

وأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى التى غيرَتْ أخِى عَلَىَّ فأَضْحَى نَازِحَ الوُدِّ أجْنبا

(٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهام : الرءوس . يقول : إذا قوى ساعدى حسن رأيك فيهم بأن آنست منك إعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ ذاك بسيفى وهو فى غمده لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : فى يدى ، وبدل بسيف . بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأى فى ، فما أبالى بالحساد ، والقليل من إنكارك عليهم يكفينى ؛ وهذا من قول أبى تمام :

يَسُوءُ الذى يسطو به وهو مُغْمَدٌ ويَفْضَح من يسطو به غَيْرَ مغمد

(٣) السمهرى : الرمح . ومعروضا . أى محمولا بالعرض ، وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن : ومسددا : موجها إلى المطعون . يقول : أنا زين لك فى السلم . أمدحك وأشيد بذكرك ، وشجى لاينتزع فى حلوق أعدائك ، أذود عنك وأنافح بلسانى وأكيد

وَمَا الدَّهْــرُ إلاَّ مِــنْ رُوَاةِ قَلاَئِدِى
إذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْــبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً(١)

فَسَارَ بِهِ مَنْ لاَ يَســيرُ مُشَمِّرَا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَــنِّى مُغَرِّدَا(٢)

أَجِزْنى إذَا أُنْشِــدْتَ شِعْراً فَإِنَّما بِشِعْرِى أَتَاكَ المَادِحُــونَ مُرَدَّدَا(٣)

أعداءك بقوارع لسانى. فأنا لك كالرمح: إن حملته بالعرض كان زينا لك، وإن حملته مسدداً راع أعداءك.

(١) جعل شعره فى حسنه كالقلائد التى يتقلد بها، يقول: إن الدهر من رواة شعرى لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه فى كل وقت، فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعرى، ويروى بدل قلائدى: قصائدى.

(٢) يقول: إن شعرى ينشط الكسلان إذا سمعه، فيسير على سماع شعرى مجداً مشيحا، وإذا سمعه من لا يغنى استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً، والمراد أن شعره سار فى الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر. والتغريد: رفع الصوت للتطريب. أو تقول: إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته، فسيره فى الآفاق من لا يريم مكانه، وغنى به من لاعادة له بالغناء لشدة طربه به واهتزازه.

(٣) يقول: إذا أنشدك شاعر شعراً فاجعل جائزته لى، لأن الذى أنشدت إنما هو شعرى أتاك به المادحون يرددونه عليك. يعنى أنهم يسلخون معانى أشعارى فيك، ويأخذون ألفاظى فيأتون بها إليك. كما قال بشار:

إذا أنشَدَ حَمادٌ فقل أَحْسَنَ بشارُ

وقال أبو هفان:

إذا أنشدَكم شِعراً فقُولوا أَحْسَنَ الناسُ

وقال أبو تمام فى غير هذا المعنى:

فَمَهْما تكن مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لا تكنْ سِوَى حَسَــنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

هذا: والجائزة العطية، ويقال أصل الجوائز: أن قطن بن عبد عوف من بنى هلال ابن عامر بن صعصعة ولى فارس لعبد الله بن عامر، فمر به الأحنف فى جيشه غازيا إلى خراسان فوقف لهم على قنطرة. فقال أجيزوهم، فجعل ينسب الرجل، فيعطيه على قدر حسبه. قال الشاعر:



وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنَّنِي
أَنَا الصَّائِحُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصَّدَى[١]

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا[٢]

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا[٣]

إِذَا سَأَلَ الإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الغِنَى وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا[٤]

فِدًى للأَكْرَمِينَ بَنِي هِلالٍ عَلَى عِلاَّتِهِمْ أَهلى ومالى
هُمُ سَنُّوا الجوائزَ فى مَعَدٍّ فصارتْ سُنَّةً أُخْرَى الليالى

وقال بعض أهل اللغة : أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر ، فقال : من جاز هذا النهر فله كذا ، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة ، وقيل : إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها ؛ من قولك : هذا يجوز وهذا يمتنع .

(١) الصدى : الصوت الذى يجيبك من الجبل وغيره ، كأنه يحكى قولك وصياحك ، وهذامثل . يقول : لاتحفل بشعر غيرشعرى ، فإن شعرىهوالأصل ، وغيرى كالصدىله.

(٢) السرى : سير الليل ؛ والعسجد : الذهب. يقول : لقد أثريت بما توالى على من نعمائك ، حتى لو شئت لاتخذت لخيلى نعال الذهب ؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيرى من المعوزين المقترين ، ليسيروا إليك كما سرت ، ويحظوا كما حظيت .

(٣) فى ذراك : فى كنفك . يقول : إنما أقمت عندك حبا لك ، لأنك قيدتنى بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام :

وَتَرْكى سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتباطاً يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ الوِرُودِ

وقال أيضا :

هِمَمِى مُعلَّقةٌ عليكَ رِقابُها مغلولة ـ إن الوفاء إسارُها

(٤) يقول : إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه ؛ وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك ، وعبارة الواحدى : الدهر يحيل عليك ، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك ، ومن هذا قول أبى تمام :

شكوْتُ إلى الزمان نُحُولَ حالى فأرْشدَنى إلى عبدِ الحميدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارَقْتُـكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمُ ... قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذًى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ[١]

إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ[٢]

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذى ، مبتدأ وخبره : يد — فى آخر البيت — وأذى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذى كنت أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبارة ابن جنى — ونقلها الواحدى — : الأذى بعثنى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً للفرقة . ثم قال المتنبى : إذا تذكرت الحال التى كانت بيننا فتشوقت إليكم ذكرت ذلك الجفاء فأعان قلبى على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جنى والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول : ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحسانا إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما قال الآخر :

عَتبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا هجرْتُهُ ... وَجرَّبْتُ أَقْوَامًا بكيْتُ عَلَى سَلْمِ

ثم قال : إذا تذكرت ما بينى وبينكم من صفاء المودة أعانى ذلك على مقاومة الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .



وقال فى صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوى المشطب :

أَهْلاً بِدارٍ سَباكَ أَغْيَدُها ... أَبْعَدُ ما بانَ عَنْكَ خُرَّدُها(١)

ظَلْتَ بِهَا تَنطَوِى عَلَى كَبِدٍ ... نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا(٢)

---

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : الناعم المتثنى لينا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمسس ، أو الحيية . لما دعا للدار — التى سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شىء فارقك جوارى هذه الدار الناعمات الأبكار ؛ فقوله : أهلا ، منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا بتلك الدار : أى جعلها عامرة بالأهل ، وهو فى الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير :

سَقَى الرملَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌّ رَبابُهُ ... وما ذاكَ إلا حُبُّ مَنْ حَلَّ بالرملِ(١)

« أى من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — على أنه استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم تزودك عند رحيلها زاداً تدعو لها ، وروى أبعد — بالنصب — على أنه حال من الأغيد ، والعامل فى الحال : سباك . يريد سباك أبعد ما بان عنك : أى أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهى التى أثبتناها فى هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظللت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفا ؛ وخلب الكبد : غشاؤها ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لكبد . وقال العكبرى يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة جاريتها ، ثم قال : وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشىء باسم غيره إذا طالت صحبته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة(٢) وإذا جاز تسميته باسم ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظللت بتلك الدار تنثنى على كبدك التى أنضجتها حرارة الوجد واضعا يدك فوقها ، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد فى كبده من حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسى :

---

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرباب . ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .

(٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلقى بأفنية الدار





يَا حَادِيَ عِيرِهَا وَأَحْسَبُنِي أُوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا(١)

وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثني عَلَى كَبِدِي مِنْ خشيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا(١)

وقال الآخر :

لما رأَوْهُمْ لم يُحَسُّوا مُدْرِكاً وَضَعُوا أناملَهُمْ على الأكبادِ

(١) العير : الإبل التى تحمل عليها الميرة ، ويروى عيسها : وهى كرام الإبل ،وقوله قبيل أفقدها : أراد قبيل أن أفقدها ، فلما حذف أن : عاد الفعل إلى الرفع كبيت الكتاب — كتاب سيبويه — :

* ألاَ أيُّهذَ اللائمي أحضُرَ الوَغَى(٢) *

---

(١) للصمة بن عبد الله القشيرى من أبيات جميلة أولها :

حَنَنْتَ إلى رَيّا ونَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزارَكَ مِنْ رَيّا وَشَعْبا كما مَعَا

فما حَسَنٌ أنْ تأتِيَ الأمرَ طائعاً وتَجزَعَ أنْ دَاعِي الصَّبابَةِ أسمَعا

قفا وَدّعَا نَجداً وَمنْ حَلّ بالحِمَى وقَلّ لِنَجْدٍ عندنا أن يُوَدَّعا

بنفسِيَ تلكَ الأرض ما أطيبَ الرُّبَا ومَا أحسنَ المصطافَ والمتربَّعا

ولما رأيتُ البِشْرَ أعرض دوننَا وجَالَت بَناتُ الشوقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا

بكَتْ عَينِيَ اليُسْرَى فلمّا زَجَرْتها عن الجهلِ بعد الحِلمِ أسْبلَتا مَعَا

تلفتُّ نحو الحَيِّ حتى وَجَدْتُني وَجِعْتُ مِنَ الأصغاءِ ليتاً وأخدَعا

وأذكر أيام الحمى . . . . [البيت]

ولَيْسَتْ عَشِيّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ إليك ولكنْ خَلِّ عينيك تَدْمَعا

الشعب : الحى ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق نوازعه . ونزعا جمع نازع أى مشتاق ، والليت صفحة العنق ، والأخدع : عرق فيها .

(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته ، وعجزه :

* وأنْ أشهَدَ اللذاتِ هل أنت مُخلِدِي *

وبعده :

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أَزَوَّدُهَا(١)

وقوله رأحسبني إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديين، ثم ترك ما دعاهما له فذكره فى البيت التالى ، وأتى بهذه الجملة المعترضة الجيلة . قال العكبرى : نادى الحاديين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقدْ أدركَتْني والحوادثُ جمَّة أسِنةُ قومٍ لا ضِعافٍ ولا عُزْلِ

ففصل بين الفعل والفاعل بما هو من نصته ، لان إدراك الأسنة من جملة الحوادث .

(١) يقول — للحاديين اللذين يحدوان عيرها أو عيسها — : احبساها على قليلا لأنظر إليها وأتزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذى الرمة :

وإنْ لم يكنْ إلا مُعرَّجُ ساعةٍ قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلهــــا(١)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كبيت الكتاب :

من فرَّ عنْ نِيرانِهـا فأنا ابنُ قيْسٍ لا بَرَاحُ(٢)

فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ منيتى فَدَعْني أبادِرْها بما ملكت يَدِي

[يقول طرفة : يامن يلومنى على حضور الحرب لئلا أقتل ، وعلى أن أنفق مالى فى اللذات : ما أنت مخلدى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى ... يعنى أن الموت لا بد منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألمـا على الدار التى لو وَجَدْتُها بها أهلُها ما كان وحْشاً مَقِيلُها

ألمـا : إنزلا ، ووحشا موحشاً ، والمقيل : النوم فى الظهيرة ؛ والمعرج : التعريج وهو الإقامة . وقليلها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر ..

(٢) من أبيات لسعد بن مالك ــ شاعر جاهلى من شعراء الحماسة ــ وأول الأبيات:

يا بؤسَ لِلحَــرْبِ التى وضعت أراهِطَ فاستراحوا

وبعــده :

والحربُ لا يبقى لجا حِمِها التخَيُّلُ والمِرَاحُ

فَفِى فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوًى ... أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا(١)

شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا(٢)

بَانُوا بِخُرْعُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ ... يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا(٣)

يريد : ليس عندى براح .

(١) عنى بالمحب : نفسه ، والجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن، والجحيم: النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار: جحيم ؛ وجحمت النار : اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعِدُّونَ للهيجاء قبلَ لِقائِها ... غداة احتِضار البأس والموتُ جاحِمُ

يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللمة من الشعر : ما ألم بالمنكب وجاوز شحمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل فى الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل جمة ، فإذا ألم بالمنكب : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس . والدمقس: الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب ابيض شعره حتى صار ما كان أسود من لمته أبيض .

(٣) الخرعوبة: الشابة اللينة الطرية؛ وقوله يكاد: يريد قرب من ذلك، وكاد: فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نفى فى المعنى ، فأراد: قرب من ذلك ولم يفعل . قال اللغويون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من

إلا الفتَى الصبّارُ فى النجداتِ والفرسُ الوَقاحُ

يابؤس للحرب ــ يقول: يابؤس الحرب ، ومعنى وضعت أراهط حطتهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر فى هذه الحرب فاستراحوا من مكابدتها كالنساء . وقوله: فأنا ابن قيس أى أنا المشهور فى النجدة لما سمعت ؟ والبراح : مصدر برح الشىء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخيلاء . يقول : إنها تزيل نخوة المنخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخيلاء ويختال المتشبع ، فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط ؛ والمراح ــ بكسر الميم ــ النشاط .



رِبَحْلَةٍ أسْمَرٍ مُقبَّلُهَا ... سِبَحْلَةٍ أبيَضٍ مُجَرَّدُهَا(١)

يا عَاذِلَ العَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً ... أضَلَّهَا اللهُ كَيفَ تُرْشِدُهَا(٢)

لَيسَ يُحِيكُ المَلامُ فى هِمَمٍ ... أقْرَبُهَا مِنكَ عَنكَ أبعَدُهَا(٣)

اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العجيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنُوءُ بأخراها فلأياً قيامُها ... وتمشى الهوَينا عن قريب فتبهر(١)

ويقول أبو العتاهية :

بَدَتْ بين حُورٍ قِصَارِ الخُطَى ... تُجَاهِدُ بِالمَشْى أكفالها

وقال أبو دلامة :

وقدْ حاوَلَتْ نحوِى القيامَ لحاجةٍ ... فأثقلها عن ذلك الكَفَلُ النهْدُ

(١) الربحلة والسبحلة : من نعوت النساء ، وهى الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقبيل ، وهو الشفة ، وتحمد فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لمياء فى شفتيْها حُمرةٌ لَعَسٌ ... وفى اللثاتِ وفى أنيابها شَنَبُ

والمجرد : ماتعرى من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون ، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد ـ الذى تصيبه الريح والشمس ، وهو الذى يظهر للرائين ـ كان سائر بدنها ـ الذى لاتصيبه الريح ولا الشمس ـ أشد بياضاً .

(٢) الفئة : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يامن يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله فى الهوى حتى تهالكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أى أنهم لايصغون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه الشىء وحاك : أثر . يقول : إن لومك لايؤثر فى همم أقربها منك فى تقديرك أبعدها عنك فى الواقع : أى أن الذى تظنه ينجع فيه لومك هو الأبعد كما تظن :

---

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها ـ وهى عجيزتها ـ تنيئها : أى تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها فى أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هى قامت، بعد لأى أى بعد مشقة وجهد وإبطاء .

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِرْتُ مِنْ طَرَبِي ... شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا[1]

---

(١) يذم الليالى التى لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذى يرقد الليالى ساليا لايجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وأين الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

شكونا إلى أحبابنا طُولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ اللّيلَ عندنا

وإليك ما أورده العكبرى فى شرح هذا البيت قال : المقصود بالذم محذوف ، وهو نكرة موصوفة بسهرت ، والعائد إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليال سهرت فيها ؛ ومثله فى الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم) تقديره آية يريكم بها البرق خوفا، وقد جاء فى الشعر حذف النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة فى قول الراجز :

مالكَ عِنْدِى غَيرُ سَهْمٍ وَحَجَرْ ... وَغيرُ كَبْدَاءَ شَدِيدَةِ الوَتَرْ

* تَرْمِي بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى البَشَرْ[1] *

يريد بكفى رجل فحذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طربى : مفعول له ،وهو بمعنى اللام ، كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمته لمخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا : يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طربى فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة للسهر ، ولا يعمل سهرت فى قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا بعاطف ، كقولك أقمت سهرا وخوفا ، وسرت طربا وشوقا . ويحتمل أن ينصب بمحذوف كأنه قال شقت شوقا ، وشاقنى انتذكر شوقا ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك قد بعت ، أى باعنى مالكى ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المطر — غثنا ماشئنا : أى أغاثنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها ، وإن شئت علقته بالطرب إذا نصبت شوقا بالطرب ، وإن نصبته بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك تفصل بشوق وهو أجنبى من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول: يرقد فيها، كما تقول

---

(١) قوس كبداء : غليظة القبض تملأ الكف . وقوله ترمى . يروى جادت من الجودة وقال ابن جنى : روي أيضاً بفتح ميم «من» أى بكفى من هو فى الرمى من أرمى البشر، وكان على هذا زائدة . وعلى هذا لا شاهد فيه .



. . . .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع فى الظرف فجعله مفعولا به على السعة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيما وعامرا[١] *

ففى البيت أربعة حذوف : حذف المقصود بالذم — وهو ليال — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهدت — بالراء والدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — فى كل شىء ، وبالدال للديغ والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهد مِن نَوم ِ العشاء سَليمُها[٢] *

وبقول الأعشى :

* وبِتُّ كما بات السليم مُسَهّدا[٣] *

---

(١) عجزه :

قَليل سوى الطعْن النهال نوافِلهْ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعامر قبيلتان من قيس غيلان؛ والنوافل هنا : الغنائم يقول : يوم لم يغنم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطعن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطعن هنا جمع طعنة :

(٢) عجزه :

* لحلِى النساء فى يَديْها قعاقع *

يقال فلان يسهد : أى لايترك أن ينام .

(٣) صدره :

* ألم تَغتَمِضْ عَيناكَ ليلة أَرْمَدا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعده :

وما ذاكَ مِن عِشقِ النساءِ وإنما   تناسَيتَ قَبلَ اليوم خُلةَ مَهْدَدَا



. . . .

وقوله: بئس : اختلف أصحابنا والبصريون فى نعم وبئس، فقال أصحابنا هما اسمان ، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لايتصرفان ، ووافقهم من أصحابنا : على بن حمزة المقرئ . حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل . قال حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

أَلَسْتُ بِنِعْمَ الجَارُ يُولِفُ بَيْتَــهُ   لذى العرْفِ ذا مالٍ كثيرٍ وَمُعْدِمَا(١)

وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : نعم السير على بئس العير ، وقال الفراء : إن أعرابيا بشر بأنثى فقيل له نعم المولود مولودتك ، فقال : والله ماهى بنعم الولد ، نصرها بكاء وبرها سرقة . فدخول حرف الجر عليهما دل على أنها اسمان . وحجة أخرى : أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لايدخل إلا على الأسماء فى قولهم : يانعم المولى ويانعم النصير : ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه : ياالله نعم المولى. فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه ، كما يحذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه ، فإن قيل ذلك ، فجوابنا : المنادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرف النداء فعل أمر . وما جرى مجراه ، كقراءة على بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج « ألا يا اسجدوا » تقديره : ياهؤلاء اسجدوا . وكقول ذى الرمة :

أَلا يا اُسْــلَمِى دَارَمَىَّ عَلَى البِلَى   ولا زَالَ مُنهلا بجرعائك القطر(٢)

وكقول الآخر :

أَمَسْلَمَ يَا اسمع يا ابن كلِّ خليفةٍ   ويا سائس الدنيا ويا جبل الأرض(٣)

إلى آخر الأبيات . وقوله ليلة أرمدا : يريد ليلة أرمدتا — أى عيناه — أى أصابها رمد ، وهو وجع العين ، والسليم : الملدوغ ، والمسهد : الذى منع النوم ، والخلة : الصداقة ومهدد : اسم امرأة .

(١) قوله يولف بيته لذى العرف : أى يجعله مألفاً لذى العرف أكان غنياً أم فقيراً .

(٢) مى : هى محبوبته ، وعلى : بمعنى مع ، ومنهلا: منصباً ، والجرعاء. مؤنث الأجرع : الموضع المختلط ترابه بالحصى ؛ والقطر : المطر . يدعو لها بالخصب .

(٣) هــذا البيت لأبى نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك . وقد أورده القالى على الوجه الآتى :



. . . .

أراد ياهذا : وشواهده كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن المنادى مخاطب ، والمأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من المخاطبين اكتفاء بالثانى ، ولاخلاف أن نعم المولى خبر ؛ فيجب أن لايقدر المنادى محذوفا ، فدل على أن النداء لايكاد ينفك عن الأمر ، أوما جرى مجراه من الطلب والنهى ، ولذلك لايكاد يوجد فى كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر فى قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملتى خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك يانعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر المنادى محذوفاً ، ودليل آخر على أنهما اسمان ، انهما لايحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لاتقول : نعم الرجل غدا ولا أمس ولا بئس الرجل غدا أو أمس ، ودليل آخر : أنهما غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ودليل آخر : أنهما لم يكونا فعلين ماضيين لأنه يجوز دخول اللام عليهما فى خبر أن ، تقول إن زيدا لنعم الرجل وعمراً لبئس الغلام . وهذه اللام لاتدخل على الماضى ، وهى تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على انهما اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس فى أفعال العرب فعيل ، فدل على أنهما اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لايقلبها أحد فى الوقف هاء كما قلبوها فى رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء يختص بها الفعل الماضى .

أَمُسْلِمَ إِنِّى يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ... وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمَرَ الأَرْضِ

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى ... وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِى

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا ... عَلَىَّ لِحَافًا سَابِغَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِى وَمَا كَانَ خَامِلاً ... وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لاشاهد فيه :



أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي ... شُؤُونُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا(١)

لا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا ... بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا(٢)

---

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛والشئون : قبائل الرأس ، وهي مجارى الدموع ، والضمير في أحييتهاوينجدها : لليالى ، والضمير في شئونهاللدموع . يقول : كان للدموع من الشئون إمداد ، ولليالى من الظلام إمداد ، يعنى أن تلك الليالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير في ينجدها عائدا إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَيَّ اللَّيْلُ أَطْفَالَ حُبِّهَا ... كَمَا ضَمَّ أَزْرَارُ القميص البنائقا(١)

(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها في السير فوق طاقتها يقول : إن ناقتي — ويريد نعله — لاتقبل الرديف — وهو الذى يرتدف خلف الراكب — وإذا راهنت عليها لم أجهدها بالسوط ؛ وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت :

وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الركابِ بأَسْوَدٍ ... مِنْ دَارِش فَغَدَوْتُ أَمْشِى رَاكِبا

وهذا المعنى من قول أبى نواس :

إليكَ أبا العبَّاس مِنْ بين مَن مَشى ... عليها امْتطينا الحضْرَمِيَّ الملسَّنا

قلائص لم تعرفْ حنيناً إلى طَلاً ... ولم تَدْرِ ما قرْعُ الفَنِيق ولا الهِنا(٢)

ومثله قول الآخر :

رَوَاحِلنا سِتٌّ ونحنُ ثلاثة ... نُجَنِّبهنَّ الماء فى كلِّ منهل

---

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبنائق : جمع بنيقة ، وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :

* كما ضم أزرارَ القميص البنائقُ

كما هو فى أصله ، فالبنائق : العرى التى تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمى : إذا كان ملسنا وهو الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، والقرع : الجرب ، والفنيق ، الفحل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : القطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو القطران .



شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا ... زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا(١)

أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُهُ ... تَحْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأَيُّدُهَا(٢)

فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ ... بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرْدَدُهَا(٣)

---

(١) الشراك : سير النعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ماتشد إليه شسوعها ، وهى السيور التى تكون بين خلال الاصابع ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة المشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصوف يقال ريح عاصف وعصوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأيدها : تأنيها وتلبثها . يقول : أهون سيرناقتى — يعنى نعله — يسبق أشد سير الرياح . يصف المتنبى نفسه بأنه شديد العدو منتعلا ، وقال الواحدى فى قوله تأيدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التفعل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التفعل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشىء يئيد أيداً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشىء يئود أوداً : إذا أثقل . وفى كلام العرب ما آدك فهو لى آئد : أى ما أثقلك فهو لى مثقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والوئيد الترفق . يقال : وأد يئد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الرفق ، وأنشد الخليل فى ذلك:

تأيدْ علىّ هداك المليك ... فإن لكل مقام مقالا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأيدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت لمحذوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سببى لمفازة المحذوفة . وقرددها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددها ، والقردد: الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجادووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن ناتىء ، وبطنه لاطىء



مُرْتَمِيَاتٌ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ اللّٰهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا(١)

إِلَى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فِى الْقُلُوبِ مُورِدُهَا(٢)

لَهُ أَيَادٍ إِلَىَّ سَابِقَةٌ أَعُدُّ مِنْهَا وَلَا أُعَدِّدُهَا(٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر المجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات ــ بالنصب ــ صفة لمفازة ، وغيطانها ، فاعل مرتميات : والغيطان ؛ جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض . والفدفد : الأرض الغليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وفدفدها ترمينا إلى الممدوح بقطعنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزعها بعد الطعن من المطعون . وأنهلها : سقاها . وموردها ــ بضم الميم ــ على أنه اسم فاعل ــ وهو الممدوح ــ فاعل أنهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أنهلها فى القلوب ورودها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبارة الواحدى : يرجعها وردها وقد سقاها بموضع ورودها فى قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيادى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال:له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن » والمعنى لطف بى . وقوله أعد منها : يريد أنى غذى نعمته ، وربيب إحسانه ، فنفسى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جنى : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لا تَنْتَفِينِى بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِى فَإِنَّنِى بَعْضُ أَيَادِيكَا

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أياديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شىء عددا » .



يُعْطِى فَلَا مَطْلَةٌ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةٌ يُنَكِّدُهَا(١)
خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وَأَمْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا(٢)

---

(١) الضمير في بها : للمطلة ، وفي يكدرها وينكدها : للأيادى ؛ ويروى مطله ومنه ، وبه بدل بها . يقول : إنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بعده . وينكدها : أى ينغصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنيعة ؛ وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى » وقال الشاعر :

أفسدْتَ بالمنِّ ما قدَّمْتَ من حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أعطى بِمَنَّانِ

وعبارة العكبرى : يقول : له أياد لا يكدرها مطل ولا ينكدها من ؛ ولم يرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنا لا ينكدها ، وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه ألبتة ، ومن هذا قول امرىء القيس :

* عَلَى لاحِبٍ لا يُهتَدى بِمَنَارِهِ *

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى : لا منار يهتدى به . ومثله قوله الآخر في وصف مفازة :

لا تفْزِعُ الأرنبَ أهوالُها ولا ترى الضَّبَّ بها ينجَحِرُ

لم يرد أن بها أرنبا لم يفزع ولا ضبا ، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان . وعبارة الواحدى : يعطى فلامطله بالأيادى يكدرها : أى أنه لايمطل إذا وعد إحسانا ، ولايمن بما يعطى فينكده

(٢) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو خيرهم أبا ، لأنه ليس فيهم أحد أبوه أفضل من أبى الممدوح . والنائل : العطاء ، وأبا ونائلا : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن ثم قال : أمجدها وأجودها والمجد قيل هو الأخذ من الشرف والسود : ما يكفى ، وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ماجد : أى له آباء متقدمون في الشرف . قال : والحسب والكرم(١) يكونان في الرجل ، وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، وأجودها : أسخاها .

---

(١) المراد بالكرم هنا : ضد اللؤم .



أَطْعَنُهَا بِالْقَنَــاةِ أَضْرَبُهَا بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا(١)
أَفْرَسُـــهَا فَارِساً وَأَطْوَلُهَا بَاعاً وَمِغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا(٢)
تَاجُ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا(٣)
شَمْسُ ضُحَاهَا هِلَالُ لَيْلَتِهَا دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا(٤)
يَالَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا(٥)

---

(١) الجحجاح : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والمسود : الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القناة والسيف مع الطعن والضرب تأكيدا للكلام ، كما قال تعالى « يطير بجناحيه » وكما يقال : مشيت برجلى ، وكلمته بفمى

(٢) فارسا : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراسة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للئيم : ضيق الباع ؛ والمغوار : للكثير الغارة .

(٣) لؤى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والمحتد : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها ليقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) التقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : اصل العنق ، ومفردها : تقصار وتقصارة . يقول : هو فيما بينهم كالشمس فى النهار ، والهلال فى الليل ؛ والدر والزبرجد فى القلادة . أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وفخرهم » قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه :

(٥) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب . قال العكبرى كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوما من العرب بظاهر الكوفة وهو شاب دون العشرين فقتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسنا ، فقال : ليت الضربة التى قدر لها محمدها — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بى : أى

أَثَّرَ فِيهاَ وَفِى الْحَدِيدِ وَماَ أَثَّرَ فِى وَجْهِهِ مُهَنَّدُهاَ[١]
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهاَ بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهاَ[٢]

ليتنى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بى دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فتمنى أبو الطيب رتبته فى الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحمد فأكثرت حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردهما عن قصدهما ، فذلك تأثيره فيهما . فقوله: وما أثر فى وجهه مهندها : أى لم يشنه ولم يعبه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسنا ، لأن الضربة على الوجه شعار المغوار ، والعرب يفتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَلسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ولـكنْ على أقدامِناَ تقطرُ الدما[١]

والطعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

ولـكنما يخزَى امرُؤٌ يَكْلِمُ اسْتَهُ قَنا قومِهِ إذا الرِّماحُ هَوينا

ولك أن تقول : إنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثرا يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى فى القتال :

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصولها فى وجهه ، وحسدتها بقية الجراحات ، إذ لم تصب موضعا كريما مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والمثل : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يا عاذِلِى دَعْنِى مِنْ مِثْلِـكا مِثْلِى لا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِـكا

---

(١) الـكلوم : الجروح ، وقبيل البيت :

تأخرتُ أَسْتَبقى الحياة فلم أجدْ لِنَفسى حياةً مِثْــلَ أن أتقدّما

وبعــده :

نُفَلِّقُ هاماً مِنْ رِجالٍ أعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعزَّ وأكْرَما



وَأيقَنَ النَّاسُ أنَّ زَارِعَهَا بِالمَكرِ فى قَلْبِهِ سَيَحْصُدُهَا(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثله شىء » والغبطة حسن الحال ، أو هى النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغتبط هو ، كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن جبلة العذرى :

وَ بينما المرءُ فى الأحيــاءِ مُغْتَبِطٌ إذا هو الرَّمْسُ تَعفُوه الأعاصِيرُ(١)

قال الجوهرى : أنشدته مغتبط — بكسر الباء — أى مغبوط ، أى والاسم الغبطة وهى حسن الحال .

(١) الضمير فى قلبه : يعود إما إلى الزارع — أى الضارب — أى زرعها بمكر فى قلبه ، وإما إلى الممدوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة فى قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءته مماكرة وغدراً ، لا مواجهة وكفاحا ، وأن ضاربها قد بذر بذرا خبيثا لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من الممدوح .

---

(١) قبله :

فاسْتَقْدِرِ اللهَ خيراً وارْضَيَنَّ به فبينما العُسْرُ إذْ دَارَتْ مَياسِيرُ

وبعــده :

يَبْكِى عليهِ غريبٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وذو قَرَابَتِهِ فى الحَىِّ مسرورُ

حتى كأن لَمْ يَكُنْ إلا تَذَكُّرُهُ والدهْــرُ أيتَما حالٍ دهارِيرُ

[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العسر فالعسر مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العسر كائن أو حاضر. إذ دارت مياسير؛ أى حدثت وحلت ، والمياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهى الريح تهب بشدة . وقوله: كأن لم يكن إلا تذكره ، فيكن تامة ، وتذكره فاعل بها ، واسم كأن . مضمر ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكره ، والهاء — فى تذكره — على الهاء المقدرة ، والدهر : مبتدأ ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما فى دهارير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهارير أى شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهارير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزمخشرى : الدهارير : تصاريف الدهر ونوائبه ، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كعبابيد] .

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا(١)
تَبْكِي عَلَى الْأَنْصُلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا(٢)
لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا(٣)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا(٤)

---

(١) الواو — فى وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حساده بالمقيم المقعد ، فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفا منه وذعراً ، وهذا كما قال :

أبدَى العداةُ بك السرورَ كأنهم فرحوا وعندهم المقيم المقعد

(٢) و (٣) يقول : إذا أنذر الغمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت الغمود على السيوف لعلمها أن السيوف المذكورة ستغمد فى دماء الأعداء حتى تتلطخ بها وتصير كأنها دم ، وأن الممدوح سيجعل الرقاب غمودا لها بدلا منها . وهذا المعنى تعاورة الشعراء من قديم . قال عنترة :

وما تَدْرِى جُرَيَّةُ أنَّ نَبْلِي يكونُ جَفيرَها البطلُ النجيد(١)

وقال حسان :

ونحنُ إذا ما عصَتنا السيوف جعلنا الجماجِمَ أغمادَها

وقال الحماسى :

مَنابِرُهُنّ بُطونُ الأكفِّ وأغمادُهُنّ رُؤوسُ الملوكِ(٢)

ويقول ابن الرومى :

كَساهُمُ العِزّ إنْ عَرّوْا مناصِلَهم فما لها غيرَ هامِ الصِّيدِ أجْفانُ

(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفا وجزعا منها ، وحمدها الصديق لحسن بلائها فى العدو .

---

(١) الجفير : الكنانة والجعبة التى تجعل فيها السهام .
(٢) قبله :

وإنّا لتُصْبِحُ أسيافنا إذا ما اصْطَبَحْنَ بيَوْمٍ سَفُوكِ

(اصطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكا لأن السفك يقع فيه . وقوله



تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا(١)
إِذَا أَضَلَّ الْهُمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْماً فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا(٢)
قَدْ أَجْمَعَتْ هٰذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا(٣)
وَأَنَكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا(٤)

---

(١) يقول : إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتنقدح منها النار فيخمدها ما ينصب من الدماء عليها .

(٢) الهمام هنا : الملك العظيم ، والمهجة : الروح ، ونشد الضالة : طلبها ليعرف مكانها يقول : إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله ، فإنما سيوفه هى التى تطلب مهجته منها ، لأن سيوف الممدوح قواتل الملوك ؛ أو تقول : إن سيوف الممدوح هى التى تثأر له ، ويروى بدل تنشدها : منشدها اسم مكان : أى أن سيوفه هى المكان الذى تطلب مهجة المقتول منه ، لأن سيوفه ــ كما قلنا ــ قواتل الملوك ؛ ويروى فأطرافهن ينشدها ــ بنصب أطرافهن ــ وينشدها ــ بالياء المثناة التحتية ــ أى ينشدها فى أطرافهن.

(٣) الخليقة : الخلائق والخلق . يقول : إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لى أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما . وقال الواحدى : يجوز أن يكون على التقديم والتأخير : أى أوحدها لى : أى أوحدها إلى إحساناً وإفضالا ، ولا يكون فى هذا كثير مدح . . . ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لى . . . والقول يضمر كثيراً ، كقوله تعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا » أي ويقولان : ربنا تقبل .

(٤) وأنك : مخففة من أنك ضرورة ، والمحتلم : الغلام بلغ مبلغ الرجال ، وهو حال من التاء فى كنت ، وشيخ معد : خبر كان ، والضمير فى أمردها : لمعد ؛ وقوله : وأنت أمردها : عطف على الحال : أى محتلما أمرد . يقول : وأنك بالأمس حين كنت غلاما أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل ؟ هذا : وهاهى ذه طرفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله وأنك : أراد أنك بالتشديد، فخفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر :

منابرهن : أراد أنها إذ تنتضى فكأنها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم . يقول : إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال فى يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)



فَلَوْ أنكِ فى يوم الرَّخاء سَألتنِي طَلاَقَكِ لم أبْخَلْ وَأنْتِ صَدِيقُ[١]

وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقوله :

وَصَدْرٌ مُشرقُ النحر كأن ثَدْيَاهُ حُقَّان[٢]

لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها . وإذا خففت مع المظهر فتعملها فى مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبرا عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : فى قراءة نافع وعاصم وأبى عمرو وقنبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذى دخلها وحذف اسمها . أن يليها ما يجوز أن يليها وهى مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعَمَ الفرزْدَقُ أنْ سيقتلُ مِربعاً أبشر بطول سلامة يا مِرْبَعُ[٣]

(١) بعده :

فما رُدَّ تَزْوِيجٌ عليهِ شَهادةٌ ولا رُدَّ مِن بَعدِ الحَرَارِ عَتيقُ

ويروى فراقك ـ بدل طلاقك ـ وصديق : فعيل للواحد والجمع والمؤنث ، والحرار مصدر حر يحر من باب تعب : أى صار حرا ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخاء السعة : أى وقت إمكانه ، ولم أبخل : أى به : أى بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أى لو سألتنى ذلك فى وقت يقبله ، وهو ماقبل العقد لفعلت ، لكنه فى وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا يرد بعد العتق عتيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضىء ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تثنية حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضىء أعلاه ، وكأن الثديين فيه حقان فى الاستدارة والصغر .

(٣) مربع ـ بكسر الميم ـ لقب وعوعة أبى سعيد راوى جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه ، ومطلع القصيدة :

بانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فوَدَّعوا أو كلما رَفعوا لِبَيْنٍ تجزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ رَبَّيْتَها كانَ مِنكَ مَوْلِدُها[1] .

وقال أمية بن أبى الصلت :

وقد علمنا لو أن العِلم ينفعنا أن سَوفَ يُتبع أولانا بأخرانا

وأما قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف الأربع ، فذلك لأن ليس ضعيفة فى الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو على حرفا زمانا ، ثم رجع عن ذلك . وقوله مختلما : حال ، والعامل فى الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل فى الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن الحال فضلة فى الخبر مذكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها فما ظنك بكان ، وهى فعل متصرف يعمل الرفع والنصب فى الاسم الظاهر والمضمر ، وليست كان فى نصبها الأحوال بأسوأ حالا من حروف التنبيه والإشارة ؛ قال الشريف ابن الشجرى : قال المعري: كان لا تعمل فى الحال ، ويجعل العامل فى الحال وأنك بالأمس : أى الفعل المضمر الذى عمل فى قوله وأنك بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا علقت قوله بالأمس بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبرا لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق بمحذوف ، إلا أن يكون خبرا أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخبارا عن الجثث ولا صفات ولا صلات ولا أحوالا لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علقته بكان ، وأعملت كان فى مختلما . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جلل المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تعهدتها بأن قرنتها بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أى ابتداؤها ، أى انك ابتدأتنى بالصنيعة ثم ربيتها فلم تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله نعمة : قال العكبرى رويت — نصبا وجرا — : فمن نصب أراد الاستفهام ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

ورأيتَ نَبلك يا فرزدق قَصَّرَتْ
ورأيت قوسَكَ ليس فيها منزَعُ



وَكَمْ وَكَمْ حَاجَـةٍ سَمَحْتَ بِهَا   أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِـدُهَا(١)
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِـرِّ إِلَى مَـنْزِلِي تُرَدِّدُهَا(٢)
أَقَرَّ جِلْدِي بِهَـا عَلَيَّ فَلَا   أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا(٣)
فَعُـدْ بِهَا لَا عَـدِمْتُهَا أَبَدًا
خَيْرُ صِـلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا(٤)

***

(١) سمحت بها : أى قضيتها لى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفانين الكلام .

(٢) المكرمة : مايكرم به الإنسان من بر وألطاف ، يريد بها هنا ثيابا أهداها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جميلة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للممدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وترددها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى ترددها على الصدر .

(٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكأنه باكتسائه بها ناطق مقر ، كما قال الناشىء الأكبر :

لو لم يَبُح بالشكر لفظِي لخبَّرَتْ   يمينى بما أوليتَنى وشِمَاليـا

(٤) أعودها : أكثرها عوداً . يطلب منه إعادة العطية .



وقال أيضاً فى صباه :

كَمْ قَتِيـلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَـهِيدِ
بِبَيَاضِ الطُّـلَى وَوَرْدِ الْخُـدُودِ(١)
وَعُيُونِ الْمَهَـا وَلاَ كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بِالْمُتَيَّمِ الْمَعْمُودِ(٢)

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لقتيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً فى سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقا أو حرقا وما إليهما . وجعل المتنبى من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق فعف ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبرى : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حجتنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف فى أوله وآخره ، فما وصلته من أوله نحو هذا ، ومما وصلته فى آخره نحو « إما تريني ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال فى كم مالك ؟ : كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير« كم » لم ، لأن الأصل فى لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت الميم ، فقال : لم فعلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثله شىء » أى ليس مثله . وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كهين ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقْ *

أى المقق وهو الطول ؛ وحجة البصريين أن الأصل هو الإفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة .

(٢) المها : جمع مهاة ، وهى بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنها وسعتها . وفتكت : قتلت بغتة ، والمتيم : الذى استعبده الحب ؛ والمعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالمتيم المعمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قتل بعيون أحبته التى هى كعيون المها ، وليست تلك العيون التى قتلته كالعيون التى قتلتنى وفتكت بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟ !



دَرَّ دَرُّ الصِّـبَا أَأَيَّامَ تجْرِيـر ذُيُولى بدار أثلةَ عُـودِى(١)
عَمْرَكَ اللهَ هَـلْ رَأَيْتَ بُدُوراً طَلَعَتْ فى بَرَاقِـعٍ وَعُقُـودِ(٢)
رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُـهَا الْهُدْ بُ تَشُقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ(٣)

(١) الدر : اللبن ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجرير الذيول : كناية عن النشاط واللهو لأن النشيط أو النشوان يجر ذيله ولا يرفعه . ودار أثلة : موضع بظهر الكوفة . يتمنى أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمرك الله : قال العكبرى ـ نقلا عن الجوهرى صاحب الصحاح ـ وكثيرا ما يعتمد عليه ـ هو مصدر ، يقال : أطال الله عمرك وعمرك ـ بالفتح والضم ـ وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم ـ وهو المفتوح ـ فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء ـ فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسمى ؛ فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر وقلت عمر الله مافعلت كذا وعمرك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمرك الله فكأنك قلت بتعميرك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقـول عمر بن أبى ربيعة :

أيُّها المنكحُ الثريا سُهيلا عَمْرَكَ الله كيف يلتقيـان

يريد : سألت الله أن يطيل عمرك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل تورية ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد النجمين ، وهو فى قول المتنبى مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمرك تعميرا . . . يخاطب المتنبى صاحبه وشبه النساء بالبدور .

(٣) راميات : صفة لبدور ـ فى البيت السابق ـ والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشفار الأجفان . شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِى بِسَهْمٍ رِيشه الكُحلُ لم يُصِـبْ
ظَوَاهِـرَ جِلدى وَهْوَ فى القلْبِ جَارِح

وقال جميل :

وما صائبٌ مِن نابلٍ قذفَتْ بهِ يدٌ وَمُمَر العُقْـدَتين وثيقُ

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِى رَشَفَاتٍ   هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ(١)

بأَوْشَكَ قتلا منكِ يوْمَ رَمَيتِنِي   نوافِذَ لم تُعْلم لهُن خُــــروق(١)

(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلة التوحيد . ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلاوة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبى أنشده هــكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا – للتخلص من هذه المبالغة المفرطة – إن التوحيد نوع من تمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ فى مذهب الشعراء ؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثانى فى كل المواضع ، وهنا مثلا قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ فى الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلة التوحيد ، وقد جاء مثل هذا كثيراً فى كلام العرب ، وعبارة الواحدى : كن يمصصن ريقى لحبهن إياى ، فــكانت الرشفات فى فمى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهــذا إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثانى فى جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعل

---

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لهُ مِنْ خَوافِى النسْرِ حُمٌّ نظائِرٌ   وَنَصلٌ كنصْلِ الزَّاعِبِي فتيق
عَلَى نَبْعــة زَوراء أيمَا خِطامُها   فمَتْنٌ وَأيْماَ عُــودُها فعتِيــقُ

صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والنابل : ذو النبل وممر العقدتين ؛ يريد وترا أحكمت عقدتا طرفيه ، وأصل المر : الحبل الشديد الفتل . وقوله من خوافى النسر : يريد ريش السهم ، وريش النسر أجود للسهم من ريش كل طائر ، والحم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم . وقوله كنصل الزاعبى : أى كنصل الرمح الزاعبى . قال الأصمعى : الزاعبى هو الذى إذا هز فــكأن كعوبه يجرى بعضها بعض للينه وتثنيه ، من قولهم : مر يزعب بحمله إذا مر به مراً سهلا . وقوله فتيق : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبعة : يريد قوساً ، وأكرم القسى ما كان من النبع – شجر معروف – وقوله بأوشك قتلا منك : أى بأسرع . وزوراء أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ، وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها .

. كُلُّ خَمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الْخَمْـــرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجُـــلْمُودِ(١)

يجىء فى كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأول من جنس الثانى ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة فى انفضل لا مجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثانى : أن يكون الأول من جنس الثانى ، ومحتملا للحاق به ، وقد سبق للثانى حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة فى التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبيت المتنبى من هذا القبيل : أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثانى أو قريبا منه ، والثانى دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجرأ من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثانى وقد سبق للثانى حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثانى ، نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثانى والأول دون الثانى فى الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء فى الحديث : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر » ذهب من لا يعرف معانى الكلام إلى أن أباذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نفى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة فى الصدق ، ولم ينف أن يكون فى الناس مثله فى الصدق ، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، فحذف المضاف ورفع .

(١) الخمصانة — بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نعومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال العكبرى : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير فى يترشفهن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو فى موضع خفض نعتا لخمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على النعت لبدورا ، فيكون بدل تبيين .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ (١)
حَالِكٍ كَالْغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيٍّ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلَا تَجْعِيدِ (٢)
تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودِ (٣)
جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسُّقْمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ (٤)
هٰذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْكِ لِحَيْنِي فَانْقُصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِي (٥)
أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيدَ بِتَصْفِيفِ طُرَّةٍ وَبِجِيدِ (٦)

(١) ذات : صفة أخرى لحصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله وعود ؛ — فى آخر البيت — متعلق بمحذوف : أى ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* عَلفتها تبناً وماءً بارداً *

قال الشريف بن الشجرى فى أماليه : قوله وعود : يريد ودخان عود ، لأن العود لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأنواع من الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والغداف : الغراب الأسود . والجثل : الكثير الملتف ؛ والدجوجى : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جعد بلا تجعيد : أى خلق جعدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة . وتفتر : تبتسم ، وعن شنيب : أى عن ثغر شنيب ، والشنب : البياض والبريق وتحزيز أطراف الأسنان ، وقيل طيب نكهتها ؛ وقيل تفليجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وثغر شتيت : مفرق مفلج ، يقول : إنها طيبة الريح فكأن الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غدائرها .

(٤) أحمد : يعنى نفسه ؛ والتسهيد : السهر . يقول : جمعت بين جسمى والسقام وبين جفونى والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه روحى أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فانقصى من عذابها بالوصل ، وإن شئت زيديها عذاباً بالهجر . وقال العكبرى : إن جعل هذه إشارة : فلديك يتعلق بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء — بحذف النداء — كان متعلقا بالاستقرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أى يستحق ما بى من الضنى بطل الخ والطرة :



كلُّ شيْءٍ مِنَ الدِّماءِ حَـرَامٌ شُرْبُهُ ما خَلاَ دَمَ الْعُنْقُـودِ(١)
فاسْقِنِيهاَ فِدًى لِعَيْنَيْـكَ نَفْسِي مِنْ غَزالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي(٢)
شَيْبُ رَأْسِي وذِلَّتِي وَنُحُولِي ودُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي(٣)

شعر الجبهة ؛ وتصفيفها : تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال فى البيت السابق . يقول : افعلى ما شئت فإنى أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصفيف طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هـذا كالمتشفى من نفسه واللائم لها على هذا العشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل مابى الخ : معناه أنا أهل مابى وحقيق به وأنا بطل صيد وعبارة ابن جنى : أنا أهل ذلك وحقيق بحسن مارأيت وأنا بطل صيد الغخ .

(١) دم العنقود : الخمر ؛ ويروى : أبنة العنقود . قال الواحدى : وليس الأمر على ماقال ، لأن شرب الخمر لايحل ، إلا أن يريد بدم العنقود : العصير ، أو مالا يسكر من المطبوخ . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام المتنبى سائغ فى مذهب الشعراء ، وهو من قبيل قول أبى نواس :

فى مَجْلِسٍ ضَحِكَ السرورُ به ، عَنْ ناجذَيْهِ وَحَلَّتِ الخمرُ

أى حلت الخمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والمراح والانبساط الغاية التى لا بعدها . قال العـكبرى : وسميت الخمر دما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم المقتول وقال : قوله ماخلا : إذا قلت جاء القوم ماخلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء القوم خلا زيد: كان الجر لاغير ، وقال ابن جنى: إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفى وتليدى : معطوفان على نفسى ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء من جملة الغزلان ؛ ومثله أفديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث عندك من مال ؛ والتالد — ومثله التليد — ما كان عن إرث الآباء . يقول : اسقنى الخمرة فأنا أفديك بنفسى وما أملك . قال العكبرى : أنث الضمير فى اسقنيها ؛ لأنه أراد بالدم الخمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفصال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا معنـاه ، لأن المراد بالغزال المعشوقة وتقدير الـكلام : فدى لعينيك من غزال نفسى وطارفى وتليدى

(٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطف عليه؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك : متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

أَىَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ لَمْ تَرُعْنِي ثَلَاثَةٌ بِصُدُودِ(١)

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ(٢)

مَفْرَشِي صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلٰكِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ(٣)

لَأْمَةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ أَحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدِ(٤)

أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ(٥)

ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ
قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي(٦)

أوَ ما كفاكَ تغيُّرِى ونحولُ جسمى شاهدا

(١) أى منصوب على الظرفية : أى فى أى يوم . وراعه : أفزعه . يقول : لم تسرنى يوما بالوصال إلا رعتنى ثلاثة أيام بالصد والإعراض . وقال العكبرى : أى نصب ، وهو استفهام خرج مخرج النفى ، كما تقول لمن يدعى أنه أكرمك : أى يوم أكرمتنى قط .

(٢) المقام بمعنى الإقامة ؛ ونخلة : قرية لبنى كلب قرب بعلبك . يقول : إن أهل هذه القرية أعداء لى ، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح . قال الواحدى : وبهذا البيت لقب بالمتنبى ، لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح فى هذا البيت ، وبصالح عليه السلام فيما بعده .

(٣) المفرش : موضع الفراش . ومفرشى الخ : فى موضع الحال ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان : الفرس الفحل . والمسرودة : الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : إننى شجاع ، مكانى ظهر الفرس ، وثيابى الدروع : أى أننى أبداً بهذه القرية على هذه الحالة تيقظا وتأهبا :

(٤) لأمة : درع ملتئمة الصنعة ، بدل من قوله مسرودة : وفاضة : سابغة ؛ يقال درع فاضة : أى تفيض على جسم لابسها فتعمه . والأضاة : الغدير ؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها ؛ والدلاص : البراقة اللينة الملساء ؛ ودرع دلاص وأدرع دلاص ، الواحد والجمع على لفظ واحد ، وداود : هو سيدنا داود ، أول من عمل الدرع ، كما قال جل شأنه : «وألنا له الحديد» . يقول : قميصى لأمة محكمة النسج من صنع داود الخ .

(٥و٦) يقول : إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لى نكده وأبطأ على خيره ، فأين فضلى ؟ يعنى إذن لا فضل لى ، فكأنه قد خفى فليس يرى . ثم قال — فى البيت الثانى — : لقد تعبت فى طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل ، ومن ثم ضاق صدرى لكثرة ما نصبت وطال سفرى وقل قعودى عن السفر .

أَبَدًا أَقْطَعُ الْبِــلَادَ وَنَجْمِى فى نُحُوسٍ وَهِمَّتى فى سُعُودِ (١)

وَلَعَــلِّى مُؤَمِّــلٌ بَعْضَ ما أَبْــلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ (٢)

لِسَرِىٍّ لِبَاسُهُ خَشِــنُ الْقُطْــنِ وَمَرْوِىُّ مَرْوَ لِبْسُ الْقُرُودِ (٣)

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ (٤)

(١) يقول: إنه طموح، بعيد الهمة؛ دائب السعى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام:

هِمَّةٌ تَنطَحُ النجومَ وَجَدٌّ آلِفٌ للحضيضِ فهوَ حَضيضُ

وقال الآخر:

وَلى هِمَّة فوْق نجم السماء ولــكنَّ حالىَ تحت الثرَى

فلوْ ساعدَت همَّتى حالَتِى لــكُنت ترَى غير ما قد ترَى

(٢) يقول: لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغنى فوق ما أرجو، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه. أو تقول: إن الـكلام على القلب: أى لعلى بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه. وعبارة الواحدى يقول: لعلى راج بعض ما أؤمله بلطف الله؛ ثم قال: وفيه وجه آخر، وهو أن المرجو محبوب، والمكروه لا يكون مرجوا. بل يكون محذورا، فهو يقول: لعلى راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله: أى ليس جميع ما أبلغه مكروها، بل بعضه مرجو ومحبوب. وقال ابن القطاع: أوخذ فى قوله ولعلى مؤمل الخ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ؟ وإنما وجه الـكلام أن يقول: ولعلى أبلغ بعض ما أؤمل، وليس كذلك، بل المعنى: ولعلى أبلغ آمالى، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه . . . وقيل معناه: أنا أؤمل أكثر ما أطلب، فلعلى بالغ بعض ما أؤمله، لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد.

(٣) السرى: الماجد الشريف. والمروى: ثياب رقاق تنسج بمرو — وهى بلد بفارس — يقول: لعلى بالغ بعض ما أؤمله بلطف الله لسرى — يعنى نفسه — يتقشف فى لبسه فلباسه القطن الخشن — والعرب تتمدح بخشونة الملبس والمطعم، وتعيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللئام — ويروى بسرى: أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهمته.

(٤) البنود: الأعلام الـكبيرة، وخفق البنود: اضطرابها. يقول: إما أن تعيش عزيزاً ممتنعاً من الأعداء، أو تموت موت الـكرام فى الحرب، لأن القتل فى الحرب يدل على شجاعة المقتول، والقتل خير من العيش فى ذل.

فَرُءُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْـــظِ وَأَشْفَى لِغِـلِّ صَدْرِ الحَقُودِ(١)
لاَ كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيــدِ(٢)
فاطْلُبِ العِزَّ فى لَظَى وَذَرِ الذلَّ وَلَوْ كَانَ فى جِنَانِ الخُلُــودِ(٣)
يُقْتَلُ العَاجِزُ الجَبَانُ وَقَدْ يَعْـجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ المَوْلُودِ(٤)
وَيُوَقَّى الفَتَى المِخَشُّ وَقَدْ خَـوَّ ضَ فى مَاءِ لَبَّةِ الصِّـنْدِيدِ(٥)
لاَ بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِى وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودِى(٦)

---

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهاب الغيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشفى لغل صدر الحقود من أعدائه . وقال العكبرى : تقول ذهبت بالغيظ ولا تقول ذهبته بل أذهبته ، والوجه أن يقول أشد إذهابا لغيظ ، لان أفعل لا يبنى من الإفعال إلا فى ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالغيظ لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت فى الحرب كريما ولا تعش كما عشت إلى الآن ذميما لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك ، فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يكترثون لموتك ، لأنهم إنما يبالون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكر بها . . . هذا : ويقال حي يحيي حياة وحي ـ بالإدغام ـ وقوله تعالى «ويحيى من حى عن بينة» قال الفراء : كتابها على الإدغام بياء واحدة هى أكثر القراآت .

(٣) لظى : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف ، والكلام كله مبالغة فى طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز فى جهنم ولا ذل فى الجنة .

(٤) البخنق : خرقة تقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فإياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) المخش : الجرىء على الليل والدخال فى الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ فى الخوض . واللبة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دمها ، والصنديد : السيد الشجاع . والبيت تكملة لما ذكره فى البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل يسلم الشجاع المغوار وقد خاض فى الحروب حتى غاص فى دماء الصناديد ، يحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نفسُ عِصامٍ سودت عِصاما وعَلَّمَتْهُ الكَرَّ والإقداما



وَبِهِمْ فَخْرُ كلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا
دَ وعَوذُ الجَانِى وَغَوْثُ الطَّرِيدِ(١)

إنْ أكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجِيبٍ
لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ(٢)

وَصيرَتْهُ مَلِكاً هُمَاماً حتى عَدَا وجاوزَ الأقْواما(١)

وقال عامر بن الطفيل :

وإنى وإنْ كُنتُ ابنَ سيِّد عامرٍ وفارِسَها المشهورَ فى كل مَوْكِبِ
فما سوّدَتْنِى عامرٌ عَنْ وِرَاثةٍ أبَى اللهُ أنْ أسْمُو بأمّ ولا أبِ
ولكِنَّنى أحْمِى حِمَاها وأتقِى أذَاها وأرْمِى مَنْ رَمَاها بمَنْكِبِ(٢)

قال الواحدى : لو اقتصر المتنبي على هذا البيت لكان ألأم الناس نسبا . لكنه قال بعده البيت التالى .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد فى غير العربية . يقول : على أنه بقومى فخر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجانى : أى أن من جنى جناية وخاف على نفسه لجأ إلى قومى ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد ــ وهو الذى نفى وطرد ــ أى أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) المعجب : الذى يعجب بنفسه . والعجيب : الذى يعجب غيره . يقول : إن كنت معجبا بنفسى فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد مزية يمتاز بها عليه ، فليس عجبى إذا بمنكر .

---

(١) عصام : هو حاجب النعمان بن المنذر ، وهو عصام بن شهبر الجرمى ، وفى المثل كن عصاميا ولا تكن عظاميا . يريدون به قول عصام هذا ، والعظامى . الذى يفتخر بآبائه ويتكل على مجدهم .

(٢) أسمو : من السمو ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنكب : يريد أرمى من رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنكب : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء من النكابة ، وهى العرافة .

أنا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ القَوَافِي ... وَسِمَامُ العِدَا وَغَيْظُ الحَسُودِ(١)

أنا فِي أُمَّـــةٍ تَدَارَكَهَا اللّـ ... ـــهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ(٢)

---

(١) ترب الإنسان : من ولد معه فى وقت ، والندى : الجود ، والسمام : جمع سم . يقول : أنا أخو الجود ولدنا معا ، وأنا رب القوافى ومبدعها ، إذ لم أسبق إلى مثلها ، وأنا قاتل أعدائى كما يقتل السم ، وأنا غيظ حسادى ، لأنهم يتمنون مكانى فلا يدركونه فيغتاظون .

(٢) تداركها الله : جملة معترضة ، وهى إما دعاء لها : أى تداركهم الله بالإصلاح ونجاهم من لؤمهم ، أو دعاء عليهم : أى أدركهم الله بالإهلاك لأنجو منهم . هذا وثمود قبيلة من العرب الأول واختلف القراء فى إعرابه فى كتاب الله : فمنهم من صرفه : ومنهم من لم يصرفه ، فمن صرفه : ذهب إلى الحى لأنه اسم عربى مذكر سمى بمذكر ؛ ومن لم يصرفه : ذهب به إلى القبيلة ، وهى مؤنثة .



وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان ـ من خراسان ـ هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران :

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدِي وُدَّا
بَلَغَ الْمَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَّا[1]
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدَا[2]
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهْيَ فَارِغَةٌ
مَثْنَى بِهِ وَتَظُنُّهَا فَرْدَا[3]
تَأْبَى خَلَائِقُكَ الَّتِي شَرُفَتْ
أَنْ لَا تَحِنَّ وَتَذْكُرَ الْعَهْدَا[4]

(١) أقصر عن الشيء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ، وقصر فيه : إذا لم يبالغ ، والضمير فى بلغ : للرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودى إياك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدنى بذلك ودا . وهذا من قول ذى الرمة :

وما زالَ يغلو حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا ... ويَزْدَادُ حتى لَمْ نجدْ ما يزيدُها

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفح الإناء : امتلأ . وتطفح : حال : أى طافحة : ومثنى : حال أخرى ، والضمير فى به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول : جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد ـ لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها ـ فصارت بذلك شيئين لا شيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ماخلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لا تشتاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لا تحن : أن هاهنا هى المخففة من الثقيلة ، ودخلت لا لتفصل بينها وبين الفعل ، فلهذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ،



لَوْ كُنْتَ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهَــرًا
كُنْتَ الرَّبِيــعَ وَكَانَتِ الْوَرْدَا[1]

* *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لاتحن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هى الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقَراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الخلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس فى العصر :

ألاعِمْ صــباحاً أيها الطللُ البالِي وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُرِ الخالى

والجمع : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* والعَصْرِ قبلَ هَذِهِ العُصورِ *[1]

والعصران : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

ولن يَلبَثَ العصرانِ يومٌ وليلة إذا طلبا — أن يدركا ما تيمما[2]

---

(١) أول هذا الرجز :

جَارِيَ لاتستنكرى عذِيرى سَيرى وإشــفاقى على بعيرى

العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لاتستنكرى ما أحاوله معذورا فيه . وسيرى عطف بيان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى ياجارية .
(راجع الرجز فى أراجيز العرب للبكرى) .

(٢) قبله :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لادواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المَنبِجى :

أَلْيَوْمَ عَهْدُكُمُ فَأَيْنَ المَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمُ غَدُ[(١)]

---

(١) يقول ـ مخاطبا أحبته ـ : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعدهذاالفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات ـ أى بعدما أطلب ـ ليس لهذا اليوم ـ يوم لقائكم للوداع ـ غد : أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غد لى بعد هـذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا مايراد بمتى : أى السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبعيد ؛ قال جرير :

فهيْهاتَ هَيهاتَ العَقيقُ وَمَنْ بهِ وَهَيهاتَ خِلٌ بالعَقيق نُحاوِله[(١)]

والتاء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاه ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البزى عن ابن كثير والكسائى بالهاء رداها إلى الأصل وقد كسرها جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت فى القفار :

يُصْبِحْنَ بِالقفرِ أتاوِيَّاتِ مُعْترِضَاتٍ غيرَ عُرْضِيَّاتِ

* هَيهاتِ مِنْ مُصْبَحِها هَيهاتِ [(٢)]

وقد أبدلوا الهاء الأولى منهاهمزة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أيْهات منكَ الحياةُ أيْهاتا *

وقال الجوهرى فى صحاحه : قال الكسائى من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قال أبومحمد عبدالله بن برى النحوى فى أخذه على الجوهرى : قال أبوعلى الفارسى : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيهات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز فى هيهات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التى فيها تاء الجمع التى للتأنيث ، ولا يجوز ذلك فى اللات

---

(١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والخل : الصديق . وهيهات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذا كان غريبا فى غير بلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أى غريبة من صواحبها لتقدمهن وسبقهن ، ومعترضات : أى نشيطة لم يكسلهن السفر ، غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .



أَلْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَباً مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمُ لاَ تَبْعُدُوا (١)
إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجُفُونِهَا لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ (٢)
قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِيَ مَنْ بِهِ وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتُهَا الْمُتَنَهِّدُ (٣)
فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا لَوْنِي كَمَا صَبَغَ اللُّجَيْنَ الْعَسْجَدُ (٤)

والعزى ؛ لأن لات وكيت لا يكون مثلهما جماعة ، لأن التاء لاتزاد فى الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقى الاسم على حرف واحد .

(١) المخلب : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه بإهلاكه الحيوان كأنه يفترسه . يقول : إذ تزعمون الفراق فإن الموت سيدركنى قبل أن تفارقونى فزعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعد منكم . وقوله لاتبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتمونى أبداً ، ومن رواه بفتح العين فهو من البعد ــ بفتحتين ــ بمعنى الهلاك : أى لاهتكتم ولا فجعت بكم . قال تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » أما بضم العين فهو من البعد ــ بمعنى البين والفراق ــ وقوله مخلبا : يروى مطلبا ؛ ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لو خيرت بينهما لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التى عصفت بى وأتت على وقتلتنى بعيونها لم تدر أن دمى فى عنقها وأنها باءت بإثم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه فى عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاة القضاء : أى جعله فى أعناقهم . وكذلك تقليد الولاة .

(٣) يقول : لما رأت اصفرار وجهى ــ وجداً بفراقها ــ قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذى أراه ؟ أومن المطالب به ؟ وتنهدت : أى علا صدرها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأت ــ فأجبتها وقلت : الذى فعل بى هذا ــ أو المطالب بى ــ هو المتنهد أى أنت . وقال العكبرى : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لمارأت اصفرارى قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن ــ فى البيت قبله ــ ويكون عجز البيت : لم تدر الخ ــ جملة فى موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والعسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لونى عدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لونى . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد مسها ذهب . قال الواحدى : إن الحياء لايصفر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان مختلطا بالخوف ، لأنها خافت



فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِى قَمَرِ الدُّجَى ... مُتَأَوِّداً غُصْنٌ بِهِ يَتَأَوَّدُ(١)
عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا ... سَلْبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ(٢)
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ ... وَذَوَابِلٌ وَتَوَعُّدٌ وَتَهَدُّدُ(٣)
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِى بَعْدَنَا ... وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهْوَ مُقَيَّدُ(٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشعارها خوف ماجنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول مايبدو منها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثانى : الظرف بعده ؛ ومتأودا : أى متمايلا ، حال من قمر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير فى به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة فى بياضها كالشمس إذا حلت فى القمر الذى يميل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تمايل بوجهها فى حال مشيتها . وقال ابن جنى : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا متمايلا شبهها بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه . يريد كانت كالقمر فى بياضها فلما اصفرت خجلا صارت الصفرة فى بياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو — على غير قياس — وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هى عدوية ؛ أو قاتلتى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها فى منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب .

(٣) وهواجل الخ : عطف على سلب النفوس — فى البيت السابق — والهواجل : جمع هوجل ؛ وهو المفازة لا أعلام بها والصواهل : الخيل والمناصل : السيوف ، والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العكبرى : والهواجل أيضاً النوق ويجوز أن يريد بها النوق ، ليكون أليق بالبيت ، لأن ذكر النوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : أبلاها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة فى الإبادة : أى وطئها وطأ ثقيلا كوطء المقيد ، وذلك أن المقيد لايقدر على خفة المشى ورفع الرجلين ، فهو يطا

بَرَّحْتَ يَامَرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ مَرِضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيدَ العُوَّدُ(١)
فَـلَهُ بَنُو عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ الرِّضَا وَلِـكُلِّ رَكْبٍ عِيسُهُمْ والفَدْفَدُ(٢)

وطأ ثقيلا . وقال ابن جنى : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فغيرها . قال الواحدى : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فيَاحسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إليهَا الدَّهْر فى صُوَرِ البِعَاد

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالممرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه مايلاقيه من جراء حبها حتى مرض طبيبه وزواره — حين هالهم مرضه — رحمة له ورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالممرض : جفنها ، ومرض الطبيب وعيد العودمثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود ، يبالغ فى شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة — ينتقده — : أبرح جنى فى التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناهيا ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كقول أبى نواس :

ضعيفةُ كرِّ اللحظ تحسَب أنها قريبة عهدٍ بالإفاقةِ مِن سُـقْمِ

ولو أراد تناهيه لقال تحسبها فى برسام(١) ، أو نزع روح .. إلى أن قال والدليل على كون الممرض هو المتنبى : قوله بعد :

* فله بنو عبد العزيز بن الرضا *

وقوله يأمرض الجفون : يروى يامرض الجفون — بكسر الراء — وهو قليل فى الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قال الأعشى :

يقضى بها المرء حاجاته ويشفى عليها الفؤاد السقِم

(٢) فله : أى للممرض المذكور — وهو المتنبى — والعيس : كرام الإبل ، والفدفد : المفازة . يقول : إن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويبلغ بهم آماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لا يحصلون من سفرهم على شىء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جنى : يريد أنه

---

(١) البرسام : التهاب الصدر .



مَنْ فى الْأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ
مَنْ فِيكِ شَأْمُ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ(١)
أَعْطَى فَقُلْتُ لِجُودِهِ مَا يُقْتَنَى وَسَطَا فَقُلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُولَدُ(٢)

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدها من الركبان . وقال ابن القطاع : يريد أنهم يجودون على كل أحد فكأنهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .

(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشأم : أى ياشأم . يقول : ليس فى الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تقل : من فيك ياشأم ؟ أى لاتخص الشأم وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوحد جميع الخلق وتقدير الكلام : من فى الأنام من الكرام يقصد سوى شجاع ، ولا تقل ياشأم من فيك ، فإنه أوحد الدنيا كلها ، لاواحد الشأم ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه قال : قل ياسامع من فى الأنام من الكرام ؟ ولا تقل ذلك للشأم ، لأنه قد علم أنه ليس من يقصد إلا هذا الممدوح . هذا : والشأم تذكر وتؤنث . قال ابن برى : شاهد التأنيث قول جواس بن القعطل :

جِئْتُمْ من البلد البعيد نياطه والشأم تُنْكَرُ كهلها وفتاها

(كهلها وفتاها : بدل من الشأم) وشاهد التذكير قول الآخر :

يقولون إن الشامَ يقتلُ أهله فمنْ لِيَ إنْ لم آتِهِ بخلود ؟

وقال ابن جنى : الشأم مذكر ، وأجاز تأنيثه فى الشعر ، والنسبة إليها شأمى ، وشآم على فعال ، ولا تقل شأم ، وماجاء فى ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد ، وشاهد شآم فى النسبة قول أبى الدرداء ميسرة :

فَهاتِكَ النجومُ وَهُنَّ خُرْس يَنُحْنَ على مُعَاوِيَةَ الشآمِ

وامرأة شامية ، وشآمية ــ مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، ومايقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا لسيفه مايولد ويقتنى : من القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ فى العطاء أكثر حتى قلت فى نفسى : إنه سيعطى جميع مايقتنيه الناس ، ولما سطا على الأعداء أكثر القتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون المقتنيات جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى فقلت لجوده مخاطبا : لايقتنى أحد مالا

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لِأَنَّهَا ... أَلِفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ(١)

فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ ... يَذْمُمْنَ مِنْهُ مَا الْأَسِنَّةُ تَحْمَدُ(٢)

نِقَمٌ عَلَى نِقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا ... نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ(٣)

فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ ... وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ(٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا فقلت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى فقلت: جميع مايقتنى الناس من جوده وهباته، وسطا فقلت لسيفه مايولد بعد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفناء ، فجعلهم طلقاءه وعتقاءه . قال ابن جنى : ظاهره وباطنه : هجاء — يعنى المصراع الثانى — وأحسن منه قول أبى تمام :

لم تبقَ مُشركةٌ إلا وقد عَلِمَتْ ... إنْ لم تَتُبْ أنه لِلسيفِ ما تَلِدُ

فجعله على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك — فكأنه هجا الرجل وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصى فضائله : لأنها وجدت طرائق الممدوح ومسالكه التى تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .

(٢) المعترك : ساحة القتال ؛ والمفرية : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تذم منه ماتحمده الأسنة ، وهو الإصابة فى الطعن وجودة الشق ، والكلى تذم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأسنة تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى: الناس يرون الكلى مشقوقة فيذمونه إذ لا رحمة له ، ويرون الأسنة منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والذم إلى الكلى والأسنة لأنهما السبب .

(٣) نقم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بيصبها : والجملة نعت نقم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول: إن النقم التى يصبها الممدوح على الأعداء — مضافة إلى نقم الزمان — هى نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التى لا تجحد ، يعنى اعتزاز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الغنائم بنكبتهم .

(٤) الشأن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : القلب . يقول : فى أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل فى أحد سواه ، فأى خصاله رأيت حمدتها.



أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهِزَبْرِ خِضَابُهُ ... مَوْتٌ فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ(١)
مَا مَنْبِجٌ مُذْ غِبْتَ إِلا مُقْلَةٌ ... سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نَوْمُهَا وَالْإِثْمِدُ(٢)
فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ ... وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ(٣)
مَازِلْتَ تَدْنُو وَهْيَ تَعْلُو عِزَّةً ... حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ(٤)
أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا ... لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ(٥)

---

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت ـ كذلك ـ خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزبر : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لحمة عند الكتف تضطرب عند الخوف. يقول : هو شجاع يتلطخ بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائصه .

(٢) الإثمد : نوع من الكحل . يقول : ليست منبج ـ وهى بلد الممدوح ، وعلى مرحلتين من حلب ـ مذ غبت عنها إلا كالمقلة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل ـ وهما اللذان تصلح بهما العين ـ يعنى أن صلاح منبج بحضورك .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

وكَانَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فيها بِأَبْيَضٍ ... فأضحَتْ وليْسَ اللَيْلُ فيها بأَسْوَدِ

(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛ فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وكلُّ أخٍ مفارِقُه أخوهُ ... لَعَمْرُ أبيك إلا الفرْقدانِ

يقول : مازلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشراح : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لساواها هذا الغير فى الشرف.

أَبْدَى الْعُدَاةُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ[(١)]
قَطَّعْتَهُمْ حَسَداً أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ فَتَقَطَّعُوا حَسَداً لِمَنْ لاَ يَحْسُدُ[(٢)]
حَتَّى انْثَنَوْا وَلَوَ انَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ فِى قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجَلْمَدُ[(٣)]
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هٰذَا السَّيِّدُ[(٤)]
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كَأَنَّكَ كُلُّهَا وَبَقِيتَ بَيْنَهُمُ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ[(٥)]

---

(١) يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدومك خوفا منك لا ابتهاجا بك ، وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعجهم ويقلقهم .

(٢) قطعتهم حسدا : أى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدهم إياك ، فكأنك قطعتهم أرباً . وقوله أراهم مابهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك ، فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد ليس من أخلاقه . فقوله حسدا : هو تميز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .

(٣) انثنوا : رجعوا ؛ والجلمد : الصخر ، والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر وحمارة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حتى انصرفوا عنك وعن مباهاتك عالمين بتخلفهم عنك وفى قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة مالو كان فى هاجرة لذاب الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن اظلم » ونحوه .

(٤) العلج — فى الأصل — حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم الجافى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا هيبتك وأنك سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادلهم على سيادتك ، فقالوا هذا هو السيد . لا سواه من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله : يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفردا مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول أبى نواس :



لَهْفَانَ يَسْتَوْبِى بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْكَ الْحِجَى وَالسُّؤْدُدُ(١)

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ(٢)

وَصُنِ الْحُسَامَ وَلَا تُذِلْهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ(٣)

وليسَ على الله بِمُسْتَنْكَرٍ أنْ يَجْمَعَ العالَمَ فى وَاحِدِ

وعبارة الواحدى : المعنى أنهم لصغرهم فى جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا فقدوا كنت أنت كل من بذلك المكان ، ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثانى ، وأتى بكاف التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء فى بقيت بينهم ؛ وأصل اللهف : حرارة الجوف من شدة وكرب ونحو ذلك . والمراد باللهفان هنا : الممتلىء غضبا . ويستوبى : يستفعل ، من الوباء ، وأصله يستوبئ ، خفف للضرورة . والورى : فاعل يستوبى ، والحجى : العقل ؛ والسؤدد : السيادة . ونهنهه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقيت غضبان حتى استوبأ الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكا لهم ، لو لم ينهك سؤددك وحلمك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن فى أى موضع شئت من البلاد ، فإنا ننتجعك ونصمد إليك ، فإن الارض التى تغدو وتروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها ، وأنت أوحدها لانظير لك فيها ، واذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلفنا إياه قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للممدوح فى أن يألف المتنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتذال ؛ وصنه استره . والجماجم : جمع جمجمة ؛ وهى قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ؛ والجماجم التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به الذمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول ما أذلته إلا لإدراك الثأر ، وإحماء الذمار ؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى



يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ   مِنْ غِمْدِهِ وكأنَّما هُوَ مُغْمَدُ[(١)]
رَيَّانَ لَوْ قَذَفَ الَّذِى أَسْقَيْتَهُ   لَجَرَى مِنَ الْمُهجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ[(٢)]
مَا شَارَكَتْهُ مَنِيَّةٌ فى مُهْجَةٍ   إلاَّ وَشَفْرَتُهُ عَلَى يَدِهَا يَدُ[(٣)]
إنَّ الرَّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا   حُلفَاءُ طَيٍّ غَوَّرُوا أَوْ أَنْجَدُوا[(٤)]
صِحْ يَا لَجُلْهُمَةٍ تجِبْكَ وَإِنَّمَا   أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدُ[(٥)]

الطيب ، وإنما المعنى : أكثرت القتل لحسبك وأغمد سيفك ، فقال: صن سيفك ، وإنما يريد أغمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم جمد على سيفك حتى صار كالغمد له ، فيرى وهو مجرد كأنه مغمد . . وهذا من قول البحترى :

سُلِبوا وأشْرَقَتِ الدِّماءُ عَليهم   مُحْمَرَّةً فكأنَّهم لم يُسْلَبُوا

ومن قول الآخر :

وفرَّقْتُ بينَ ابنىْ هُشَيمٍ بِطَعنةٍ   لها عاندٌ يكسو السَّليبَ إزارَا[(١)]

(٢) ريان ــ بالنصب ــ حال ، العامل فيه يبس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف . يقول . سيفك ريان فلو مج ما سقيته من دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزبد . يعنى أنك أكثرت به القتل.

(٣) المنية : الموت ؛ والمهجة : الروح ؛ وشفرته حده . يقول : لم يشترك سيفه والمنية فى سفك دم إلا كان سيفه يداً ليد المنية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده فى العمل . وعبارة ابن جنى : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر فى القتل.

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الرماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف وهو الصديق المحالف . وغوروا : نزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجدوا: نزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما ثقفوا وعموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأوليائهم ، كما قال أبو تمام :

فَإن المنَايا وَالصوَارِمَ والقَنا   أقارِبُهم فى الرَّوْعِ دُون الأقارِبِ

(٥) جلهمة : اسم طيىء ؛ وطيىء لقب له . واللام : لام الاستغاثة . والواو ــ فى

---

(١) عند العرق : سال فلم يكد يرقأ ، وهو عرق عاند . ودم عاند يسيل جانبا

مِنْ كلِّ أَكْبَرَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْباً وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِى أَجْوَدُ[1]

وإنما – للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت يالجلهمة أسرعت إليك وأحدقت بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أى إنسان بعينيك فكأنك أشرعت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . فقامت أشفار عينيك مقام الذابل – الرمح – والمهند – السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون إليك ويملأون الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتملأ من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعوا لِنزَالِ يَوْم كريهةٍ ستروا شَعاعَ الشمسِ بالخُرصانِ

[الخرصان : الرماح ؛ والخرصان : الدروع] وقال سلامة بن جندل :

إنَّا إذا ما أتانا صارِخٌ فَزِعٌ كان الصُّرَاخُ له قَرْعَ الظنابيب

« يقول سلامة : إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجد فى نصرته ، يقال : قرع لذلك الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه . والظنبوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر حمل قرع الصوت على ساق الخف فى زجر الفرس قرعا للظنبوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغوادي : السحائب المنتشرة صباحا . يقول – يصف رجال جلهمة – : من كل رجل أكبر قلبا من الجبال – يريد قوة قلبه وشدته – وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى وهو أجود من جود الغوادى وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهرى : تهامة ، بلد : والنسبة إليها تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشآم ، إلا أن الألف فى تهام من لفظها والألف فى يمان وشآم عوض من ياء النسبة قال ابن أحمر :

وَكُنا كابْنَىْ سُباتٍ تفرّقا سِوًى ثم كانا مُنْجِداً وتَهامِيَا

وَألقى التهامِي مِنهما بِلطَاتِهِ وأحْلَط هذا لا أَرِيمُ مكانيا[1]

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيبويه : من الناس من يقول تهامى ويمانى وشآمى – بالفتح – مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أوحلف مجتهداً ، ولا أريم مكانيا : لا أبرحه .

يَلْقَاكَ مُرْتَدِياً بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَى وَالأَكْبُدُ(١)

حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلاَهُمُ وَهُمُ المَــوَالِي وَالخَلِيقَةُ أَعْبُدُ(٢)

أَنَّى يَكُونُ أَبَا البَرِيَّةِ آدَمٌ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلاَنِ أَنْتَ مُحَمَّدُ(٣)

يَفْنَى الكَلاَمُ وَلا يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ
أَيُحِيطُ مَا يَفْــــنَى بِمَا لاَ يَنْفَدُ(٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جيدت الأرض فهى مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أَرْعَيْتُهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودا الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ واليعْضِيدا
والخازباز السِّنِمَ الجودا بحيثُ يدعو عامرٌ مَسْعودا

الصل : نبت ، وكذلك الخازباز ، والصفصل ، واليعضيد : شجر ونبت سنم مرتفع وهو الذى خرجت سنمته ، رهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان »

(١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك ، أو بمرتدياً ؛ ومن دم : صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرنده ، والطلى : الأعناق . يقول . يلقاك كل منهم متقلدا سيفا قد تلطخ بدم الأعناق والأكباد ، فاحمر واستترت خضرته ، وذهبت بهـا الطلى والأكبد . هذا : والأكبد : جمع كبد ؛ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد وأعبد وجمع كبد ــ بكسر الباء : أكباد وكبود كوتد وأوتاد .

(٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل «حتى» حي أى هم حي يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد .خبره ، والثقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف يكون آدم أبا الورى وأبوك محمد الطائى وأنت الثقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ، جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والـكمال . روى أن أبا تمام قال لابن أبى داود ــ لمـا اعتذر إليه ــ أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بغضب جميع الناس ؛ فقال له : ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وليْس عَلَى اللهِ بمستنكر أنْ يجْمَعَ العالم فى واحــد

(٤) ينفد : يفنى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما يفنى بما لا يفنى ،أو ماينفد



وقال وقد وشى به قوم إلى السلطان لحبسه فكتب إليه من الحبس :

أَيَا خَــدَّدَ اللهُ وَرْدَ الْخُدُودِ ... وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ[1]

فَهُــنَّ أَسَلْنَ دَمًا مُقْلَتِي ... وَعَذَّبْنَ قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ[2]

بعالا ينفد : لكان أحسن فى صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى يفنى .

(١) التخديد . الشق ، والقد . القطع طولا . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الخدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جنى . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رمى اللهُ فى عينىْ بُثينة بالقذى ... وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادح[1]

قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبى الطيب ، لأنه أخرجه فى معرض المجازاة لما ذكر فيما بعد . يريد جازاهن الله جزاء بما صنعن بى بالتخديد والقد قال . وهنا مذهب ثالث ، وهو إنما دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجده بها ، وحصلت له السلوة ، كما قال أبو حفص الشهر زورى .

دعوتُ على ثغـره بالقَلَـحْ ... وفى شَعر طُرته بِالجَلْح[2]

لعل غرامى به أن يَقِـلّ ... فقد برَّحت بى تلك الملح

قال العكبرى : والذى ذكره ابن جنى أحسن ، لأن المحب لا يدعو على محبوبه أبدا ، والذى أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن محب : لأن المحب الصادق يقف عند المعانى لا عند المحاسن .

(٢) يقول : هن أبكين عينى حتى بضت دما : وعذبن قلبي بنار الصد وهو عذاب

---

(١) يقال . قد أسرعت فى أسنانه القوادح . جمع قادحة ، وهى الجراثيم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر فى الأسنان .

(٢) القلح صفرة فى الأسنان ، ووسخ يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .



وكَمْ لِلْهوَى مِنْ فَتًى مُدْنَفٍ ... وكَمْ للِنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ[1]
فَوَاحَسْرَتَا مَا أَمَرَّ الْفِرَاقَ ... وأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ[2]

— لو علمت — ألم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلق مفعولا أول ، ولك أن تجعله تمييزا مقدما ، قال العكبرى النحوى الكوفى : وهذا جائز عندنا ، وعند المازنى والمبرد من البصريين ، ومنعه باقيهم كقولك تصبب عرقا زيد حجتنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أتهْجُرُ سَلْمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا ... وما كانَ نفساً بالفراق تَطيب[1]

تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى أن الفعل إذا كان متصرفا — نحو ضرب زيد عمرا — يجوز تقديم معموله عليه ، فتقول : عمرا ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل فى المعنى . فإذا قلت: تصبب زيد عرقاً فالمتصبب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد غلاما : لم يكن لزيد حظ فى الفعل من جهة المعنى ، بل الفاعل فى المعنى هو الغلام فلما كان هو الفاعل فى المعنى لم يجز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل النيل ، وكم للفراق من قتيل شهيد ! يعنى أن الحب يسقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل قد عف عن الخنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا: والدنف : المرض اللازم المخامر ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال: دنف لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثنى وجمع وأنث : فقال رجل دنف — بالكسر — ورجلان دنفان ، ورجال أدناف ، وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات وقد دنف المريض — بالكسر — أى ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى ولا يتعدى ؛ والشهيد — فى الأصل — من قتل مجاهداً فى سبيل الله ، ثم اتسع فيه فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

---

(١) للمخبل السعدى ، وسلمى جاءت ليلى فى بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة فى البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .



وأغرَى الصَّبَابَةَ بالعَاشِــقِينَ   وأقتَلَهَا لِلْمُحِبِّ العَمِيــدِ (١)
وَأَلْهَجَ نَفسِى لِغَــيْرِ الْخَنَا   بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى والنُّهُودِ (٢)
فَــكَانَتْ وَكُنَّ فداءَ الأميرِ   ولا زَالَ مِنْ نِعمَةٍ فى مَزِيدِ (٣)
لَقدْ حَالَ بالسَّيفِ دُونَ الْوَعِيدِ   وحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ (٤)
فَأَنْجُمُ أَمْوَالِهِ فى النُّحُوسِ   وأَنْجُمُ سُؤّلِهِ فى السُّــعُودِ (٥)

---

(١) أغرى من غرى بالشىء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالمعمود الذى أضناه العشق وهده .

(٢) لهج بالشىء يلهج لهجا : أولع به ؛ والخنا : الفحش ، وكلام خن ، وكلمة خنية ؛ وقد خنى عليه ـ بالكسر ـ وأخنى عليه فى منطقه : أفحش . قال أبو ذؤيب :

ولا تُخْنُوا عَلَىَّ ولا تشِطوا   بقول الفخر إن الفخر حوب

(لا تشطوا : لا تبعدوا ولا تجوروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بألهج ؛ واللمى : سمرة فى الشفة . يقول : ما أولع نفسى بحب السمر الشفاه ، الناهدات ، لغير الفحش والفجور .

(٣) كانت : أى نفسى ـ المذكور فى البيت السابق ـ واسم كن : يعود على ذوات اللمى ، وفى مزيد : خبر زال . يدعو للمدوح ، يقول : كانت نفسى وأحبائى اللائى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال فى مزيد من النعم .

(٤) يقول : لاوعيد عنده للأعداء ـ وإنما يناجزهم بالسيف ـ ولا وعد عنده للأولياء ـ وإنما يبادرهم بالسيب والعطاء ، فهو يعجل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداماً منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيبه ـ بحصوله عاجلا ـ بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهدد ، وهو يستعمل فى الشر خاصة . والوعود : جمع وعد . وهو ـ وإن كان يستعمل الخير والشر : إلا أن المراد به هنا : الخير .

(٥) تفريع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله فى نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله فى سعود لأنه يبذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، وينالون منــه مايقترحون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَعتْ على الأمــوالِ أنحَس مطــلع
وغــدَتْ عــلى الآمالِ وهى سُعُودُ



وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْـدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُـلُودِ (١)
رَمَى حَلَباً بِنَوَاصِي الْخُيُـولِ وَسُمْرٍ يُرِقْنَ دَماً فِي الصَّعِيدِ (٢)
وَبِيضٍ مُسَـافِرَةٍ مَا يُقِمْـنَ لا فِي الرِّقَابِ وَلا فِي الْغُمُودِ (٣)
يَقُدْنَ الْفَنَاءَ غَـدَاةَ اللِّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ (٤)
فَوَلَّى بِأَشْـيَاعِهِ الْخَرْشَنِيُّ كَشَاءٍ أَحَسَّ بِزَأْرِ الْأُسُـودِ (٥)
يُرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفْقَ الْبُنُودِ (٦)

---

(١) يقول : إنى إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التى لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفى عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .

(٢) النواصى : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعنى : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفى رواية : بنواصى الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجفان ــ الغمود ــ ومن الأجفان إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة فى شىء من ذلك ، ولهذا جعلها مسافرة .

(٤) يقدن : أى الرماح والجياد والسيوف .

(٥) ولى : أدبر ؛ وأشياع الرجل : أتباعه ومشايعوه الذين يطيعونه ؛ والشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحس على لفظه ،لامعناه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسدصوته، والخرشنى هو بدر الخرشنى ، أحد قواد الدولة العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة ــ بلد من بلاد الروم ــ يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغنم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون ــ بضم الياء ــ أى يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشنى وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفزع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول : وصهيل الجياد : مفعول ثان؛ والبنود : الرايات ، وخفقها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم ــ وهم هاربون ــ كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيـل الممدوح وراءهم وخفق راياته . وهذا من قول جرير :

ما زِلت تَحْسَبُ كل شىء بعدَهم خَيـلا تكرُّ عليكم ورِجالا



فَمَنْ كالأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الأَمِـــيرِ أَوْ مَنْ كَـآبَائِهِ وَالْجُدُودِ (١)
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صِــبْيَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فى الْمُهُودِ (٢)
أَمَالِكَ رِقِّى وَمَنْ شَــأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ (٣)
دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَــاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدِ (٤)
دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِى الْبَلاَءُ وَأَوْهَنَ رِجْلَىَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ (٥)
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فى النِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فى الْقُيُودِ
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فى مَحْفِــلٍ فَهَا أَنَا فى مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ (٦)

---

(١) من : استفهام معناه الإنـكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده . وقال ابن بنت الأمير لأن جـده لأمه كان أميراً أيضاً : يعنى أن الإمارة انحدرت إليه من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود والسؤدد وهم صغار على ماعهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالى : جمع معلاة . وهى كسب الشرف . قال ابن برى : ويقال فى واحدة المعالى : معلوه ، والصبية : جمع صبى ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعتق الحرية ، وهو اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسى عبودية ويا من شأنه أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلى ، وقوله ومن شأنه ــ بفتح الميم ــ اسم بمعنى الذى ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ،ومن شأنه ، جعلها جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقدما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه من حبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يبلى الجسم ، وبراه : هزله وأنحله ؛ وأوهنه : أضعفه والبلاء يروى البلى : أى الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون فى موضع ، وعنى بالقرود : المسجونين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات الشق الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت أجالس أوباش الناس .

تُعَجِّلُ فِيَّ وُجُوبَ الْحُدُودِ   وحَدِّى قُبَيْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ (١)

وقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وِلاَدِى وَبَيْنَ الْقُعُودِ (٢)

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلاَمِ   وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ (٣)

فَلاَ تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ   وَلا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ الْيَهُودِ (٤)

وكُنْ فارِقاً بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ   ودَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ (٥)

وَفى جُودِ كَفَّيْكَ ما جُدْتَ لى   بِنَفْسِى ولَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ (٦)

---

(١) تعجل : أى أتعجل ؟ . فهو استفهام إنكارى — على تقدير الهمزة — ويحتمل أن يكون خبرا ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، فكيف أحدّ ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبي غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبياً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف ؟

(٢) عدوت — من العدوان — أى البغى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس — وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد — أنى جرت وخرجت على الناس ... يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .

(٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلا : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط :ردت.

(٤) الكاشح : العدو الذى يضمر العداوة فى كشحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود : أى لجاجهم ، ويروى بمخل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهودا ولم يكونوا فى الحقيقة يهودا . .

(٥) دعوى — فى الموضعين — مضافة إلى الجملة المحكية ، والشأو الشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقا . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول: فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .

(٦) ما — من قوله ما جدت لى — مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح. يقول: إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .



ونام أبو بكر الطائى وهو ينشد فقال :

إنَّ القَـــوَافِيَ لم تُنِمْكَ وإنما
مَحَقَتْكَ حَتى صِرْتَ ما لا يُوجَــدُ[(١)]

فَــكأنَّ أُذْنكَ فُوكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وكأنَّهَا مِمَّا سَــكِرْتَ المُرْقِدُ[(٢)]

وقال يمدح محمد بن زريق الطرَسُوسِيّ :

مُحَمَّـــدُ بْنَ زُرَيْقٍ ما نَرَى أَحَــدَا
إذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطِى قَبْـــلَ أَنْ يَعِدَا

وقد قَصَــدْتُكَ والتَّرْحَالُ مُقْتَرِبٌ
وَالدَّارُ شَاسِــعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا[(٣)]

فَخَــلِّ كَفَّـــكَ تَهْمِي وَاثْنِ وابِلَهَا
إذا اكْتَفَيْتُ وإلاَّ أَغْــرَقَ الْبَـلَدَا[(٤)]

* * *

---

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولـكن السبب أنك حسدتنى على شعرى ، فمحقك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعرى ، نمت فـكأن ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك ؛ وقوله ممـا سكرت : أى من أجل سكرك : أى خدرك وتفترك : فما ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع : البعد ؛ ونفد : فرغ .

(٤) همى المـاء : سال ، وثناه صرفه ورده ، والوابل : المطر الغزير : يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عنى معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذى هو كالوابل يغرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحترى :

ما الشَّوْقُ مُقْتَنِعاً مِنِّى بذا الـكَمَدِ حَتَّى أكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلا كَبِدِ[1]
ولا الدِّيَارُ الَّتِي كَانَ الحَبِيبُ بهَا تَشْكُو إلَىَّ وَلا أشْكُو إلَى أحَدِ[2]

(١) الكمد : الحزن مع الهم : يقول : إن شوقى إلى الأحبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنونا ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسماع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً وبلى : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأحبة ، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقية وإنما هى مجازية ، وإنما تكون على ماذكر لو أن شكواها حقيقية وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول الببغاء .

لم يبقَ لى رَمَقٌ أشكو إليك به وإنما يتشكى من به رمق

وأيضاً لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله « ما الشوق مقتنعا » معنى ولما عطفها عليها دل على أنها منها ؛ وإنما يعنى : لا الشوق يقنع منى بهذا الكمد ، ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الكلام بقوله : الحبيب بها ، ثم ابتدأ فقال هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، ولا أنا أشكو إلى أحد : إما لجلدى ، أو لأنى كتوم لأسرارى ، فيكون قد نظر إلى قول القائل :

فإنى مِثْلُ ما تجدِينَ وَجْدى ولـكنى أُسِرُّ وَتُعْلِنينا

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام فى المصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلعنى على أمره ، وأنا لا أفشى سرى ، على رواية يشكو ـ بالياء ـ ومن روى بالتاء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفعت إليه من الوحشة والخلاء ، فتشكو: يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .

ما زالَ كُلُّ هَـزيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُهَـا
وَالسُّقْمُ يُنْحِلُنِي حَتَّى حكَتْ جَسَـدِي (١)

وكُلَّمَا فاضَ دَمْـعِي غاضَ مُصْطَبَرِي كَأَنَّ مَا سَالَ مِنْ جَفْنَيَّ مِنْ جَلَدِي (٢)

فأين مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفتُ بِهِ وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنَ يَحْيى صَوْلَةُ الأَسَدِ (٣)

لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنيا فَمِلْتَ بِهَا وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ (٤)

---

(١) الودق : المطر ، وهزيم الودق ؛ يريد سحابا هزيم الودق ، وهو الذى لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه : ويقال غيث هزيم ومنهزم ، وأكثر ما يستعملان فى صفة السحاب . وهو الذى لرعده صوت : يقال سمعت هزيمة الرعد ، ولا يستعمل فى صفة الودق . وفى معنى البيت يقول مخلد بن بكار الموصلى :

يا مَنزلا ضنّ بالسلام سُقِّيت صَوْباً من الغمام
ما ترك الحزْنُ مِنك إلا ما ترك السقْمُ مِنْ عظامى

ويقول ابن وهب :

لبِسَا البِلى فكأنما وَجدا بعدَ الأحِبةِ مثلَ ما أجد

وقال البحترى :

حَمَلَتْ مَعَالِمهُنّ أعباءَ البِلى حتى كأنّ نحولهنّ نحولى

(٢) غاض : نقص ؛ والمصطبر : الاصطبار ؛ والجلد : القوة والصبر . يقول : كأن دموعى جارية من جلدى ، لأنى كلما بكيت نقص صبرى ، فكأن دموعى من صبرى .

(٣) الزفرات : الأنفاس الحادة ؛ وكلف به : أولع ؛ ومن زفراتى : متعلق بمعنى أين ، تقديره : أبعيد حبيبى من زفراتى أم قريب ؟ . يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة مابى من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد ؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح . وفيه من البديع حسن التخلص .

(٤) يقول : لما رجحت كفتك ــ وقد وضعت الدنيا وأهلها فى الكفة الأخرى ــ علمت أن الرزانة للفضل ، لا للأشخاص : أى إذا رجح الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحترى :



مَا دَارَ فى خَلَدِ الأيَّامِ لِى فَرَحٌ أَبا عُبادَةَ حتى دُرْتَ فى خَلَدِى(١)
مَلْكٌ إذَا امْتَلأَتْ مالاً خَزَائِنُهُ أذاقَهَا طَعْمَ ثُكْلِ الأمِّ لِلْوَلَدِ(٢)
مَاضِى الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ(٣)
مَاذَا الْبَهَاءُ وَلاَ ذَا النُّورُ مِنْ بَشَرٍ ولا السَّماحُ الَّذِى فِيهِ سَماحُ يَدِ(٤)

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتتْ لدَى المجدِ حتى عُدَّ ألفٌ بِوَاحِدِ

(١) الخلد : البال والروع . يقول . لم يقع فى قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت أنت فى قلبى أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

إن دَهْراً يَلُفُّ شَمْلى بِسلْمَى لزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ

(٢) الثكل : فقد الأم ولدها . جعل الخزائن كالأم ، والمال كالولد . يقول : إذا امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول أبى نواس :

إلى فَتًى أمَّ مَالِهِ أبداً تسْعَى بجَيْبٍ فى الناسِ مَشقوقِ

(٣) الماضى : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة . يقول : إن حزمه فى الأمور يريه فى يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى بقلبه ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفطن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :

الألمعِىُّ الذى يَظُنُّ بِكَ الظنَّ كأنْ قد رَأى وقد سَمِعا

ويقول أبو تمام :

وَلِذَاكَ قيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وفى بعضِ القلوبِ عُيونُ(١)

ولقد كرر المتنبى هذا المعنى فى شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجودة الظن.

(٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماح : من رفعه فهو على جعل «ما» تميمية ؛ ومن رواه بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

---

(١) من مدحة له فى الواثق . ولذاك : أى لأنا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه.



أىُّ الأكُفِّ تُبَارِى الغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حتى إذا افترَقَا عادَتْ وَلَمْ يَعُدِ(١)

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ المَجْدَ مِنْ مُضَرٍ
حَتَّى تَبَحْتَرَ فَهْوَ اليَوْمَ مِنْ أُدَدِ(٢)

قَوْمٌ إذَا أَمْطَرَتْ مَوْتاً سُيُوفُهُمُ
حَسِبْتَهَا سُحُباً جادَتْ عَلَى بَلَدِ(٣)

لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِى مِنْكَ فى صِفَةٍ
إلاَّ وَجَدْتُ مَدَاها غايَةَ الأبَدِ(٤)

* * *

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون فى بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالغة ، وفى معناه :

يَجِلُّ عَنِ التشبيهِ لا الْكَفُّ لُجَّة ولا هُوَ ضِرْغَام ولا الرَّأىُ مِخْذَمُ

(١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أى مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير المثنى : يرجع إلى أى الأكف والغيث؛ يقول: أى كف سوى كف هذا الممدوح تبارى الغيث فى الجود ما اتفقا ما طرين،وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عادتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمطر ثم ينقطع ، وكفه تجودولا ينقطع جودها ، فهى تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلا .

(٢) مضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان . وتبحتر . انتسب إلى بنى بحتر ؛ وهم حى من طىء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرياً حتى نسله الممدوح إلى بنى بحتر ، فهو اليوم بحترى أددى .

(٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها — وهى تمطر الدم — بالسحب تجود بالمطر .

(٤) يقول : لم أفكر فى صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لاتنتهى كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فى أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتَّنَادِ[1]

(١) أحاد : يريد أأحاد ، فحذف همزة الاستفهام للضرورة — وإن لم يكن بالفصيح — وأحاد من الأبنية التى سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون إلى العشرة ، قال الكميت :

فلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتى رَمَيْتَ فَوْقَ الرَّجاءِ[1] خِصالا عُشارا

(١) فوق الرجاء أى فوق الرجاء الذى كانوا يرجون أنك تبلغه

« من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجَوْكَ وَلم يَبلُغ العمر سنّك ولا نَبت فيك اتغارا

لِأدنَى خَساً أو زَكاً من سنيكَ إلى أربَع فبَقَوْنَ انتظارا

يقول ؛ تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميرا مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتغارا أى أثغرت ولم تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغر فهو مثغور ، فإذا نبتت قيل : اتغر ، وأصله اثتغر ، فقلبت الثاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالخسا بفتح الخاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاى : الزوج و « خسارة » و « زكا » ينونان ولا ينونان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادلهم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : فبقون ، أى : انتظروك ، يقال : بقوت الشىء إذا انتظرته .

وانتظاراً منصوب بـ « بقون » لأنه فى معنى انتظروك انتظارا ، ومعنى يستريثوك يجدونك رائثاً أى بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الخمسين وأرمى ، أى زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرعت فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى ، ولم يقنعك ذلك ، حتى زدت عليهم بعشر خصال ، ففت السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين



. . . .

ولا يستعمل أحاد فى موضع الواحد ، فلا يقال هو أحاد ــ أى واحد ــ إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس. والليلة : تصغير ليلة ، والمرادبالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهم   دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ[1]

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهى) والتنادى : يوم القيامة ، سمى كذلك لأن النداء يكثر فى ذلك اليوم. قال الواحدى : أراد واحدة أم ست فى واحدة ــ إذا جعلتها فيها كالشىء فى الظرف ولم ترد الضرب الحسابى ــ سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسما لليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر . يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت فى هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة ، فهى لطولها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال فى ليلة ــ أى سبع ليال ــ يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية المبالغة فى الطول . وقال ابن جنى : يريد : ينادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله:

* أفكر فى معاقرة المنايا *

وعلى هذا استطال الليلة التى عزم فى صباحها على الحرب ، شوقا إلى ما عزم عليه ، وإنما حقر الليلة لعظم طولها ؛ ومنه قول الحباب بن المنذر الأنصارى .

---

(١) قبله:

ألا تسألانِ المرء ماذا يحاول   أنَحْبٌ فَيُقْضى أمْ ضَلال وَبَاطِلُ

أرى الناس لايدرون ما قدْرُ أمْرِهِم   ألا كلُّ ذِى لبٍّ إلى الله واسِلُ

ألا كلُّ شىء ما خلا الله باطِلُ   وكلُّ نعيم لا محالة زائِلُ

وقوله أنحب فيقضى ، فالنحب النذر . يقول : أشىء أوجبه على نفسه فهو يسعى فى قضائه أم ضلال ؟ .

كأنَّ بناتِ نَعْشٍ فى دُجاها خرائدُ سافراتٌ فى حِدَادِ (١)
أفكِّرُ فى مُعاقرةِ المنايا وَقَوْدِ الخيلِ مُشْرِفَةَ الهَوادِى (٢)

---

* أنا جُذَيلها المحكك وعُذَيقها المرجّب (١)

أقول : وهذا البيت ـ على غموضه وقبحه وأخطائه ـ لا يخرج عن معنى قوله :

مِنْ بعدِ ما كان ليلى لا صَباحَ لهُ كأنَّ أوَّلَ يومِ الحشرِ آخِرُهُ

(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله فى دجاها : حال من بنات نعش ، عاملها معنى التشبيه ، والضمير فى دجاها : لقوله لييلتنا . والخرائد : العذارى لم يمسسن ، أو الحييات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله فى حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير المستتر فيها . شبه بنات نعش ـ وهى مضيئة فى سواد الليل ـ بالحسان السافرات فى الثياب السود قال ابن جنى : لما شبههن ببياض النجوم فى سواد الليل كان حقه أن يذكر جوارى بيضا . والخرد ليس من البياض فى شىء ، إلا أنه فى الأمر الغالب إنما يكون للبيض دون السود ألا ترى أن السود فيهن التبذل ؟ وأراد شيئاً ، فذكر ما يصحبه مستدلا عليه ، فشبه بنات نعش فى ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات فى ثياب سود . قال الواحدى : ولعله أراد أن الحياء يكون فى البيض دون السود ، والبيت من قول ابن المعتز :

وأرى الثريّا فى السماء كأنها خُرُدٌ تبدَّتْ فى ثيابِ حِدَادِ

(٢) معاقرة المنايا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها فى عقر دارها ، وهو المعترك ، يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة الهوادى : أى طوال الأعناق حال ، وهى نكرة ، لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يتعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة فيه ينوى بها الانفصال . يقول : طالت على هذه الليلة مما أفكر فى الحرب ، وقود الخيل إلى الأعداء .

---

(١) الجذل ههنا : الأصل من الشجرة ، تحتك به الإبل فتشتفى به : أى قد جربتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما ، كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعذيق . تصغير عذق ـ بالفتح ـ وهو النخلة ، والترجيب : إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط : أى أن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى .



زَعِيمٌ لِلقَنَا الْخَطِّيِّ عَـــزْمِى بِسَفْكِ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالبَوَادِى (١)
إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلفُ وَالتَّوَانِى وكَمْ هَذا التَّمَادِى فِى التَّمَادِى (٢)
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المَعَالِى بِبَيْعِ الشِّعْرِ فى سُوقِ الْـكَسَادِ (٣)
وماَ مَاضِى الشَّــبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ ولاَ يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ (٤)
مَتَى لَحَظَتْ بَياضَ الشَّيْبِ عَيْنِى فَقَدْ وَجَدَتْهُ مِنْهاَ فى السَّوَادِ (٥)

(١) زعيم : أى كفيل ، خبر مقدم عن عزمى . والقنا : الرماح . والخطى ـ المنسوب إلى الخط ـ موضع باليمامة ؛ وقوله دم الحواضر والبوادى : أى دم سكانهما ، وهما جمع حاضرة وبادية ، والحاضرة : اسم يقع على المدن والقرى والريف ، وماسواها البادية ، وهى الصحراء . يقول : عزمى كفيل بسفك دم الناس جميعاً : حاضرهم والباد .

(٢) التمادى فى الأمر : بلوغ مداه ، والتمادى فى التمادى : أن يتتابع تماديه . يقول : إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر فى ذلك ؟ وإلى كم أتمادى فى التقصير تماديا متتابعاً ؟.

(٣) كسد الشىء : لم ينفق لقلة الرغب فيه . يقول : وإلى كم أشغل نفسى عن طلب المعالى بنظم الشعر فى مدح من لاقيمة عنده للشعر :

(٤) هذا كما قال :

* ولـكن ما يمضى من العيش فائت *

يريد التحضيض على طلب المعالى : أى أطلب الأهم فالأهم ، فإن أيامك لتنهب عمرك . وروى ابن جنى بمستفاد ـ بدل بمستعاد .

(٥) يقول : متى رأت عينى بياض الشيب فى شعرى فكأنى وجدته فى سوادها كراهية له ، وإذا ابيض سواد العين عمى صاحبها ، فكأنه يقول الشيب كالعمى ؛ وعبارة ابن جنى : كأن مافى وجهه من الشيب نابت فى عينيه ؛ وعبارة الخطيب التبريزى : إذا لحظت بياض الشيب ، فكأنما لحظت به بياضا فى العين ، ولا يمكنه أن يلحظ سواد عينيه إلا فى المرآة ، ولولا أنه بين سواد العين لحمل على سواد القلب لاحتماله ذلك . وهذا من قول أبى دلف :

فى كلِّ يومٍ أرَى بيضاء قد طَلَعَتْ كأنما طلَعَتْ فى ناظـــر البَصر

ويقول أبو تمام :

لهُ مَنظرٌ فى العينِ أبيَضُ ناصِعٌ ولـكنه فى القلب أسْوَدُ أسْفعُ

مَتَى مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي ... فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي ازْدِيَادِي [(١)]

أَأَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلَا أُكَافِي ... عَلَى مَا لِلْأَمِيرِ مِنَ الْأَيَادِي [(٢)]

جَزَى اللهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْراً ... وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ [(٣)]

فَلَمْ تَلْقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْسِي ... وَفِيهَا قُوتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ [(٤)]

أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ ... فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجَادِ [(٥)]

وَأَبْعَدَ بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي ... وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ [(٦)]

---

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور النقصان لما هنالك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :

إذا ما زَادَ عُمرُكَ كان نقصًا ... ونُقصانُ الحياةِ مَعَ التمامِ

وقال آخر :

إذا اتَّسَقَ الهلالُ وصار بدْراً ... تبينْتَ المحاقَ منَ الهلال

(٢) الأيادى : النعم . يقول : كيف أرضى بحياتى ولا أجازى الممدوح على ماله عندى من سالف النعم التى أسداها إلى ؟

(٣) المزاد : جمع مزادة ، وهى قربة الماء . يقول : إن إبلنا قد أضناها السير ، وهزلها حتى تركها كالمزاد التى كانت معنا ونفد ماؤها ، فجفت لطول السفر ، وعبارة ابن جنى : يريد : قد هزلها وأنضاها السير حتى صارت كالمزاد البالى ، فحذف الصفة ، قال ابن فورجه لا دليل على حذف الصفة ، وإنما أراد كالمزاد التى نحملها فى مسيرنا إذ قد خلت من الماء والزاد لطول السفر . والألف واللام — فى المزاد — للعهد ، والمعنى : إن المسير إليه أذهب لحوم المطايا ، وأفنى ماتزودنا من ماء وزاد ، فلم يبق من المطايا لحم ، ولا فى المزاد زاد .

(٤) العنس : الناقة الصلبة . والقراد : دويبة تلزق بالابل ونحوها — كالقمل للانسان — يقول : لم تصل ناقتى إلى هذا الممدوح إلا بعد أن أنضاها السير حتى لم يترك فيها من الدم مايقوت القراد.

(٥) الضمير فى صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة يقول : إن المسير أدنانى إليه حتى لم يبق بينى وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف . وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر فى القرب : بقاب القوس وحمائل السيف .

(٦) الضمير فى الفعلين للمسير ، والمصدر الاول — فى كل من الشطرين — مفعول به

فلمّا جئتُهُ أعلَى محَلٍّ وَأجلَسَنِي على السَّبعِ الشِّدَادِ[1]
تَهلّلَ قَبلَ تَسليمِي عَلَيهِ وَألقَى مَالَهُ قَبلَ الوِسَادِ[2]
نَلُومُكَ يا عَلِيُّ لِغَيرِ ذَنبٍ لِأنّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى العِبَادِ[3]
وَأنّكَ لاَ تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هِبَاتُكَ أنْ يُلَقّبَ بِالجَوَادِ[4]

والمصدر الثانى : مفعول مطلق . يقول : إن السير أبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التدانى الذى كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب البعاد الذى كان بيننا : أى قربنى إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عنى وجعل القرب قريباً منى . وحاصل المعنى : أننا كنا فى غاية البعد فصرنا فى غاية القرب . قال العكبرى : قال الحكيم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال العكبرى : وأخذت المعنى فقلت :

وكم منْ قريبٍ قلبُهُ عنك نازحٌ وكم مِنْ بعيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُغْرَمُ

(١) يقول : رفع منزلتى فى مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأنى به فوق السموات السبع . والشداد : المتقنة المحكمة الصنعة .

(٢) تهلل : تلألأ وجهه واستبشر برؤيتى . والوساد : ما يتكأ عليه . ومثل هذا قول الآخر :

إذَا مَا أتاهُ السائلون توقدَت عليهِ مصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ

والمصراع الثانى من قول على بن جبلة :

أعطيتَنى يا ولىّ الحمدِ مُبتدئاً عطيّةً كافأتْ مَدْحِى ولم ترنى
ما شمتُ بَرْقكَ حتى نِلتُ رِيقَهُ كأنما كنتَ بالجَدْوَى تبادرنى
فقدْ غدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنهُمَا تَلْقيحُ مَدْحٍ وَنَجْوَى شاعرٍ فَطِنِ
شُكْرٍ لتَعجيل مَا قدّمْتَ مِنْ مِنَنٍ عِنْدِى وشُكر لِمَا أوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أى حقرت أفعالهم ومناقبهم بزيادتك عليهم .

(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كأنَّ سَخاءَكَ الإسلامُ تخشى ... إذا ما حُلْتَ عاقِبَةَ ارْتِدادِ[(١)]
كأنَّ الهامَ في الهيجا عُيونٌ ، ... وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقادِ[(٢)]
وَقَدْ صُغْتَ الأسِنَّةَ مِنْ هُمومٍ ... فَما يَخْطُرْنَ إلاَّ في فُؤادِ[(٣)]

---

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتعتقده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هـذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكأنما المكرُماتُ لَدَيْهِمِ ... لِكثْرَةِ ما أوْصَوْا بِهِنَّ ـ شرائع

ثم قلبه فقال :

كَرَمٌ تَدِينُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ ... فكأنهُ جُزْءٌ مِنَ التوحيدِ

(٢) الهام : الرءوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف : طرقه وعمله . جعل الرءوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد يقول : إن سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تحل إلا في الرءوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو تقول: إن سيوفك ألفت الرءوس ألفة الرقاد للعين ، فلا تحل إلا فيها ، وعبارة الخطيب التبريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمنع منه العيون ، بل تطرأ عليها : حبت أم كرهت .

(٣) الأسنة : نصال الرماح . ويخطرن : إما بضم الطاء على إرادة الهموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول ؛ إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها الهموم لامحل لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كأنه كانَ تِرْبَ الحبِّ مُذْ زَمَنٍ ... فليسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلا كَبِدُ[(١)]

وفي معنى البيت يقول دعبل في سيدنا علي :

كأنَّ سِنانَهُ أبداً ضَميرٌ ... فليس له عن القلبِ انقِلابُ
وصارِمَهُ كبيْعته بِخُمٍّ ... فَمَوْضِعُها مِنَ الناس الرقاب[(١)]

---

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والـكبد ، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء إنه لخلب نساء : أي يحبه النساء .

(٢) خم — بضم الخاء ، وقيل بفتحها — موضع بالجحفة ، بين مكة والمدينة ، قضبت فيه عين هناك .



وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْثَ النَّوَاصِي مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ لِلطِّرَادِ(١)

وحَامَ بِهَا الهَلاكُ على أُنَاسٍ لَهُمْ بِاللَّاذِقِيَّةِ بَغْيُ عادِ(٢)

فَكَانَ الغَرْبُ بَحْراً مِنْ مِيَاهٍ وكَانَ الشَّرْقُ بَحْراً مِنْ جِيَادِ(٣)

وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ

فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبِيضِ الحِدَادِ(٤)

ويقول منصور النمرى :

وكأن موْقِعَهُ بجُمْجُمةِ الفتى سُكْرُ المدامَةِ أو نُعَاسُ الهاجع

ويقول مهلهل :

الطاعنُ الطعنَة النجلاء تَحْسَبُها نوْماً أناخَ بجَفْنِ العينِ يُغفيها

بِلَهْذَمٍ من هموم النفس صيغتُهُ فليس ينفكُّ يجرى فى مجاريها

(١) الضمير فى جلبتها : للخيل ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛ والأشعث : المغبر ، والنواصى : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث النواصى لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسبائب : شعر العرف والذنب . وهذا الشعر يعقد عند الحرب ، كما قال :

عقَدُوا النواصىَ للطِّعان فلا ترَى فى الخيلِ – إذ يغدُونَ – إلا أنزَعَا

وقوله ويوم إلخ : أى أذكرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذنابها ، يومئذ ظفرت بمطلوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛ والباء فى بها : متعلقة بحام والضمير : للخيل ، والبغى الظلم : يقول : دار الهلاك بخيلك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرين : أحدهما من الجانب الغربى ، وهو بحر الماء — لأن اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقى ، وهو جيش الممدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى فى بحر الجياد ، والبيض : السيوف ، والحداد : الرقاق ، يقول اضطربت الأعلام فى هذا البحر — بحر الجياد — وتحركت لك — لا عليك — فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف .

لَقُوكَ بِأَكْبُدِ الإِبِلِ الأَبَايَا فَسُقْتَهُمُ وَحَدُّ السَّيْفِ حادِ(١)
وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ الْغَىِّ عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ(٢)
فَمَا تَرَكُوا الإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادِ(٣)
وَلاَ اسْتَفَلُوا لِزُهْدٍ فى التَّعَالِى وَلا انْقَادُوا سُرُوراً بِانْقِيَادِ(٤)
وَلكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فى حَشَاهُمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فى رِجْلِ الْجَرَادِ(٥)
وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمُ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ(٦)
غَمَدْتَ صَوَارِماً لَوْ لَمْ يَتُوبُوا
مَحَوْتَهُمْ بِهَا مَحْوَ الْمِدَادِ(٧)

---

(١) الأبايا : جمع الأبية ، أى الآبية الممتنعة . يقول : لقوك عاصين غليظة أكبادهم كأكباد الإبل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد إليهم ، فذللتهم وسقتهم أمامك كما تساق الإبل ، وحاديهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بغلظ الكبد كما قال :

* لنحنُ أغلظُ أكباداً من الإبلِ

(٢) يقول : أخرجتهم من ضلال المعصية إلى رشد الطاعة . وفيه من البديع المقابلة بين الغى والرشاد .

(٣) انتحل الشىء : ادعاه . يقول : إنك اضطررتهم إلى ترك الإمارة فتركوها خوفاً ، وادعوا حبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانحطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : ثار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة فى فعله ولكن لأن ريح الخوف عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعفو عنهم كان ذلك إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبى تمام .

مَعاد البعثِ معروفٌ ولكنْ
نَدَى كفيك فى الدنيا مَعادِى

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الحبر ، يقول : سللت عليهم سيوفاً ، فلما عفوت عنهم أغمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لمحوتهم محو المداد .

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكَرَمِ التِّلَادِ(١)
فَلَا تَغْرُرْكَ أَلْسِنَةٌ مَوَالٍ تُقَلِّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِي(٢)
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْثِي لِبَاكٍ بَكَى مِنْهُ وَيَرْوَى وَهْوَ صَادِ(٣)
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ(٤)
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ(٥)

---

(١) الطريف : المستحدث . وانتصف منه : استوفى حقه ، والتلاد : القديم . يقول إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولى والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك المودة والمحبة وقلوبهم تضمر لك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رثى له يرثى : إذا رحم ؛ والصادى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم كالموت لا يرحم الباكى من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جنى : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب النفوس ؛ ومعنى يروى : ينال مالو أدركه لروى ؛ وفى معناه :

* كالمَوْتِ لَيْسَ لهُ رِيٌّ ولا شِبَعُ *

(٤) نفر الجرح : هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحترى :

إذا ما الجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تبيَّنَ فيه تفريطُ الطبيب

قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار . يقول : إن العداوة تكمن فى الوداد كمون النار فى الزناد والماء فى الجماد . كما قال نصر بن سيار :

وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعاً جَبَانٌ ... فَرَشْتَ لِجَنْبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ(١)
يَرَى فى النَّوْمِ رُمْحَكَ فى كُلاَهُ ... وَيَخْشَي أَنْ يَرَاهُ فى السُّهَادِ(٢)
أَشَرْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ ... نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ(٣)
وَظَنُّونِى مَدَحْتُهُمْ قَدِيماً ... وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمُ مُرَادِى(٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تُورِى ... وَإِنَّ الفِعْلَ يَقْدُمُهُ الكَلام

وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يغفل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفاء له . وعبارة ابن جنى : الأشياء تكمن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .

(١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقتاد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك يحول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القتاد ، وعبارة بعض الشراح كيف يبيت عدوك مضطجعاً . وكلما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القتاد ، من خوفك . يعنى : أنه لا يزال متيقظاً لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .

(٢) يقول : لشدة ارتياعه وذعره يراك فى نومه كأنك طعنت كليتيه برمحك ، فهو يخشى أن يرى ذلك فى اليقظة ، كما قال أشجع السلمى :

وعلى عَدُوِّكَ يا ابْنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبح والإظلامُ
فإذا تنبهَ رُعْتَهُ وإذا غفا ... سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأحلام

ولقد قصر أبو الطيب فى تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلا ، ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا .

(٣) و (٤) يقول : مدحت قوما أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ، فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودونى شيئاً ، وظنوا أنى كنت أمدحهم وأثنى عليهم بذلك المديح ، مع أنى إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفى هذا المعنى يقول أبو نواس :

وإنْ جَرتِ الألفاظُ مِنَّا بمِدْحَةٍ ... لِغيرِكَ إنساناً فأنتَ الذى نَعْنى

ويقول كثير :

مَتى ما أقلْ فى آخرِ الدهرِ مِدحةً ... فما هِىَ إلا لابنِ ليلى المكَرَّمِ

وقد ذهب اليازجى — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والتاء

وَإِنِّي عَنْــكَ بَعْدَ غَـدٍ لَغَادٍ
وَقَلْـبِي عَنْ فِنَـائِكَ غَيْرُ غَادِ(١)

مُحِبُّــكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَــتْ رِكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِــلَادِ(٢)

— إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشر ، وهو الفرح بالشيء والاغترار به ، كأنه يقول : إنى اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن فى ذاته ، إلا أنه يفتقر إلى ثبت .

(١) الغدو الذهاب صباحا ، ثم كثر حتى استعمل فى مطلق الذهاب : أى وقت كان والفناء : الساحة والمنزل . يقول : إنى مرتحل عنك ، وقلبي مقيم عندك . قال العكبرى وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبى تمام :

مُقيمُ الظنِّ عندكَ والأماني   وإنْ قلِقَتْ رِكابي فى البلادِ

(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأنى إنما آكل مما أعطيتنى وزودتنى ، وهذا من قول أبى تمام :

وما سافرْتُ فى الآفاقِ إلا   وَمِنْ جَدْوَاكَ راحِلتى وزَادِي



وقال يمدح بدر بن عمار الأسدى الطبرستانى ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبى بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨

أَحُلْمًا نَرَى أَمْ زَمَانًا جَدِيدَا ... أَمِ الْخَلْقُ فى شَخْصِ حَىٍّ أُعِيدَا(١)

تَجَلَّى لَنَا فَأَضَأْنَا بِهِ ... كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُعُودَا(٢)

رَأَيْنَا بِبَدْرٍ وَآبَائِهِ ... لِبَدْرٍ وَلُوداً وَبَدْراً وَلِيدَا(٣)

---

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟ فهو الآن مدع وقوع أحدهما لا محالة ؛ لجرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمراً : أى لست أشك فى ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ، وهى للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر يتعجب من جمال زمان الممدوح . يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛ فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل — فى شخص رجل حى — وهو الممدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل والمكارم وسائر المعانى المحمودة ، فكأنهم أعيدوا فى شخصه ، كما قال أبو نواس :

وليْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العالمَ فى واحِدِ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا الممدوح فسرنا به فى الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التى تسعد ببروجها ،

(٣) ولوداً : أى والداً ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار بدراً مولوداً ، وبرؤية آبائه والداً لبدر ؛ وعبارة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه والداً لقمر وقمراً مولوداً . جعله فى الضياء والشهرة والعلو والحسن كالقمر ، والقمر لا يكون مولوداً ولا والداً ، فجعله كالقمر المولود وأباه كالوالد للقمر ، وعنى بالبدرين الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم الممدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال : ويقال الإشارة فى هذا إلى أن الممدوح فيه معانى البدور من الضوء والحسن والكمال لا معانى بدر واحد . وعبارة ابن جنى : رأينا هذا الممدوح وأباه قد ولد منه قمر فى الحسن ، فكأنه قد صار للقمر والداً ؛ ورأينا هدا الممدوح قمراً وليداً ، والبدر لا يكون والداً ولا مولوداً حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال أنت قمر وأبوك أبو القمر .

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِى رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَا[١]

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بَخِيلٌ بِأَنْ لا يَجُودَا[٢]

يُحَدَّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهًا كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُودا[٣]

وَيُقْدِمُ إِلاَّ عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلاَّ عَلَى أَنْ يَزِيدَا[٤]

---

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا ستحقاقه غاية الخضوع منا له ؛ فلم يرض ذلك ؛ فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أى هو أمير ؛ وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدأ مؤخر . أى هو أمير ، الندى أمير عليه ، أى ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أى لا يكون بخيلا ألبتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شىء إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك والمصراع الأول من قول النمرى :

وقفتُ على حاليكما فإذا النَّدَى عليكَ — أميرَ المؤمنينَ — أمير

وقول أبى تمام :

ألاَ إِنَّ النَّدَى أضحى أميراً عَلَى مالِ الأميرِ أبى الحُسينِ

(٣) يقول : لا يحب أن يمدحه أحد بحضرته تنزها عن ذلك المدح ، كأن له من نفسه قلباً يحسده ، فلا يحب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أنا بالوُشاةِ إذا ذَكرتكَ أشبهُ تأتى الندى وَيُذَاعُ عنكَ فتكرهُ

وقد قال أبو تمام :

وكأنما نافسْتَ قدْرَكَ حظهُ وحَسَدْتَ نفسَكَ حِينَ أنْ لم تُحْسَدِ

اجتمع المتنبى وأبو تمام فى حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافست قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى فى الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن كنت مفرداً فيها ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسدك على فضائلك ، فهو يكره أن تشتغل بذكرها ، وهذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتمعا فى حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار فى الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَـــاءِ فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَجِدْهُ جُدُودا(١)
وَرُبَّتَمَا حَمْـــلَةٍ فى الْوَغَى رَدَدْتَ بِهَا الذُّبَّلَ الشُّمْرَ سُودَا(٢)
وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَنَصْلٍ قَصَفْتَ وَرُمْحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيدَا(٣)
وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلاَ مَوْعِـــدٍ وَقِرْنٍ سَبَقْتَ إِلَيْهِ الْوَعِيدا(٤)

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ماهو عليه من علو الشأن وجلال القدر ، فإنه لاغاية له وراءه ، وهذا من قول أبى تمام :

فلوْ صورتَ نفسكَ لم تَزِدها على ما فيكَ من كرَم الطبـــاع

(١) النوال : العطاء ؛ والجدود : جمع جـد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن عطاءك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحدا بر سعـــد ببرك فصار برك حظا له . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو أحد شقى القضاء .

(٢) التاء — فى ربتما — للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السمر : الرماح . يقول رب حملة لك على أعدائك فى الحرب رددت بها رماحك السمر سودا : أى لطختها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صحبك بنجدتك ، ورب سيفٍ كسرته بقوة ضربتك ، ورب رمح أتلفته بالطعن فى الأضلاع وقد أتلف نفس المطعون . فقوله مبادا مبيدا : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى فى السيف قول البعيث:

وَإِنَّا لَنُعْطِى المَشْرَفِيَّةَ حَقَّها فَتَقْطَعُ فى أيمانِنا وَتَقَطَّعُ

ويقول أبو تمام :

وما كنْتَ إلا السّيفَ لاقى ضَرِيبةً فقطّعها ثُمَّ انثنَى فتقطّعـــا

(٤) القرن : الكفؤ فى الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعد ، بل تعطيه ابتداء ؛ ورب كفؤ لك فى الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :

لقدْ حالَ بالسّيف دُونَ الوعيدِ وحالتْ عطاياهُ دُونَ الوعود



بهجر سُيُوفِكَ أغْمادَهَا تمَنَّى الطُّلَى أنْ تكُونَ الغُمُودا[1]
إلى الهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدَراً عَنْ وُرُودٍ وُرُودَا[2]
قتَلْتَ نفُوسَ العِدا بالحديدِ حَتَّى قتَلْتَ بهِنَّ الحَدِيدَا[3]
فَأنفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ البَقَاءَ وَأبْقَيْتَ مِمَّا ملَكْتَ النُّفُودَا[4]
كأنَّكَ بِالفَقْرِ تبْغِي الغِنَى
وَبِالمَوْتِ فى الحَرْبِ تبْغِى الخُلُودَا[5]

---

(١) الطلا : الأعناق ، والغمود : جمع غمد ، جفن السيف . يقول : إن سيوفك لأنها لاتفتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب – تبقى أبداً هاجرة أغمادها ، ومن ثم تتمنى الاعناق أن تكون أغماداً لها حتى تنال من الهجر مانالت الأغماد : أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبدا . وهو معنى دقيق رائع .

(٢) الهام : الرءوس يقول : إن سيوفه لاتعود إلى أغمادها أصلا فقد هجرتها إلى الرءوس لأنها أبداً تصدر عن رأس لترد رأسا غيره ، فيكون صدورها عما وردت عليه ورودا على مثله . فقوله إلى الهام : متعلق بهجر فى البيت السابق – أى بهجر سيوفك أغمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمنا . ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا : أى صادرة عن مثل ماهجرت إليه . والصدر – فى الأصل – صدور الشاربة عن الماء بعد الرى ، والورود عكسه ؛ وصدرا ووردا : مفعولان لترى ، وورود : متعلق بصدر :

(٣) يقول : مازلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بهن : أى كسرته وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام :

وَمَا مَاتَ حتى مَاتَ مَضْرِبُ سيفهِ مِنَ الضَّرْبِ واعْتلَّتْ عليه القنا السُّمرُ

(٤) أنفدت : أفنيت ؛ والنفود : الفناء ؛ والضمير فى عيشهن : لنفوس الأعداء وأفنيت بقاء نفوس الأعداء : أى أهلكتهم بإحلال آجالهم ، وأبقيت نفود المال الذى تملك : أى أتلفته حتى لم يبق منه إلا العدم . يقول : إنك أهلكت أعداءك وفرقت أموالك .

(٥) يقول : لإفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبغى بذلك الغنى ؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه . فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه .



خلائقُ تَهدِى إلَى رَبِّهَا ... وآيَةُ مَجْدٍ أَراهَا العَبِيدا[1]

مُهَذَّبَةٌ حُـلْوَةٌ مُرَّةٌ ... حَقَرْنَا البِحَارَ بِهَا وَالأُسُودَا[2]

بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَصْـفُهَا ... تغولُ الظُّنُونَ وَتُنْضِى القَصِـيدَا[3]

فَأَنْتَ وَحِيـدُ بَنِى آدَمٍ ... وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدا[4]

**

(١) فاعل أراها : ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق — يعنى ماذكر فى الأبيات السابقة — يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هى أخلاق عجيبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد القادر ، وهى آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أى صاحبها ، وهو الممدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كى ينهجوا منهجه .

(٢) يقول : هذه الخلائق مهذبة لا عيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النقمة واللأواء ؛ ولقد حقرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما فى الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جنى : حلوة : فكل أحد يعشقها ويستحسنها . ومرة لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغاله أهلكه . وأنضاه : هزله . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأنا نراها ، ولكن لا نقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لا لأنه وجد لك نظير قديما ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة فى بنى آدم . وعبارة الواحدى : لم تصر وحيدا ، لأنك فقدت نظيرا كان لك، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهى صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بنى آدم فى كل خلائقك ، ولست بواجد لك نظيرا ، فلست مفردا من فقدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أى أنت وحيد لم تزل

وقال لما استعظم قوم ما قاله فى آخر مرثية جدته :

يَسْتَعْظِمُونَ أُبَيَّاتاً نَأَمْتُ بِهَا ... لا تَحْسُدُنَّ عَلَى أَنْ يَنْأَمَ الأَسَدَا[١]

لَوْ أَنَّ ثَمَّ قُلُوباً يَعْقِلُونَ بِهَا ... أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدَا[٢]

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمى :

أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ ... وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ[٣]

---

(١) أبيات : تصغير أبيات ، صغرها تحقيرا لها . ونأم الأسد زأر : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون أبياتا هى عندى حقيرة . ثم قال لا تحسدن الأسد على زأره .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير — فى قوله تحتها — للأبيات ، والحسدا : مفعول أنساهم . يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ماتضمنته أبياتى من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد .

(٣) الفعال هنا : مصدر فعل فعالا : كذهب ذهابا ؛ والفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبله : اسم فعل بمعنى دع ، وأكثره منصوب به ، والجد — بالكسر — الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أغناك ذلك عن تعرف الأكثر . يعنى أنى لاأفعل فعلا إلا ومرماى المجد ، فكل أفعالى — قليلها وكثيرها — إنما هى فى سبيل المجد وهذا الجد والإشاحة فى سبيل المجد ، وترك التوانى فى ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبارة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومغزاى المجد ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نومى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأكثر لقال : تغريرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل المجد وتحصيله . يقول: إذا عرفت كون الأقل مجدا أغناك ذلك عن تعرف الأكثر . وقوله وذا الجد ، معناه أن الجد فى طلب المجد جد معجل ، لأن استعمال الجد فى الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجد فى الأمور .

سَأَطْلُبُ حَـــقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ ... كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ(١)

ثِقَالٍ إِذَا لاَقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا ... كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا(٢)

وَطَعْنٍ كَأَنَّ الطَّعْنَ لاَ طَعْنَ عِنْدَهُ ... وَضَرْبٍ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدُ(٣)

إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحٍ ... رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ(٤)

أَذُمُّ إِلَى هٰـــذَا الزَّمَانِ أُهَيْـلَهُ ... فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْـــزَمُهُمْ وَغْدُ(٥)

---

(١) يقول : سأطلب حقى بالرماح وبصحب لى لايفارقون الحروب ، فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم ، فكأنهم مرد واللثام فى الحرب عادة العرب ،لئلا تسقط عمائمهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ،وبالمشايخ عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محنكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشايخ ، هذا : والمشايخ جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيخة وأشياخ وشيوخ . واللثام : مايجعل على الوجه من فاضل العمامة .

(٢) ثقال وما بعده : نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأتهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالخفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم ـ على قلتهم فى العدد ـ يغنون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا انتصفوا من أعدائهم وغلبوهم فى قلة عددهم فهو أفخر لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير ـ فى عنده ـ يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لاطعن عنده . فى موضع رفع خبر كأن . يقول : وأطلب حقى بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لاشىء ، وبضرب حار كأن حر ، النار بالإضافة إليـــه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابح : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع فى قومه ، فمتى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله: فى فمها ، أراد: فى أفواهها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صغر الأهل تحقيراً لهم . والفدم : العيي فى ثقل وقلة فهم . والوغد : الأحمق الخسيس .

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ ... وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ[(١)]

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى ... عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ[(٢)]

---

(١) وأكرمهم كلب : أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمور — من البصيرة — أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد — وبه يضرب المثل فى كثرة النوم . وفى حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها فى البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرماً ، منه وحسن خلق . والقرد يضرب به المثل فى الجبن والحذر ويقال : إن القرد لاينام إلا وفى كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالحر : الكريم — ضد اللئيم — يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لايجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مداجاته ، لكان أشبه ؛ والذى قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفى قوة المعنى : أن المداجى : المساتر للعداوة وقد يساتر للعداوة من لايظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمراً عظيما ؛ ونكداً فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجى . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد بهذا السلطان الذى لابد من صداقته بإخلاص القول والنية ، فبأيها أخل دخل منه الضرر ، وهذا الذى يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبى . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته: خبر . قال العكبرى : وأراد مامن إظهار صداقته فحذف المضاف . وفى الواحدى — بعد هذا البيت — هذان البيتان :

فيانكد الدُّنيا مَتى أنت مُقْصِرٌ ... عَنِ الْحُرِّ حتى لا يكون له ضِدُّ

يَروحُ ويَغْدُو كارِهاً لِوِصالِهِ ... وَتَضْطَرُّهُ الأيامُ والزمَنُ النَّكْدُ

ولا يوجدان فى سائر نسخ الديوان .



بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرْوَ مِنْهَـــا مَلاَلَةٌ
وَبِي عَنْ غَوَانِيهاَ وَإِنْ وَصَـــلَتْ صَدُّ(١)

خَلِيلاَىَ دُونَ النَّاسِ حُزْنٌ وَعَبْرَةٌ عَلَى فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهُمَا فَقْدُ(٢)

تَلَجُّ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا جُفُونِي لِعَيْنَيْ كُلِّ بَاكِيَةٍ خَدُّ(٣)

---

(١) بقلبي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير فى منها : للدنيا ؛ والغوانى : جمع غانية وهى المرأة التى غنيت بجمالها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظى منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة ، وبى إعراض عن نسائها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغبن فى وصالى ، ولله أبو العلاء المعرى حين يقول :

وَقد غَرِضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِغِرٍّ بعدُ ما غَرِضَا(١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلازمانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبنى لفقده حزن وعبرة لست أفقدهما . وقوله: دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها ،وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبرة على التنازع ، وجملة مالهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، ويروى تلح : من قولهم ألح السحاب بالمكان : إذا أقام به ، يقول : لاتخلو جفونى من الدموع فكأن جفونى خد كل باكية فى الدنيا . يعنى أن مايسيل من جفونه مثل الذى يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة فى كثرة ما يجرى من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لاتخلو الدنيا من باكية تجرى دموعها .

---

(١) غرضت : ضجرت وسئمت . والغر : الذى لم يجرب الأمور ؛ وقبل البيت :

إذا الفتى ذَمَّ عَيْشاً فى شَبيبتِهِ فمَا يقولُ إذَا عَصْرُ الشبابِ مَضَى

وقد تعوَّضْتُ مِنْ كلٍّ بمشبهِه فمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصِّبَا عِوَضَا

وبعدهما البيت وبعده :

جرَّبْتُ دَهْرِي وأَهْلِيهِ فمَا تركَتْ لِيَ التجارِبُ فى وُدِّ امْرِىءٍ غَرَضَا



وَإِنِّي لَتُغْنِينِي مِنَ المَاءِ نُغْبَةٌ ، وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرُّبْدُ(١)
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السِّنَانُ لِطِيَّتِي ، وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي المُجَلِّحَةُ العُقْدُ(٢)
وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ ، وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَا لَهُ جُهْدُ(٣)
وَأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ الْعِيِّ وَالغَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمُ ضِدُّ(٤)
وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ(٥)

---

(١) و (٢) النغبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامة ربداء . وذلك لما فى لونها من الغبرة . يضرب بها المثل فى الصبر على العطش ، والطية المكان الذى تطوى إليه المراحل وينتوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطنى عن الزاد . والمجلحة : الذئاب المصممة . يقال جلح الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعقد ، وهو الذى فى ذنبه عقدة ، وقيل : الذى انعقد لحمه ضمراً وهزالا . يصف المتنى نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة فى أموره ، وعدم إسفافه ، وقلة مبالاته بالمشرب والمطعم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التى لايهمها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغيبة : الاسم من الاغتياب ، وهو الوقوع فى عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إنى أكبر نفسى أن أجازى عدوى بالاغتياب ، لأن ذلك طاقة من لاطاقة له بمواجهة عدوه ومحاربته . ولله قول أياس ابن قتادة :

نعاقِبُ أيْدِينا وَيحْلُمُ رأيُنا وَنَشْتُمُ بالأفعالِ لا بالتَّكَلُّمِ

(٤) أصل العى : العجز عن الحجة ؛ والعى فى الكلام : الحصر . والغبا : الغباوة . أى قلة الفطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل العى والغباء رحمتهم وأشفقت عليهم ، وإذا أبغضونى عذرتهم ، لأنهم أضداد لى بسبب ماييننا من التباين ، والضد يبغض ضده .

هذا ومفعول أعذر — كما قال العكبرى — محذوف ، والمفعول يحذف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شىء) أى شيئاً .

(٥) الأيادى : النعم ؛ يقول : يمنعنى من الانصراف إلى غيره ماله عندى من النعم التى يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفاً لها لكثرتها وتوافرها إذ لايسعها مفهوم هذا اللفظ .



تَوَالَى بِلاَ وَعْدٍ وَلٰـكِنَّ قَبْلَهَا ... شَمَائِلَهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدُ(١)

سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَـــاحِبى ... إِلَى السَّـــيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللهُ لاَ الْهِنْـدُ(٢)

فَلَمَّا رَآنِى مُقْبِلاً هَزَّ نَفْسَـــهُ ... إِلَىَّ حُسَامٌ كُلُّ صَفْحٍ لَهُ حَدُّ(٣)

هذا ، وقال العكبرى : رفع عند ــ وهى لاتستعمل إلا ظرفا ــ لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه فى الأمر : كذا عندى . فيقول الآخر : أو لك عند ؟ أى أولك فهم ؟ فجعلها اسما ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال: الخير عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون فى كل الجهات . قال : وقال يونس يوما فى كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة :أيقال عند ؟ فقال: نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ماكان عندى ذلك ، فقال له أو لك عند ؟ وقال الطائى :

وما زال منشوراً عَلَىَّ نَوالهُ ... وعندِىَ حتىقد بقيتُ بِلا عِنْد

(١) توالى ــ بحذف إحدى التاءين ــ أى تتوالى . ويروى : توالت . والضمير للأيادى ؛ وشمائله : أى أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفى البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أى أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبى : بدل من السيف يقول . سريت إليه ومعى السيف يصحبنى فى طريقى فكان مسرى سيفى إلى سيف آخر ــ يعنى الممدوح ــ إلا أن سيفى مما طبعته ــ أى عملته ــ الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام ــ أى سيف قاطع ــ فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح ، وصفح السيف جانبه ، وله نعت صفح . يقول : لما رآنى مقبلا عليه هز نفسه للقائى كما يهز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أى كل وجه من صفحيه حد ينفذ فى أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما نقطع بحده .



فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْــرُ نَحْوَهُ
وَلاَ رَجُـــلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأُسْــدُ(١)

كَأَنَّ الْقِسِيَّ الْعَاصِيَاتِ تُطِيعُهُ هَوًى أَوْ بِهَا فى غَيْرِ أُنْمُلِهِ زُهْدُ(٢)
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّىْءَ مِنْ قَبْلِ رَمْيِهِ وَيُمْــكِنُهُ فِى سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ(٣)
وَيُنْفِذُهُ فى الْعَقْدِ وَهْوَ مُضَيَّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ(٤)
بِنَفْسِى الَّذِى لاَ يُزْدَهَى بِخَدِيعَةٍ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ(٥)

---

(١) قال الواحدى : تحقيق الكلام : فلم أرقبلى من مشى نحوه رجل كالبحر فى الجود ، وعانقه رجل كالأسد فى الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصيات : القسى الشديدة التى تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنها تطيعه إذا جذبها حباً له أو زهدا فى غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الاصابة لمساعفتها إياه تكاد تسبق رميه ، ويكاد السهم لانقياده له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة فى وصف اقتداره على الرمى .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذ عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات المتنبى فى شعره ويقوى ذلك أيضا أن يكون أراد به فى الحقيقة يصيب عقد الشعرة ، والعقد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه فى العقدة الضيقة من الشعرة السوداء فى الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التى تعد غلوا .

(٥) ازدهاه : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذى هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لايغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بشق وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد والموجدة . وقال ابن جنى : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنى أزدهيك بالخديعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لايجوز مثله . قال : وهذا مذهبه فى أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حذقا منه بصنعة الشعر ، كما كان يقول فى كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة ــ يرد على ابن جنى ــ : إنما فعل ذلك فى مدائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبدا أسود لم يكن يفهم شيئا ، ولم يفهم ماينشده ، فأما على بن محمد ابن سيار فمن صميم بنى تميم ،عربى لم يزل يمدح وتنتابه الشعراء ، وليس فى هذا البيت مايدل

وَمَنْ بُعْدُهُ فَقْرٌ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنًى ، وَمَنْ عِرْضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدُ (١)
وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ (٢)

على أنه يعني غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسى أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرمى في عقدة من شعره فى ليل مظلم أول محال ادعى للمدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له فقذفه .

(١) ومن عرضه حر : أى لامغمز فيه عزيز عزة الحر ، ومن ماله عبد : أى ممتهن مبذول فى سبيل المجد . وفى البيت من الطباق مالا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن كل ساقط لئيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لايشاكله . وعبارة ابن جنى : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتيقظ ومعرفة مايأتى ومايدع . قال ابن الشجرى — لماذكر كلام ابن جنى هذا — : لايخلو من أحد معنيين . أحدهما أنه يورى عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولايستحق أن يحرم معروفا ؛ والمعنى غير ماذهب إليه ، وذلك أنه وصف الممدوح بالتيقظ ومعرفة مايأتى ومايذر فيضع الصنائع فى مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخى من جاد بماله تبرعا ، وكف عن أموال الناس تورعا ، ويمنع ماله من كل دنىء : إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعنى أنه يقل عن المدح والهجاء كما قال :

صَغُرْتَ عن المديح فقلتَ أُهْجَى كأنك ما صَغُرْتَ عن الهجاء

والذم : مضاف إلى المفعول ، والفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى « لقد ظلمك بسؤال نعجتك » أى بسؤاله ؛ وابن جنى ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن فى قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذى لأن « كلا » لايضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تبعيضه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذى أكرمته ؛ فإن قلت : كل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمتهم .



وَيَحْتَقِرُ الْحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمُ فى الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ(١)

وَتَأْمَنُهُ الأَعْــدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ، وَلَـكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِى يُذْنِبُ الْحِقْــــدُ(٢)

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ(٣)

---

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لاعن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . يقول إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لايستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيرا لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن المذنب : يعنى أنه يحتقر أعداءه ولايكترث لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جنى : ليس يؤاخذ المذنب بقدر جرمه وإنما يؤاخذ على قدر الذنب ولاقدر عنده لمن أجرم ، فهولايعبأ بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثالهم .

(٣) يقول : إن كان جدك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كماء الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

يُحْيِي بِحُسْنِ فعــالِه أفعالَ والدِهِ الْخُــلاحِلْ(١)

كالورْد زَالَ وماؤُهُ عَبِقُ الرَّوائِحِ غيرُ زائلْ

هذا : وقد كرر المتنبي تفضيل الفرع على الأصل فى غير موضع فقال :

* فإنَّ فى الخمرِ مَعْنًى لَيْسَ فى الْعِنَبِ *

وقال :

فإن المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغزالِ *

---

(١) الخلاحل : السيد فى عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ ... وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ(١)

لَهُمْ أَوْجُهٌ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ ... وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَأَلْسِنَةٌ لُدُّ(٢)

---

(١) يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحترى :

ولم أرَ أمثالَ الرِّجالِ تفاوَتَتْ ... إلى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحِدِ

وقال غيره :

وَمَا الناسُ إلا واحِدٌ كَقَبيلَةٍ ... يُعَدُّ وَألْفٌ لا يُعَدُّ بواحِدِ

هذا : وقد أنث الألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنه أهل النصرة . قال العكبرى النحوى الكوفى وحجتنا مجيئه فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : ففى الكتاب العزيز « ذو مرة فاستوى ،وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد — صلى الله عليه وسلم — فعطف وهو على الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قلتُ إذْ أقبلت وزُهرٌ تهادَى ... كنعاج الفلاَ تَعسَّفْنَ رَمْلا

فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير توكيد . وقال الآخر :

ورجا الأخَيْطِلُ فِي سَفاهَةِ رأيِهِ ... ما لم يكن وأبٌ له لِينَالا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير توكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « اسكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « يراكم هو وقبيله » . . وقالوا : لايخلو إما أن يكون مقدراً فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدراً — نحو قمت قام وزيد — فكأنه قد عطف اسماً على فعل وإن كان ملفوظا به — نحو قمت وزيد — فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لهم : أى لآل سيار الذين انفرد الممدوح بمناقبهم . والغر : جمع أغر ، وهو الأبيض المشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكنون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمة : أى بالعطاء ومعرفة عد : أى قديمة كثيرة لاتنقطع مادتها كالماء العد : أى الغزير الذى لاتنقطع

وَأَرْدِيَةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْكُوزَةٌ سُمْرٌ وَمُقْرَبَةٌ جُرْدُ (١)

وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلاَ أَبَوَاهُمُ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَابْنُ طَابِخَةٍ أُدُّ (٢)

فَبَعْضُ الَّذِى يَبْدُو الَّذِى أَنَا ذَاكِرٌ
وَبَعْضُ الَّذِى يَخْفَى عَلَىَّ الَّذِى يَبْدُو (٣)

أَلُومُ بِهِ مَنْ لاَمَنِى فِى وِدَادِهِ
وَحُقَّ لِخَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُّ (٤)

مادته . واللد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد ألسنة قوية فى مواطن الكلام

(١) خضرة الرداء : يكنى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان لأن خضرة النبات تدل على الخصب وسعة العيش . والملك : السلطان ، يذكر ويؤنث ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد المملكة . ومركوزة سمر : أى رماح تركز فى الأرض وتنصب ، والمقربة : الخيل تربط قريبة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة إليها أو للبخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم فى النسب لأن جميع محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لا أموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : فما ماتوا ، ولكنه حذف الفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرُها
والشرُّ بالشرِّ عندَ اللهِ مِثْلانِ

أراد فالله يشكرها . وتميم بن مر ، وأد بن طابخة : قبيلتان مشهورتان من العرب ، إليهما ينتسب الممدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذى أذكره وأشيد به من فضائله هو بعض مايظهر لى والذى يظهر لى هو بعض ماكان خافياً على ، يعنى أنه قد بقى من تلك الفضائل مالم يعلمه ، وبقى مما علمه مالم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض ـ فى الشطرين ـ خبر مقدم عن الموصول الثانى

(٤) يقول : من لامنى فى وده لمته بما وصفت من فضله فيتبين أنه خليق بمودتى . لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضا . وحق له كذا ـ بضم الحاء ـ إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرْقِهِ
بَنِي اللُّؤْمِ حَتَّى يَعْبُرَ المَلِكُ الجَعْدُ(١)

فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ العُلَى
وَلاَ فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ المِسْكُ وَالنَّدُّ(٢)

* * *

وودع صديقاً له يقال له أبو البهى فقال ارتجالا عند مسيره عنه :

أَمَّا الفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ هُوَ تَوْأَمِي لَوْ أَنَّ بَيْناً يُولَدُ(٣)

---

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه فى طرق المجد ؛ وبنى اللؤم : أى يابنى اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندى ، وإذا قيل فلان جعد اليدين أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لئيم لايبض حجره . وأنكر الأصمعى الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : السخى ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .

(٢) يقول : ليس فى طبائعكم أن تنازعوه العلى، كما أنه ليس فى طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره فى بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرهما ويقال للاثنين إذا ولدا فى بطن : هما توأمان ؛ وفى التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توائم وتؤام . قال عنترة :

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ(١)

---

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلا : أى شجاعا . الثانى : أنه جعله طويلا شبهه بالسرحة ــ وهى الشجرة الكبيرة ــ الثالث أنه جعله شريفا للبسه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلقناميا، لأن التوأم يكون أنقص خلقا وخلقا وقوة وعقلا ، والسبت الجلد المدبوغ .



وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطِيعُهُ ... لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ(١)

وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَهِيِّ نَقَلْنَنَا ... عَنْكُمْ فَأَرْدَأُ مَا رَكِبْتُ الْأَجْوَدُ(٢)

مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنَّنِى ... مَنْ لَا يَرَى فِى الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ(٣)

وقال يمدح الحسين بن على الهمذانى :

لَقَدْ حَازَنِى وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بُعْدُ ... فَيَا لَيْتَنِى بُعْدٌ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدُ(٤)

أُسَرُّ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرَ مَا مَضَى ... وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ(٥)

سُهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِى الْعَيْنِ عِنْدَنَا ... رُقَادٌ وَقُلَّامٌ رَعَى سَرْبُكُمْ وَرْدُ(٦)

يقول : أما الفراق فهو شيء أعهده من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت:هو توأمى: أى لا أنفك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمى . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهده من فراقك ؛ يعنى إن وجد فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لافراق غيره

(١) يقول : لما علمنا أن خلودنا فى هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا لازب ، فلا مندوحة لنا عن الانقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا : وعبارة الواحدى : لما كنا نموت ونفنى ، علمنا أننا ننقاد للفراق .

(٢) أبا البهى : أى ياأبا البهى — وهى كنية المدوح — يقول : إذا نقلتنا الخيل عنكم وباعدت ما بيننا فإن أجودها حينئذ أردؤها . لأنه يكون أسرع فى إبعادنا عنكم.

(٣) يقول: من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذى لا أرى فى الدهر شيئاً محمودا : يعنى أن كل الأشياء مذمومة عندى لا أخص الفراق دون غيره .

(٤) يقول : لقد ضمنى واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فياليتنى بعد لأحوزه فأكون معه ، وياليته وجد ليحوزنى ويتصل بى : أى فنجتمع ولا نفترق .

(٥) الصلد : الشديد الصلب . يقول إنى أسر بأن الهوى يجدد لى ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه وحنينا إليه .

(٦) فى العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون فى السباخ .قال ابن البيطار فى مفرداته عن أبى حنيفة الدينورى القلام تسميه الأنباط قاقلى ، وهو من الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب ـ بالفتح المال الراعى ، وبالكسر :القطيع

مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَأَنْ لَمْ تُفَارِقِى ،
وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكِ الْوَعْدُ(١)
وَحَتَّى تَكَادِى تَمْسَحِينَ مَدَامِعِى ، وَيَعْبَقُ فى ثَوْبَىَّ مِنْ رِيحِكِ النَّدُّ(٢)
إِذَا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لاَ يَدُومَ لَهَا عَهْدُ(٣)
وَإِنْ عَشِقَتْ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ،
وَإِنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ(٤)

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لذ فى أعيننا كالرقاد ؛ والقلام : الذى ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحبى إياكم أستلذ الألم ويحسن فى عينى ماليس بالحسن .

(١) ممثلة : خبر عن محذوف : أى هى ـ المخاطبة ـ ممثلة ، يقول : أنت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن يأسى من وصلك وعدمنك بالوصل

(٢) يقول : وحتى تكادى ـ لتخيلك حاضرة بجانبى ـ تمسحين مدامعى بيدك فيعبق طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لئِنْ بَعُدَتْ عَنِّى لَقَدْ سَكَنتْ قَلْبِى *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها ؛ لأن شنشنتها الغدر ؛ وقد وفت بالعهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لاتبقى على عهد ؛ فوفاؤها ـ إذن ـ غدر .

(٤) فركت المرأة زوجها تفركه فركا : أبغضته : فهى فارك وفروك ، وكذلك فركها زوجها ، والفرك ـ بكسر الفاء ـ البغض . قال رؤبة :

فعَفَّ عن أسرارِها بعد الغَسَقْ وَلَمْ يُضِعْهَا بين فِرْكٍ وَعشَقْ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين . ورجل مفرك : لايحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أنشد ابن الأعرابى :

مُفَرَّكَةٌ أَزْرَى بها عند زوجها ولو لَوَّطَتْهُ هَيَّبانٌ مُخالِفُ(١)

---

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لطخته بالطيب ما كانت إلا مفركة لسوء مخبرتها ، كأنه يقول : أزرى بها عند زوجها منظر هيبان : أى يهاب ويفزع من

وَإنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فى قَلْبِهَا رِضًى ... وَإنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فى قَلْبِهَا حِقْدُ

كَذَلِكَ أَخْلاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا ... يَضِلُّ بِهَا الهَادِى وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ(١)

وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ القَلْبَ فى الصِّبَا ... يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ(٢)

سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مُزْنٍ سَقَتْكُمُ ... مُكَافَأَةً يَغْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَغْدُو(٣)

يقول : إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعا وأقل صبرا ؛ وإذا أبغضت : جاوزت الحد كذلك فى البغض ، وفى هذه الحالة لا تطمع فى تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هى مغلوبة على أمرها — وقال الواحدى : وإن شئت قلت : فاذهب فى ذلك الفرك .

(١) يقول : هذه هى أخلاق النساء ، بيد أنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبارة ابن جنى : يخلصن فى أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن ، وهذا كالتمهيد لما سيعتذر به عن نفسه فى البيت التالى . كأنه يقول : وإنى مع طبى بأخلاق النساء وتحذيرى منهن لم أصن قلبى عن هواهن ووقعت فى شراكهن .

(٢) قلنا: إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعد ماأبان مساوىء أخلاقهن . يقول : ولكن حبا خالط قلبه فى زمن الصبا واستحكم فيه قبل أن تحكمه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .
يزداد ويشتد على كر الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التى سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود الممدوح مكافأة لها على مافعلت ، فيغدو إليها بالسقيا كما تغدو هى إليهم ، جعل الممدوح يسقى السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفى البيت من حسن التخلص مالا يخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهى المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

ألم تر أن الله أنزل مُزْنَةً ... وعُفْرُ الظباء فى الكناس تَقَمَّعُ(١)

دنا منه ، أى أن منظر هذه المرأة شىء يتحامى فهو يفزع ؛ وقيل: إنما الهيبان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الظبية : إذا لسعتها القمعة ودخلت فى أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل فى أنوف الدواب ، وقيل: يركب رءوس الدواب فيؤذيها

لِتَرْوَى كما تُرْوِى بِلاداً سَكَنْتَهَا ... وَيَنْبُتَ فيها فَوْقَكَ الفَخْرُ وَالمَجْدُ (١)

بِمَنْ تَشْخَصُ الأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ ... وَيُخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجُلِ البُرْدُ (٢)

وَتُلْقِى وَمَا تَدْرِى البَنَانُ سِلاَحَهَا ... لِكَثْرَةِ إيماء إليه إذا يَبْدُو (٣)

ضَرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِى الهَامِ فى الوَغَى ... خَفِيفٌ إذا ما أَثْقَلَ الفَرَسَ اللِّبْدُ (٤)

بَصِيرٌ بأَخْذِ الحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ ... وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الأُسْدُ (٥)

بِتَأْمِيلِهِ يَغْنَى الفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ ... وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ المُهَنَّدِ يَنْقَدُّ (٦)

والمزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوى السحاب بنداه كما تروى بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطاياك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تنال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد نابتين فيها لما شربت من سقياه ، قاله ابن جنى والواحدى والعكبرى .

(٢) بمن : متعلقة بتروى ، أو ينبت : أى لتروى السحاب بهذا الممدوح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حواليه حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون ما فى أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن »

(٤) الهام: الرءوس . والوغى : الحرب واللبد : ما تحت السرج. يقول : إنه شجاع ضروب لرءوس الأبطال ميدان القتال، خفيف مسرع إلى الوغى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبده ثقيلا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد فى فكى الأسد لأحرزه حبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وبتأميله : متعلقة يغنى ؛ وبالذعر متعلق بينقد . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه لأنه لا يخيب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .



وَسَيْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسُلُّهُ
لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغِمْدُ(١)
وَرُمْحِي لَأَنْتَ الرُّمْحُ لَا مَا تَبُلُّهُ نَجِيعاً وَلَوْلَا الْقَدْحُ لَمْ يُثْقِبِ الزَّنْدُ(٢)
مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمُ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا(٣)
فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ(٤)
صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو(٥)

---

(١) الواو فى قوله وسيفى : للقسم ، ومما السيف منه : خبر مقدم عن الغمد ، و الميم فى منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظما له ، يقول : إنى أقسم بسيفى على أنك إذا سللت سيفا للضرب فأنت السيف فى الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاءه إنما هو بك . ولما جعله سيفا جعل غمده من الحديد الذى السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى : إذا لبست الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالغمد . وعبارة ابن جنى : لأنت السيف ، لاالذى تسله الأعداء . أى أنت فى الحقيقة سيف لاالذى يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع والجوشن كنت كالسيف ، وكانا لك كالغمد .

(٢) النجيع : الدم ، ونجيعا : تمييز ، والزند : مايقتدح به ؛ ويثقب : يورى ناراً يقول : وحق رمحى لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئا كما أنه لولا قدح القادح لم يور الزند.

(٣) قوله من القاسمين : أى هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛ وأسدى إليه معروفا اتخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكروننى على الاخذ والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم عدوا ذلك إحسانا منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ *

(٤) جعل شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء وعلى الشكر الذى هو عطاء ثان . وفى هذا المعنى يقول أبو يعقوب الخريمى :

كأن عليه الشكرَ فى كلِّ نعمةٍ يُقلِّدُنيها بادياً ويعيدها

(٥) صيام : أى واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة



وَأَنْفُسُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارِ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفْدُ(١)
كَأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرٌ فَفِيهَا الْعِبِدَّى وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ(٢)
أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَبِسَ الْعُلاَ
رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الْخَدُّ(٣)
وَغَالَ فُضُولَ الدِّرْعِ مِنْ جَنَبَاتِهَا عَلَى بَدَنٍ قَدُّ الْقَنَاةِ لَهُ قَدُّ(٤)
وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَداً ، وَكَانَ كَذَا آبَاؤُهُ وَهُمُ مُرْدُ(٥)
مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
مِنَ الْعُدْمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ(٦)

بأبوابهم ؛ وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى أنهم مخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، جمع وافد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير محجوبين عمن يقصدهم من الوادين ، وأموالهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يبعثونها إليهم ، فأموالهم مبذولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والمطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شىء ، حتى العبيد والخيل .

(٣) جعل الممدوح قمراً وأباه شمساً ، يريد رفعتهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول. قد لبس العلى ثوبا ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالها : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجنباتها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقد القناة ، ليس بأقعس ولا بأحدب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشىء أمرد ، وكذلك كان يفعل أباؤه .

(٦) من فى قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمر أو بدل من ضميره ؛ جعل العدم — أى الفقر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن



حَبَانِى بِأَثمَانِ السَّــوَابِقِ دُونَهَا مَخَافَةَ سَيْرِى إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ(١)
وَشَهْوَةَ عَوْدٍ إِنَّ جُــودَ يَمِينِهِ ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ وَالْجَــوَادُ بِهَا فَرْدُ(٢)
فَلَا زِلْتُ أَلْقَى الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا وفى يَدِهِمْ غَيْظٌ وفى يَدِىَ الرِّفْدُ(٣)

أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه — أى إلى أبى الممدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى وهذا كما يقول ابن الرومى:

يا رَمِدَ العينِ قُمْ قبالَتَهُ فَدَاوِ باللَّحْظِ نحوَهُ رَمَدَكْ

هذا : والعدم والعدم إذ ضممت الأول : سكنت الثانى ، وإن فتحته فتحت الثانى : كالسقم والسقم ، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمدة ، ورمد الرجل : هاجت عينه فهو رمد وأرمد .

(١) حبانى : أعطانى ؛ والسوابق : الخيل ، ودونها : حال من السوابق . يقول : أعطانى أثمان الخيل — أى المال الذى تشترى به الخيل السوابق — ولم يعطنى الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه ، لأن الخيل بجريها تعين على السفر والبعد فهى من أسباب الفراق وأعوانه . وقوله : إنها ، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف ويكون الكلام قد تم بسيرى ؛ وبفتحها على تقدير اللام : أى حبانى بذلك لأنها .

(٢) شهوة : عطف على مخافة . وبها : صلة الجواد ، والضمير للأثمان أو لقوله ثناء ؛ لأنها عطايا ثناء : أى مثنى مثنى . يقول : حبانى بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى حبائى مرة أخرى قبل انصرافى لأن جوده مثنى وإن كان هو فردا لا نظير له .

(٣) بمثلها : أى بمثل أثمان الخيل ، أو بمثل عطاياه المذكورة فى قوله : ثناء ثناء — كما سبق — . يدعو لنفسه يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظا عنده أتلق عطاياه وألق بها حسادى فأفطر قلوبهم ، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . ويروى غيض بدل غيظ: أى فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة، وبالفتح: المصدر رفده يرفده رفداً أعطاه ؛ ومنه الرفادة وهى شىء كانت قريش تترافد به فى الجاهلية فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيما أيام الموسم فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام موسم الحج ، وكانت الرفادة والسقاية لبنى هاشم ؛ والسدانة واللواء لبنى عبد الدار ، وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمى هاشما لهشمه الثريد : والرافدان دجلة والفرات . قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك فى تقديم ابن المثنى عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ويهجوه .

وَعِنْدِى قَبَاطِىُّ الْهُمَامِ ومَالُهُ وعِنْدَهُمُ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجُحْدُ[(١)]

يَرُومُونَ شَأْوِى فى الْكلامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِى الْفَتَى فِيمَا خَلاَ الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ[(٢)]

فَهُمْ فى جُمُوعٍ لاَ يَرَاهَا ابْنُ دَأْيَةٍ ، وَهُمْ فى ضَجِيجٍ لا يُحِسُّ بِهَا الْخُلْدُ[(٣)]

ومِنِّى اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ؛

فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ[(٤)]

بَعثْتَ إلى العرَاقِ ورافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أحذَّ يَدِ القميصِ[(١)]

(١) القباطى : جمع قبطية . وهى ثياب بيض تعمل فى مصر ؛ والجحد : إنكار الشىء مع العلم به . يقول : ولا زال عندى ثياب الممدوح وماله ، وعند حاسدى إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع مايدعى حسداً لى وستراً لما فضلت به عليهم ، وقال ابن جنى فى معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أو بر من هذا الممدوح؟ قالوا: لا، فذلك هو الجحد وليس شىء .

(٢) الشأو : الغاية . يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايتى فى الشعر وهم بالقياس إلى كالقرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه فى جميع أفعاله ماخلا المنطق فإنه يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامى .

(٣) ابن دأية : هو الغراب ، يقع على دأية البعير — الدبر — فينقرها قال الشاعر :

إن ابْنَ دَأْيَةَ بالفِراقِ لَمُولعٌ وبما كرِهْتُ لدائمُ التنعابِ

وهو يوصف بحدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل فى قوة السمع . يقول : هم فى جموع قليلة ، لا يبصرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية فى الحقارة ودقة الشأن ، حتى لو أن ذلك كان فى أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أو فى أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : منى استفاد الناس كل شعر بارع رائع بديع وانتحلوه . ثم التفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازونى بالحمد على قصائدى فليكن

---

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أحذ يد القميص : أراد أحذ اليد ، فأضاف إلى القميص لحاجته ، وأراد خفة يده فى السرقة ، وقيل : إن الأحذ المقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالى ، فجعله كالأحذ الذى لا شعر لذنبه .



وجَـــدْتُ عَلِيًّا وابْنَهُ خَـــيْرَ قَوْمِهِ
وهُمْ خَـــيْرُ قَوْمٍ واُسْـــتَوَى الْحُرُّ والْعَبدُ[١]
وأَصْـــبَحَ شِـــعْرِى مِنْهُمَـــا فى مَكَانِهِ
وفى عُنُقِ الْحَسْـــناءِ يُسْـــتَحْسَنُ الْعِقْـــدُ[٢]

***

جزائى منكم ترك ذمى ! يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم يتنقصونه ويصغون إناءه . وقال ابن جنى : قوله فجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث نقده : أى يتسامح به ، فغايتهم أن لا يذموا ، فأما أن يحمدوا فلا ... قال العروضى ـ ينتقده ـ قضيت العجب ممن يخفى عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما يقول: الناس استفادوا منى كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال : فجازونى على فوائدى بترك الذم إن لم تحمدونى عليها .

(١) على : أبو الممدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير فى قومه : لعلى ؛ يقول : هو وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد فى انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبى تمام :

مُتَوَاطِئو عَقِبَيْكَ فى طلَبِ العلا   والمجد ثُمَّتَ تستوِى الأقدامُ

(٢) منهما : حال من مكانه ، وفى مكانه : خبر أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول : وأصبح شعرى من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأنهما أهل لأن يمدحا به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهـذا كقوله أيضاً :

وقد أطالَ ثنائى طولُ لابِسِهِ   إن الثناء على التِّنْبالِ تِنْبالُ

[التنبال : القصير]



وساير أبا محمد بن طغج وهو لايدرى أين يريد ؛ فلما دخل كفرديس قال :

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدْ كَالْغُمْضِ فى الْجَفْنِ الْمُسَهَّدْ (١)

مَعَجَتْ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُ مَعَ الأَمِيرِ أَبِى مُحَمَّدْ (٢)

حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُخَلَّدْ

خَضْرَاءَ حَمْرَاءَ التُّرَا بِ كَأَنَّهَا فى خَدِّ أَغْيَدْ (٣)

أَحْبَبْتُ تَشْبِيهاً لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدْ (٤)

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقَا ئِقِ فَهْىَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدْ (٥)

* *

---

(١) المسهد : الذى منع النوم لمثل هم . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بغتة فكانت لطيبها كالنوم فى جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد الفرس على إحدى عضادتى العنان : مرة فى الشق الأيمن ، ومرة فى الشق الأيسر . وقيل: ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشدَّ بشَدٍّ فإذا وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشدِّ مَعَجْ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف الغلمان الحسان . قال الواحدى والغيد لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الخد حيث شبه الخضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كأنَّ أيديهنَّ بالموماةِ أيدى جوارٍ بتن ناعمات

يريد أن أيدى الإبل اختضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمر بالخضاب ، وليست النعومة من الخضاب فى شىء .

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشىء فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .

وهمّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغْدَا ... بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَا(١)

مَالَ عَلَيَّ الشَّرَابُ جِدًّا ، ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى(٢)

فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي ... عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَا(٣)

وأطلق أبو محمد الباشق على سُمَانَاة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَا ، ... وَفِي كُلِّ شَأْوٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَا(٤)

فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، ... وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَا(٥)

كَأَنَّ السُّمَانَى إِذَا مَا رَأَتْكَ ... تَصَيَّدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَا(٦)

* * *

(١) الوغد : الرذل الدنىء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذى يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل ـ بضم الغين ـ ومنه الوغد : قدح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل الثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحمق ، وأحرار الملوك عبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب ـ شراب الراح ـ قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شىء وأهدى الناس إلى المكارم .

(٣) رفداً : أى إنعاما ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافى عددته منك عطية .

(٤) الشأو : الغاية ؛ وشآه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد

(٦) السمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسمان ، يكون واحدا ويكون جمعا ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدها ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتصيدها يقول : إن السمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشتهى أن تصاد لتفتخر بحصولها فى يدك.

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خِشْفاً ، فتلقفته الكلاب ، فقال :

وَشَامِخٍ مِنَ الجِبَالِ أَقْوَدِ	فَرْدٍ كَيَافُوخِ البَعِيرِ الأَصْيَدِ (١)
يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالجَلْمَدِ	فِى مِثْلِ مَتْنِ المَسَدِ المُعَقَّدِ (٢)
زُرْنَاهُ لِلأَمْرِ الَّذِى لَمْ يُعْهَدِ	لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ (٣)
بِكُلِّ مَسْقِىِّ الدِّمَاءِ أَسْوَدِ	مُعَاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ (٤)
بِكُلِّ نَابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ	عَلَى حِفَافَىْ حَنَكٍ كَالمِبْرَدِ (٥)
كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ	يَقْتُلُ مَا يَقْتُلُهُ وَلاَ يَدِى (٦)

---

(١) وشامخ : أى ورب جبل شامخ : أى عال ؛ والأقود : المنقاد طولا ، والأصيد: الملتوى العنق لداء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعوجاج ، فشبهه بيافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجلمد : الصخر . والمسد : الحبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تعرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الحبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء ـ على المجهول ـ وبفتحها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع النمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أى زرناه بكل كلب يسق دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهى الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أى معاودللصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أى حاد ماض ، والحفافان: الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضاريس والطرائق .

(٦) ودى القتيل يديه : أعطى ديته ، وهى ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد ثأرا يطلبه وإن لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .



يَنْشُــدُ مِنْ ذَا الخِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِـدِ
فَثَــارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِى (١)
كَأَنَّهُ بَدْءُ عِــذَارِ الأَمْرَدِ فَلَمْ يَكَدْ إِلاَّ لِحَتْفٍ يَهْتَدِى (٢)
وَلَمْ يَقَعْ إِلاَّ عَلَى بَطْنِ يَدِ وَلَمْ يَدَعْ لِلشَّــاعِرِ المُجَوِّدِ (٣)
وَصْفاً لَهُ عِنْدَ الأَمِيرِ الأَمْجَدِ المَلِكِ القَــرْمِ أَبِى مُحَمَّدِ (٤)
القَانِصِ الأَبْطَالَ بِالمُهَنَّدِ ذِى النِّعَمِ الغُرِّ البَوَادِى العُوَّدِ (٥)
إِذَا أَرَدْتُ عَــدَّهَا لَمْ تُعْدَدِ ،
وَإِنْ ذَكَرْتُ فَضْــلَهُ لَمْ يَنْفَدِ (٦)

***

(١) الخشف : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله: من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الخشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فثار الخشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :

(٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو فى خد أمرد . وقوله: فلم يكد الخ يقول : لما ثار الخشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكد يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها. وقال الواحدى : إنه لما يئس من الفوت مد يديه لاطئا بالأرض .

(٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشىء أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البعير القرم ، وهو الذى لا يحمل عليه ولا يذلل .

(٥) سمى أخذه الأبطال بالسيف قنصا : لمشاكلة المقام ؛ والغر : البيض ، والبوادى العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادى أصلها الهمز ، خففها للوزن .

(٦) لم تعدد : تزوى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .



وقال ارتجالا يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِـــقِ الْـكَمِدِ
هٰذَا الْوَدَاعُ وَدَاعَ الرُّوحِ لِلْجَسَـــدِ (١)

إِذَا السَّـــحَابُ زَفَتْــهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعاً
فَلاَ عَدَا الرَّمْـلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَـلَدِ (٢)

وَيَا فِرَاقَ الأَمِـــيرِ الرَّحْبِ مَـــنْزِلُهُ
إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَـــا يَوْماً فَلاَ تَعُـدِ (٣)

---

(١) الوامق : المحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفى هذا المعنى يقول القائل :

أتت ودموعها فى الخد تحكى   قلائدها وقد جعلت تقــول
غداة غدٍ تُحث بنا المطايا   فهل لك من وَداعٍ يا خليــل
فقلت لها : لعمـــرك لا أبالى   أقام الحىّ أم جدّ الرحيــل
يُهَدّد بالنوى من كان حياً   وها أنا قبل بينكم قتيـــل

(٢) زفته : سلقته ؛ والرملة : بلد الممدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : تمييز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والخصب والبركة يقول : إذا أرسل إليــه سحابا فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا ــ أيها الفراق يوما بأن اجتمعنا ــ فلا تفرقنا ثانية .



ودخل على أبى العشائر الحسين بن على بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ، وفى يده بطيخة من الندّ فى غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها ، فحياه بها وقال : أى شىء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالا :

وَبَنِيَّةٍ مِنْ خَيْزُرَانٍ ضُمِّنَتْ ... بِطِّيخَةً نَبَتَتْ بِنَارٍ فى يَدِ(١)

نَظَمَ الأميرُ لَها قِلَادَةَ لُؤْلُؤٍ ... كَفِعَالِهِ وَكَلَامِهِ فى المَشْهَدِ(٢)

كَالكَأْسِ بَاشَرَهَا المِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ ... زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدِ(٣)

---

(١) البنية : المبنية ، يريد الخيزران الذى اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة أثبت لها النبت على سبيل الترشيح ، إلا أنه جعل نبتها بنار فى يد ؛ لأنها أديرت فى يد صانعها على النار حتى تمت صنعتها .

(٢) شبه القلادة المنظومة فى حسنها بفعله وكلامه الذى يتكلم به فى مشهد من الناس

(٣) المزاج : الماء الذى يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجا ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التى عليها ؛ وقال ابن جنى : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفى لفظه مابليس فى لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه . ألا ترى إلى قول القائل فى تشبيه :

لو ترانى وفى يدى قدح الدُّو ... شاب أبصرت بازيًا وغزالا(١)

---

(١) الدوشاب ــ كما فى مفردات ابن البيطار ــ نبيذ التمر ؛ روى نفطويه عن أحمد ابن حمدون ، قال : تذاكرنا يوما بحضرة المكتفى فقال : أفيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيئا ؟ فأنشدته قول ابن الرومى :

إذا أخذت حَبّه ودِبْسَهُ ... ثم أجدت ضربه ومَرْسَهُ

ثم أطلت فى الإناء حبسه ... شربت منه البابلىّ نفسه

فقال المكتفى : قبحه الله ما أشرهه ! لقد شوقنى فى هذا اليوم إلى شرب الدوشاب



وقال فيها ارتجالا أيضاً :

وَسَوْدَاء مَنظُومٍ عَلَيْهَا لآلِئٌ لَهَا صُورَةُ الْبِطِّيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ[١]

كَأَنَّ بَقَايَا عَنْبَرٍ فَوْقَ رَأْسِهَا

طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّعَرِ الْجَعْدِ[٢]

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتعجب أبو العشائر من سرعته فقال :

أَتُنْكِرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بَدِيهاً ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبْقُ الْجَوَادِ

أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْراً فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطِّرَادِ[٣]

* *

هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين بيضاء » وقال أمية ابن الصلت :

مارغبةُ النفسِ في الحياةِ وإنْ تحيا قليلا فالموتُ لاحقُها

يُوشِكُ مَنْ فرَّ مِن مَنِيَّتِه في بَعْضِ غِرّاته يوافِقُها

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطةً يَمُتْ هرماً لِلموتِ كأسٌ والمرء ذائقها[١]

وقيل: لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعي : جمع راعية . وهو أول شعرة تبيض شيباً . وروى الخوارزمي دواعي الشيب : يعني أوائله التي تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة السوداء التي عليها لآلىء هي من الند . وكأن بقايا العنبر عليها أول الشيب في السواد ، يريد هي سوداء واللون أبيض ، فشبه اللون بأول الشيب في الشعر الأسود . قال ابن جني : الجعد الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجعودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك لأن الزنج يشيبون ولا تزول الجعودة ، وإنما أتى بالجعد للقافية .

(٣) أراكض : أطارد ، ومعوصات الشعر : أي عويصاته ، وهي التي لا يهتدى لوجهها

والدبس : عسل التمر وعصارته ؛ والمرس : مصدر مرس التمر إذا دلكه في الماء حتى يتحات فيه .

(١) مات عبطة : أي شابا . وقيل : شابا صحيحاً



وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلثمائة :

أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لاَ تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ (١)

يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ (٢) ؟

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ (٣)

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ (٤)

يصف نفسه بسرعة الخاطر وقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويص من الشعر فيأخذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق فى مطاردته لم يدرك شيئاً .

(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بينى وبين أحبتى ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هى جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجو أن تصغى إلى شكاتى ؟

(٢) يباعدن : أى يبعدن ؛ والحب : المحبوب : ووصله : وصده ؛ معطوفان على الضمير فى يجتمعن دون أن يأتى بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأنهما يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ، وإذا تضمنه فقد لابسه : فكأنه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب القاطع ؟ يعنى أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع فى حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبيبا على الوصال فكيف أطلب منها حبيبا تمنعه عن وصالنا؟ أوكيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهجر ؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبى يحيى الأموات ، فقال : ما نريد هذا ، بل نريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وعبارة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته ؟ وقال ابن جنى : إذا كان ما فى يدك لا يبقى عليك ، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نعت مفعول ، وتغيرا : تمييز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحبتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتنقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكا ويعود إلى طبعه ، كما قال حاتم :

رَعَى اللهُ عِيساً فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا ... مَهاً كُلُّهَا يُولَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ(١)
بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ ... وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ(٢)
إِذَا سَارَتِ الأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ ... تَفَاوَحَ مِسْكُ الْغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ(٣)

وَمَن يَبتدِعْ ما ليسَ مِن خيمِ نفسِه ... يَدَعْه وتَرْجِعْهُ إليه الرَّواجِعُ
ومثله قول الأعور الشنى :
وَمَنْ يَقترِفْ خُلُقاً سوى خُلُقِ نفسِه ... يدَعْه وتَغْلِبْهُ عليه الطبائعُ
وَأَدْومُ أخلاقِ الفتى ما نَشَا به ، ... وَأَقصَرُ أفعالِ الرجالِ البدائعُ
ومثله :
يا أيها المتحلى غيرَ شيمته ... إنّ التخلقَ يأتى دونه الخلقُ

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقر الوحش . تشبه بها النساء الحسان . ويولى — من الولى — وهو المطر الذى يلى الوسمى . يدعو للابل التى حملت الحبائب وذهبت بهن ، ثم ذكر أنهن يبكين لأجل الفراق فقال : كلها يولى — أى يمطر — خده بجفنيه . جعل بكاءهن كالمطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارقتنا — فى البيت السابق — والضمير فى رحلوا : لقوم الحبائب، والجيد ، العنق ، يقول : فارقتنا بواد به من الوجد والوحشة لفراقهم ما بالقلوب : أى استوحش وتغير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعنى أن الوادى كان متزينا بهم فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جنى : بقى الوادى مستوحشا لرحيلهم عنه كالجيد إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أى قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه تفرق الحمولة والظعن بدر تناثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع — بعد أن أورد كلام ابن جنى هذا — يصف زهر الوادى وحسنه فتعوض بالعطل من الحلى .

(٣) الأحداج: مراكب النساء فوق الإبل كالهوادج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه — بالكسر — حدجا : إذا شددت عليه الحدج . قال الاعشى :

ألا قل لميثاء ما بالها ... أللبين تحدَجُ أحمالها ؟

[ويروى : أجمالها — بالجيم — أى تشد عليها]

وَحَالٍ كَإِحْـــدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهـــا
وَمِنْ دُونِهَا غَـــوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ(١)

والرند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت مراكبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك ـ اختلطت ريح الرند بريح المسك فتفاوح الريحان ، قال ابن جنى :قال لى المتنبي:لما قلت هذه القصيدة وقلت : تفاوح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظة فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى أبا الحرم مكي بن ريان الماكسى عند قراءتى عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسمائة : مابال شعر المتنبي فى كافور أجود من شعره فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان المتنبي يعمل الشعر للناس لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان بمصر جماعة من الفضلاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ولا يبالى بالممدوح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح ـ ابن جنى ـ عنه فى قوله: تفاوح ، لأنه لما قالها أنكرها عليه قوم حتى حققوها،فدل أنه كان يعمل الشعر الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يغول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى فى الصعوبة والامتناع وتعذر المنال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوا لا عظيمة . لا يقدر على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الغانيات .وقال ابن جنى ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء النسوان فى الحسن . هذا : وإليك كلمة على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل فى النكرة الخفض بنفسها : وإليه ذهب المبرد : وقال البصريون : العمل لرب مقدرة ، وحجتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الخفض بنفسها وكانت كواو القسم لأنها نابت عن الباء ؛ ويدل على أنها ليست عاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى الشاعر يبتدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلدة ليس بها أنيس *



وَأَتْعَبُ خَلْقِ ٱللهِ مَنْ زَادَ هَمُّــهُ ، وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِى النَّفْسُ وُجْدُهُ(١)
فَلاَ يَنْحَلِلْ فى المَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بالمَــالِ عَقْدُهُ(٢)
وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِى المَجْدُ كَفُّهُ إِذا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالمَــالُ زَنْدُهُ(٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لايعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غيرمختص ، فوجب أن يكون عاملا ، وإذا لم يكن عاملا وجب أن العامل «رب» مقدرة . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الهم : الهمة ، والوجد : السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همتى وقصور طاقتى من الغنى عن مبلغ ما أهم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوء الناس حالا ؟ فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أُرْزَقْ مُرُوءتَه وما المُرُوءةُ إلا كثرةُ المالِ
إذا أردتُ مُساماةً تقاعَد بى عما يُنَوِّهُ باسْمِى رِقةُ الحالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نفسِي تتوقُ إلى أُمورٍ يُقَصِّرُ دُون مَبلغهن مالِي
فلا نفسى تُطاوِعنى لِبخلٍ ، ولا مالى يبلِّغنى فَعــالى

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : ينبغى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلا بالبيت التــالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والنزال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،



فَلاَ مَجْدَ فى الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مالُهُ ، وَلا مالَ فى الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفى النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاَهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ(١)

وَلَكِنَّ قَلْباً بَيْنَ جَنْبيَّ مالَهُ مَدًى يَنْتَهِى بى فى مُرَادٍ أَحُدُّهُ(٢)

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعاً تَهُدُّهُ(٣)

يُكَلِّفُنِى التَّهْجِيرَ فى كُلِّ مَهْمَهٍ عَلِيقِى مَرَاعِيهِ وَزَادِىَ رُبْدُهُ(٤)

وَأَمْضَى سِلاَحٍ قَلَّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ
رَجاءُ أَبى المِسْكِ الكَرِيمِ وَقَصْدُهُ(٥)

---

(١) يقول : فى الناس من هودنىء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . والميسور: ماتيسر . وهو من المصادر التى جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لى قلباً ليس له غاية تنتهى عند مطلوب أجعل له حداً ، يعنى أنى إذا جعلت حداً لمطلوبى لا يرضى قلبى بذلك بل يطلب ماوراءه .

(٣) الشفوف: جمع شف ، وهو الثوب الرقيق ، وتربه: تنميه وتنعمه . يقول : إن قلبى هذا يرى الجسم الذى هو فيه يترفه متنعما بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعا تهده بثقلها ، يعنى أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهومغمور ويأبى إلا ركوب الصعاب فى سبيل المجد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهاجرة ، وهى حر نصف النهار والمهمه : الفلاة الواسعة؛ والربد: النعام الذى خالط سواده بياض . يقول : إن قلبى يكلفنى التهجير والسير فى كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفد فيها مامعى من العليق والزاد فلا عليق لفرسى إلا أن يرتع فى مراعيها ولا زاد لى إلا النعام أصيده فآكله .

(٥) يقول: وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياه لمقاومة النوائب هو رجاؤه أبا المسك وقصده إياه ، يعنى أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والمخاوف : فقوله : أمضى مبتدأ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثانى : محذوف، أى قلد نفسه إياه: وهذا المخلص من أحسن المخالص



هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ ... وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ(١)

أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِى عَشِيرَةٍ ... لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ(٢)

فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ، ... وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ(٣)

نَجُرُّ الْقَنَا الْخَطِّىَّ حَوْلَ قِبَابِهِ ، ... وَتَرْدِى بِنَا قُبُّ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ(٤)

وَنَمْتَحِنُ النُّشَّابَ فِى كُلِّ وَابِلٍ ... دَوِىُّ الْقِسِىِّ الْفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ(٥)

---

(١) أسرة الرجل أهله الأدنون يقول إن رجاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يعز فيغنيانه عن العشيرة .

(٢) الولد — بالضم — بمعنى الولد — بالفتح — يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :

فليت فلاناً كان فى بطن أمه ... وليت فلاناً كان وُلْدَ حمار

يقول : إن كافوراً وهب له غلمانا وأنه منهم فى عشيرة ، إذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولهم كالوالد وهم له كالاولاد البررة يفدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذى يملكه الكبير حق نفسه — أى حياته — من ماله ، لأنه إنما يغذى بنعمائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذى يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف فى كل شىء . وقال ابن جنى : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع باليمامة تقوم فيه الرماح وقبابه : خيامه . وتردى — من الرديان — وهو ضرب من العدو . والقب : الضامرة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الخيل ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول نقوم — يعنى نفسه ومن معه من الغلمان — فى خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل فى صحبته أينما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكثر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتحن : نختبر ، والنشاب : السهام . والوابل : المطر الغزير . والقسى الفارسية أى المنسوبة إلى فارس ، يريد صنعة العجم . يقول : ونمتحن بين يديه الترامى بالسهام ونحن منها فى مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسى فى ذلك الوابل كالرعد : يعنى أنهم يترامون

فَإلاَّ تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ
فَإِنَّ الّذِى فِيهَا مِنَ النَّاسِ أُسْدُهُ(١)

سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعِقْيَانُهُ الّذِى ... بِصُمِّ الْقَنَا لا بِالأَصَابِعِ نَقْدُهُ(٢)

بَلاَهَا حَوَالَيْهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ ... وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطِّرَادِ وَجِدُّهُ(٣)

أَبُو المِسْكِ لا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ ... وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ(٤)

فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجَدِّ سَعْيُهُ ... وَيا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بالسعىِ جَدُّهُ(١)

بالسهام ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كعادة الفرسان والشبان فى الحرب .

(١) الشرى : الموضع الكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة. وقوله : فإن الذى. رواها ابن جنى: فإن التى ، قال : لانه أراد الفئة والجماعة . ولكن رواية الذى : أجود وأشهر . يقول : إن لم تكن مصر هى الشرى ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الشرى ، فالضمير فى أسده : للشرى .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهى القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت فى قالب؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أى الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس — الذين ذكرهم — هم ذخائر كافور وعدته فى مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيانا ذكر أنه انتقدهم بالرماح — لا بالأصابع كما ينتقد الذهب — أى أنه امتحنهم بطعان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا فى الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد: مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير المرتب ، يقول : اختبرها الأعداء فى الحرب حوالى كافور ، لكثرة ماحاربوا أعداءه وشهدوا معه المعارك فصاروا مجربين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو فى أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا : أى جربت فى حالى الجد والهزل وتمرست بالقتال فى سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أكثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بحقود وإذا اعتذر إليه الجانى ذهب حقده .

(٥) الجد — هنا — السعد . يقول : إن السعى والسعادة قد اجتمعا له ، فإذا سعى فى أمر نصره السعد سعيه فيصير مجدودا فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا



تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّى فَأَخْلَفْتَ طِيبَهُ ، وَمَا ضَرَّنِى لَمَّا رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ(١)
لَقَدْ شَبَّ فى هذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ(٢)
أَلاَ لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ فَتَسْأَلَهُ وَاللَّيْـــلَ يُخْبِرُ بَرْدُهُ(٣)
وَلَيْتَكَ تَرْعَانِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أَنِّى مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ(٤)

حفزته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعى لإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وفقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والمرد عند غيرك صاروا شيبا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيبا . ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من الذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن المرد — وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم — صاروا شيبا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قاسى فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليتهما يخبران فتسألهما عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التمنى . وقال العكبرى — لمناسبة حر النهار وبرد الليل — وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كربا والليل باردا . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ وَكَرْبُ الخريفِ وَبَرْدُ الشِّتَا
وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الربيعِ فَفِعْلُكَ للخَــيْرِ قُلْ لِى مَتَى

(٤) ترعانى — هنا — بمعنى ترانى وتراقبنى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سلمية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشىء : بدا للناظر ، ومنه :

وأَعْرَضَتِ اليمامةُ واشْمَخَرَّتْ كأسيافٍ بأيدى مُصْــلِتِينا

وَأَنِّى إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ ... تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ(١)

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِى ... إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لِى لَاحَ فَرْدُهُ(٢)

يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ ... أَمَامَكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ(٣)

وأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ ... قَرِيبٌ بِذِى الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ(٤)

فَزَارَكَ مِنِّى مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ
وَفِى النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ(٥)

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، ... وَيَأْتِى فَيَدْرِى أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ(٦)

يقول : ليتك كنت ترانى وأنا عند هذا الماء فترى جلدى وإشاحتى فى السير فتعلم أنى ماض فى الامور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته .

(٢) يشتبهون : يتشابهون ، ولى : متعلق بيشتبهون . وإليك : متعلق بمحذوف حال من ضمير المتكلم قبله : أى وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون عندى فى مسيرى إليك ، فلا أكاد أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لى ، فإذا أنت فردهم الذى لا يشبهه أحد منهم وهذا كقوله :

* النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا وملكه فاستعظمته قيل لى : قدامك ملك هذا الملك الذى تراه عبده فكيف هو ؟ . قال الواحدى : وهذا كالتفسير للبيت السابق فالذين رآهم هم الذين اشتبهوا له والذى قيل له: رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذى لاح له .

(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهده بكفك وأخذه عطاءك فانثنى عنك مسروراً . فقوله بذى الكف ، أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهده ؛ وقريب : خبر مقدم ، وعهده : مبتدأ مؤخر ، وعبارة ابن جنى : لما قبل كفك كسته الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيته فكثر ضحكه .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فيك وحدك يعنى أنه زاهد فى قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار الممدوح

فإنْ نِلْتُ ما أمَّلْتُ مِنكَ فَرُبَّما ... شَرِبْتُ بِماءٍ يُعْجِزُ الطَّيرَ وِرْدُهُ(١)

وَوَعْدُكَ فِعلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لأَنَّهُ ... نَظِيرُ فَعَالِ الصَّادِقِ القَوْلِ وَعْدُهُ(٢)

فَكُنْ فى اصْطِناعِى مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ ... يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الجَوادِ وَشَدُّهُ(٣)

هى غاية القصاد ومنتهى المنتجعين ، فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها ، فإذا أتاها علم أنه قد بلغ جهده الذى لاجهد بعده كما قال :

هى الغرضُ الأقصى وَرُؤيَتُكَ المنى

وعبارة العكبرى : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية مايأتيه مكتسب المجد ، أن يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أتاها علم أن ذلك جهده فى ابتناء المجد واكتساب المال .

(١) بماء : أى من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا عجب فكم بلغت الممتنع الذى لايدرك من الأمور ، وجعل الماء الذى لايرده الطير مثلا للممتنع من الأمور . قال الواحدى : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعدالطريق إليه . قال ابن ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ،ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستصعبات واستخرجت الأشياء المتاصة ؟ ولعل المتنبى يشير بما أمله منه إلى ماكان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قدوعده بذلك حياء منه وهو لايريده ، وقد سئل فى ذلك يوما فقال: ياقوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية ، أفلا ترونه يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا المأمول وصعوبة نيله .

(٢) الضمير — فى لأنه : ضمير الشأن . ووعده — فى آخر البيت — مبتدأ مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة الفعل الذى يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لايرجع عن وعده . فوعده نظير فعله : أى أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أى بره ومعروفه . والتقريب والشد : ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أى جربنى ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؛



إِذَا كُنْتَ فِى شَكٍّ مِنَ السَّـيْفِ فَابْلُهُ
فَإِمَّا تُنَفِّيـهِ وَإِمَّا تُعِـدُّهُ(١)
وَمَا الصَّارِمُ الهِنْدِىُّ إِلاَّ كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ(٢)
وَإِنَّكَ لَلْمَشْكُورُ فِى كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ الْبَشَاشَةَ رِفْدُهُ(٣)
فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُـوَ كَائِنٌ
فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْـكَ عِنْدِىَ نِدُّهُ(٤)
وَإِنِّى لَفِى بَحْرٍ مِنَ الْخَيْرِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وَهْىَ مَدُّهُ(٥)

فإما اصطنعتنى وإما رفضتنى ، فلا فضل بينى وبين غيرى إذا لم تجربنى . وقال الواحدى : جربنى فى اصطناعك إياى ليتبين لك أنى موضع للصنيعة ، فبالتجربة يعرف الفرس وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فابله : فاختبره . ويقال نفاه ؛ ونفاه : مخففا ومشددا . وهذا مثل فى معنى البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بان لك صلاحه وفساده ، فإما ألقيته لأنه كهام ، وإما أعددته للحرب لأنه حسام : يعنى جربنى فإن وجدتنى أهلا لما شئت فاصطنعنى وإلا فارفضنى .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره فى البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندى لايظهر فضله على غيره من السيوف حتى يسل ويضرب به ، وبذلك يعرف مضاؤه . وقد قلنا: إن المتنبى كان يطلب من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربنى لتعرف ماعندى من الكفاية ، وأنى أصلح لأن أكون واليا . وهذا من قول أبى تمام :

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يكفيك حتى ينتضى

(٣) للمشكور، اللام فيه للتوكيد ،والرفد :العطاء.والضمير فيه : يرجع إلى المشكور يقول : أنت مشكور من جهتى على كل حال وإن لم أتلق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقته

(٤) النوال : العطاء ، والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير كل عطاء منك أخذته أو سآخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطاياك : مبتدأ وخبر : والمد : زيادة الماء ، وهو ماقابل الجزر. يريد كثرة



وَمَا رَغْبَتِي فى عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّهَا فى مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ(١)

يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ ... وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ(٢)

فإِنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، ... وَقَابَلْتَهُ إِلاَّ وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ(٣)

مايصل إليه من البر والصلات . يقول : أنا فى بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطاياك ، وأنا أرجو زيادة عطاياك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهى مادته .

(١) العسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك فى ذهب ومال ، ولكن فى فخر جديد — يعنى الولاية — وهذا كقوله الآتى :

فسِرْتُ إليكَ فى طلبِ المعالى ... وسارَ سِوَاىَ فى طلبِ المعاشِ

وفى هذا المعنى يقول المهلبي :

ياذا اليمينَينِ لم أَزُرْكَ ولم ... أُصْحِبْكَ مِن خَلةٍ ولا عَدَمِ

زارَكَ بى هِمةٌ منازِعةٌ ... إلى جَسيمٍ مِنْ غايةِ الهِمَمِ

ومثله :

لم تزُرنى أبا علىٍّ سِنو الجدْ ... بِ وعندى مِنَ الكفافِ فُضولُ

غيرَ أنى بارِغ جليلاً مِن الأمـ ... ـرِ وعند الجليل يُبغى الجليلُ

وقال ابن الزيات :

لم أَمتدِحْكَ رجاء المالِ أطلُبُهُ ... لكن لِتُلْبِسَنِي التجميلَ والغُرَرا

ويقول أبو تمام

ومَن خدَمَ الأقوامَ يرجو نوالهم ... فإنِىَ لم أخدُمْك إلا لِأُخدَمَا

ويقول أيضا :

يا ربما رفعة قد كنت آملها ... لديك لافِضةً أبغى ولا ذهبا

(٢) يجود به : أى بالمفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح الجود غيرك بزيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدى يفضح حمد غيرى لأنه فوقه

(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله السعد : يعنى أنك تسعد النحوس . وتطرد البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الغلمان بابن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر لى كافور فطالبه بتسليمهم إليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدَيدَةً مما سبب بنهما وحشة ، و بعد أن تسلمهم كافور ألقاهم فى النيل ثم اصطلحا فقال :

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأعادِى وَأَذاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسّـادِ(١)

وَأَرادَتْهُ أَنفُسٌ حالَ تَدْبِيـرُكَ ما بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُـرادِ(٢)

صارَ ما أَوْضَعَ الْمُخِبُّونَ فِيـهِ مِنْ عِتابٍ زِيادَةً فى الْوِدادِ(٣)

وَكَلامُ الْوُشاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَحْـبابِ سُلْطانُهُ عَلَى الْأَضْـدادِ(٤)

إِنَّما تُنْجِـحُ الْمَقَـالَةُ فى الْمَرْ ءِ إِذا صادَفَتْ هَوًى فى الْفُؤادِ(٥)

تَلْقَى السُّعودَ بِوَجْهِـهِ وتُحِبُّهُ وعليك مَسْحَةُ بغضةٍ فتُحَبَّبُ(١)

(١) يقول : اشتهى الأعداء أن يهيج بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن الصلح حسم — أى قطع — ماشتهوه وأذاعوه .

(٢) يقول: وحسم الصلح ماأرادته أنفس حجزتدبيرك بينهم وبين ماأرادوه من إثارة الشر فما — من قوله مابينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والمخبون : الذين يحملون مطيهم على الخبب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى من سعى بينكما فى الفساد زيادة فى الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى قريب من من قول أبى نواس :

كأنما أثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(٤) على الأحباب : فى موضع نصب خبرا لليس : واسمها : مستتر يعود على كلام . وسلطانه على الأضداد : جملة استئنافية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب السلطان الذى له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لايؤثر فى الأحبة ، إنما يؤثر فى الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكأن هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة .

---

(١) يقول : إذا أتيت هذا الممدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله عليك وإن كنت بغيضاً لديهم من قبل ؛ وفى رواية :وتحبه .



وَلعَمْرِى لَقَدْ هُزِزْتَ بِمَا قِيلَ فَأُلْفِيتَ أَوْثَقَ الأَطْوَادِ(١)
وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلى الإِرْشَادِ(٢)
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمُشِيرُ وَلَمْ يَجْهَدْ وَيُشْوِى الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ(٣)
نِلْتَ مَا لاَ يُنَالُ بِالْبِيضِ والسُّمْرِ وَصُنْتَ الأَرْوَاحَ فى الأَجْسَادِ(٤)
وَقَنَا الخَطِّ فى مَرَاكِزِهَا حَوْلَكَ وَالْمُرْهَفَاتُ فى الأَغْمَادِ(٥)
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِنًا أَنَّ رَأْيَهُ فى الطِّرَادِ(٦)

---

(١) ألفيت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشايات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالنميمة ، يريدون بذلك الفساد .

(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسالمة ، وبذلك أرشدتهم إلى ماهو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح :

(٣) أشوى يشوى : إذ أخطأ ، ورماه فأشواه : إذا لم يصب المقتل .
قال الهذلى :

فإن من القول التى لاشَوَى لها إذا زل عن ظَهْرِ اللسانِ انفلاتها(١)

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطىء المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفوا حين ملت إلى الصلح والمسالمة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض: السيوف، والسمر: الرماح. يقول: أدركت بالصلح مالا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دما ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والخط : موضع تنسب إليه الرماح . وحولك حال من مراكزها ، والمرهفات : السيوف المحددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

---

(١) يقول : إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل .



فَفَدَى رَأْيَكَ الَّذِى لَمْ تُفَدْهُ   كُلُّ رَأْىٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ(١)
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِى طِبَاعٍ   لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُمُ الْمِيلَادِ(٢)
فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يَا كَا   فُورُ وَاقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ الْقِيَادِ(٣)
وأَطَاعَ الَّذِى أَطَاعَكَ وَالطَّا   عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الآسَادِ(٤)
إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالأَبُ الْقَا   طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلَادِ(٥)
لاَ عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرَّ
وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ(٦)
أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجِسْمُ وَالرُّو   حُ فَلَا احْتَجْتُمَا إِلَى الْعُوَّادِ(٧)

---

(١) يقول : يفدى رأيك الذى لم تستفده بتجربة وتعلم وإنما هو نتاج أناتك ورويتك كل رأى مستفاد بالتعلم ؛ وعبارة العكبرى وسائر الشراح : يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد . إنما هو إلهام من الله . ففداه كل رأى مستفاد معلم

(٢) الحلم : الأناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها المرء وفطر لم يفده بالكبر وتقادم السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى بجودة الرأى من الشباب قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : بالغريزة يتعلق الأدب ، لا بتقادم السن .

(٣) يقول : بهذا الرأى الذى رأيت فى هذا الحادث ـ وبمثله فى غيره ـ سدت الناس وانقاد لك مالا ينقاد لغيرك

(٤) يقول : وبمثل هذا الرأى أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والانقياد لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود :

(٥) يقول: إنما أنت فى تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأحنى منه عليه . يريد : أنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد .

(٦) عدا : جاوز . وبغى : طلب ، وهذا دعاء . يقول : لا جاوز الشر من طلب لكما الشر ولا تعدى الفساد أهل الفساد : أى لا زال فى الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولا فارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما .

(٧) قوله ما اتفقتما : فما : مصدرية زمانية : أى مدة اتفاقكما . يقول : مثلكما فى اتفاقكما مثل الروح والجسد: إذا اتفقا صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والعواد



وَإِذَا كَانَ فِى الأَنَابِيبِ خُلْفٌ ... وَقَعَ الطَّيْشُ فِى صُدُورِ الصِّعَادِ[1]
أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا ، ... وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ[2]

وإذاتنافرا فسد البدن . ثم قال:فلا احتجتما إلى العواد ، أى لاوقع بينكما خلاف ، وشر ، وبعبارة أخرى : أنتما ما دمتما متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش بائتلافهما . وقوله: فلا احتجتما إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بمـنزلة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون محوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين .

(١) أنابيب الرمح : مابين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف. والبطيش ــ هنا ــ بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهـذا مثل : جعل الانابيب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول: إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال ابن جنى : لو قال فى رءوس الصعاد لـكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الخوارج ؛سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دواد الأيادى :

فى فُتُوٍّ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِن إِيادِ بن نزار بن مضر[1]

يريد المتنبى أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شماتة أعدائهم بهم ، إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الخوارج ، لم يظفر بهم المهلب بن أبى صفرة إلا بعد أن نزغ الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتتلوا فوهنت شوكتهم وتمـكن المهلب منهم فلم ينج إلا القليل . قال العـكبرى : لمـا كان الخوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على نصال كان يتخذ لهم نصالا مسمومة ، فـكتب إليه المهلب : وصل مابعثت لنا من النصال المخترمة للآجال وحمدنا فعلك وشكرنا فضلك وسنرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله . وبعث الـكتاب على يد من أعثرهم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته أخرى ، فاقتتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يدا واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشتتوا بأرض الجزيرة فنهد إليهم سابور ذو الأكتاف وأفنى منهم خلقا كثيراً وتفرق سائرهم فى البلاد.

---

(١) فتو : جمع فتى والفتى : الشاب ، والسخى والـكريم .



وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيِّ بِالْبَصْـرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ (١)
وَمُلُوكاً كَأَمْسِ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِي الْبِعَادِ (٢)
بِكُمَا بِتُّ عَائِذاً فِيكُمَا مِنْـهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ (٣)
وَبِلُبَّيْكُمَا الْأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ (٤)
أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشْقَى عَدُوٍّ بِالَّذِي تَذْخَرَانِهِ مِنْ عَتَادِ (٥)

---

(١) وتولى بنى اليزيدى : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؟ للخلف وبنو اليزيدى : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة المنصور وأخرجوا ابن رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فما كان إلا أن خوى نجمهم ، وذهب ملكهم ، وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بنى اليزيدى . وأخت طسم : جديس ، وهما قبيلتان قديمتان بادتا بحروب كانت بينهما . يقول :وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجديس ، فأهلكهم هذا الخلف .

(٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما : وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره بت عائذاً بالله أن يقع بكما . . . وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعادى الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدواً وعداء ، ومنه قوله تعالى « فيسبوا الله عدواً بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغى والعدوان الذين يريدون بكما السوء.

(٤) اللب العقل . والاصيلين : الراسخين أو الجيدين ؛ وصم الرماح : صلابها . والجياد : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتتلان ، فتحول الرماح بين خيلكما التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تدخرانه من السلاح ، فيصير الصديق الذى يشقى به عدواً ؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لا للأصدقاء ، فإذا قتل به بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشىء الذى تعده لأمر ما وتهيئه له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهبته وآلته . قال الجوهرى وربما سموا القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكُلْ هَنِيئاً ثُمَّ لَا تُزَمِّلِ وَادْعُ هُدِيتَ بِعَتَادٍ جُنْبُلِ



هَـــلْ يَسُرَّنَّ بَاقِياً بَعْـــدَ مَاضٍ
مَا تَقُـــولُ الْعُـــدَاةُ فى كُلِّ نَادِ (١)

مَنع الْوُدُّ وَالرِّعَايَةُ وَالسُّـــؤْ دُدُ أَنْ تَبْلُغَا إلى الأحْقَـــادِ (٢)

وحُـــقُوقٌ تُرَقِّقُ القَلْبَ لِلْقَلْـــب ولَوْ ضُمِّنَتْ قُلوبَ الْجَمَادِ (٣)

فَغَدَا الْمُلْكُ بَاهِراً مَنْ رَآهُ شَاكِراً مَا أَتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ (٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلتما وأفنى أحدكما الآخر فهل يسر الذى يبقى منكما أن يتحدث الأعداء فى المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكارى ، أى لا يسر الباقى منكما ذلك . هذا : والعداة جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل فى النعوت إلا حرف واحد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إذا كنتَ فى قومٍ عِـــدًى لستَ منهمُ
فَــكُلْ ما عُلِفْتَ مِن خَبيثٍ وطيِّب

(٢) الرعاية : حفظ العهود ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحقد : الضغن . يقول : إن مابينكما من الود ورعاية الحقوق ومافيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحدكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحدكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق التربية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التى لو كانت فى قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقكما وتصافيكما آب إلى الملك بهاؤه ورونقه ، ومن ثم شكر لكما حسن صنيعكما وما كان منكما من صواب . « هذا » : ويقال بهره يبهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

ما زلتَ فى درَجاتِ الأمرِ مُرْتقياً تَنمِى وتَسمُو بِكَ الفُرْعانُ مِنْ مُضَرَا



فيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْحُلْـــوِ وأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الأَكْبَادِ[١]
هَـٰذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ والرَّأْ فَةِ والْمَجْـــدِ والنَّدَى والأَيَادِي[٢]

حَـــتَّى بَهَرْتَ فما تخفَى عَلَى أَحَدٍ إلا على أَكْمَهٍ لا يَعرِف القَمرا[١]

والسداد ــ بفتح السين ــ الصواب ؛ يقال: إنه لذو سداد فى منطقه وتدبيره : أى إصابة ؛ وكذلك فى الرمى ، يقال: سد السهم يسد إذا استقام ، واستد الشىء : أى استقام قال:

أُعلِّمُهُ الرِّمايَةَ كل يوم فلما استَدَّ ساعدُه رمانى[٢]

أما السداد ــ بكسر السين ــ فهو كل شىء سددت به خللا ، ولهذا سمى سداد القارورة ــ بالكسر ــ وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر ــ بالكسر ــ إذا سد بالخيل والرجال . قال العرجى :

أضاعونى وأىَّ فَتًى أضاعوا لِيوم كريهةٍ وسِـــدادِ ثَغْرِ

قال الجوهرى : وأما قولهم: فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى ماتسد به الخلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى فى هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتما من سداد ، وعلى الظفر وعلى الأكباد: متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : فى هذا الصلح أو فى هذا السداد الذى أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما مما فعلتما وحسرة على إخفاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلواً إذ لم ترق فيه الدماء .

(٢) الندى : الجود ؛ والأيادى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التى ذكرت فلا تعرضاها للخلاف .

---

(١) حتى بهرت : أى علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه ؛ وقد أورده الجوهرى : وقد بهرت ، قال ابن برى : وصوابه حتى بهرت ، قال : وقوله على أحد : أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفى ــ فى قولك ما أحد فى الدار ــ لايصح استعماله فى الواجب « المثبت » .

(٢) قال ابن برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم ، وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشـــلت منك حاملة البنان

قال الأصمعى : اشتد ــ بالشين المعجمة ــ ليس بشىء .



كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْـ
ـسُ ، وعَادَتْ ونُورُهَا فى ازْدِيادِ(١)

يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنُهَا عَنْ أَذَاهَا بِفَتًى مَارِدٍ عَلَى المُرَّادِ(٢)

مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أَبِيٍّ عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ(٣)

أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِى المِسْكِ وَذَلَّتْ له رِقَابُ العِبَادِ(٤)

---

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ تَبْكِى عليكَ نجومَ الليل والقمَرَا

يعنى جرير : أنها طالعة تبكى عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها فى طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :

الشمسُ كاسِفَةٌ ليست بطالعةٍ تبكى عليك نجومَ الليل والقمرا

وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا آتيك مطر السماء : أى ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أى ما طلعت الشمس . وفى هذا سمع بعضهم ابن الأعرابى يقول : تبكى عليك نجوم الليل والقمرا : أى ما دامت النجوم والقمر . والمراد بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف الشمس مديدة ، ثم انجلى فعادت الدولة بعودة صفائهما وهى آنق وأجمل كالشمس إذا ذهب كسوفها عادت أبهى وأنور.

(٢) يعنى بـ«ركنها» : قوتها وسعادتها. يقول: إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن أذاها بفتى مارد على المراد — يعنى كافوراً — أى أنه لاينقاد لمن تمرد عليه وطغى ، وإنما يعصف به عصفا « هذا » والمارد من الرجال : العاتى الشديد ؛ وقد مرد يمرد مرودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير وأصله من مردة الجن والشاطين . أو تقول : المارد الخبيث . قال تعالى : « من كل شيطان مارد » والمراد : جمع مريد .

(٣) أى متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبى ؛ أى أنوف عزيز النفس يأبى الذل . وعالم : أى بتدبير الرعية وبالحرب . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ فيه بالثقة . والجواد : السخى . يقول : يدفع الدهرعن أذاها بفتى هذه صفاته .

(٤) أجفل الناس : أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه



كَيْفَ لاَ يُتْرَكُ الطرِيقُ لِسَيْلٍ
ضَيِّقٍ عَنْ أَتِيِّهِ كُلُّ وَادِ[1]

وقال يهجوه فى يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلثمائة(*) :

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ[2]

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جنى : ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتى : السيل ، يأتى من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لايترك الطريق لسيل يضيق عن مائه الوادى . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادى فكل موضع أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا يغلب غلبة السيل الأتى والسيل ، لايرد عن وجهه ، كذلك هو لايعارضه أحد، قال العكبرى : من روى ضيق ــ بالخفض ــ جعله نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برجل حسن وجهه، وهذه صفة سببية ؛ ومن روى ضيق ــ بالرفع ــ فهى جملة ابتداء ، وخبر ، وهى فى موضع جر صفة لسيل ؛ وعن أتيه : يتعلق بضيق .

أقام المتنبى بمصر ــ بعد أن قال قصيدته البائية ــ عاما لايأتى كافورا ولكن يسير معه فى الموكب لئلا يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهبها ، وفى الوقت نفسه يعمل فى خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة فى يوم عرفة قبل رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أى هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أى أبما مضى ؟ يقول : هذا اليوم الذى أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال عدت ؟ أى مع أية حال عدت على ؟أوأية حال أعدتها على أبا الحال التى عهدتها من قبل ، أم أحدث فيك أمر جديد؟ .وقال العكبرى : الباء فى قوله: بأية، يجوز أن تكون للتعدية فيكون المعنى : أية حال : « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهرى : وإنما جمع بالياء ــ وأصله الواو ــ للزوم الياء فى الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد الخشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابى : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وأصل العيد : مااعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :



أَمَّا الأَحِبَّـــةُ فَالْبَيْــدَاءُ دُونَهُمُ
فَلَيْتَ دُونَكَ بِيــداً دُونَهَا بِيــدُ(١)
لَوْلاَ الْعُــلَى لَمْ تَجُبْ بِي مَا أُجُــوبُ بِهَا
وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلاَ جَــرْدَاءُ قَيْدُودُ(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغِيــدُ الأَمَالِيدُ(٣)

---

* والقلبُ يعتادُه مِن حُبِّها عِيد *

وقال يزيد بن الحكم الثقفى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أمْسَى بأسماءَ هذا القلبُ معموداً إذا أقولُ صَحَا يَعتادهُ عِيــدا
كأننى يوم أمْسى ما تكلمُــنى ذو بُغيَةٍ يَبْتغى ما ليس موجودا
كأن أحْوَرَ مِن غِزلانِ ذى بَقَرٍ أهدَى لنا سُنَّةَ العينين والجيــدا

والشاهد : فى قوله: يعتاده عيداً ؛ونصبه لأنه فى موضع الحال ،تقديره : يعتاده السكر عائدا ؛ وقد أسلفنا القول على ذلك .

(١) البيداء: الفلاة، جمعها بيد. سميت بذلك لأنها تبيد سالكها. يتأسف على بعد أحبته عنه يقول : أما الاحبة فبعيدون عنى ، فليتك أيها العيد كنت بعيدا عنى وكان ما بينى وبينك من البعد ضعف ما بينى وبين الأحبة؛ يعنى أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة كما قال الآخر:

مَنْ سَرَّهُ العيدُ الجديــد فما لقيتُ بهِ السُّرُورَا
كانَ السرورُ يَتم لى لو كانَ أحبابى حُضورا

(٢) جاب المكان يجوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة الشديدة ، مشتقة من الوجين . التى هى الأرض الصلبة أو الحجارة. وقيل : هى العظيمة الوجنتين . والضمير فى بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والجرداء : الفرس القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما ــ من قوله ما أجوب بها ــ اسم موصول فى موضع نصب : أى الفلاة التى أجوب . يقول : لولا طلبَ العلا لم أفارق أحبتى ، ولم تقطع بى ناقة ولا فرس ما أجشمها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ما أجوب بها : يعنى الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) الغيد : جمع غيداء ، وهى المتثنية لينا، والأماليد : الناعمات المستويات القامات.



لَمْ يَترُكِ الدَّهْـــرُ مِنْ قَلْـبِي وَلاَ كَبِدِي
شَـــيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلاَ جِيـــدُ (١)

يَا سَاقِيَّ أَخَمْـــرٌ فى كُئُوسِكُمَا   أَمْ فى كُئُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ (٢)

أَصَخْرَةٌ أَنَا ؟ مَالِي لا تحرِّكُنِي   هَذِى الْمُدَامُ وَلا هَذِى الأَغَارِيدُ (٤)

إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً   وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفقُودُ (٥)

غلام أملوذ وجارية أملودة : والأملود — فى الأصل — الغصن الناعم: يقول : ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتى يشبهن رونق السيف فى بياض بشرتهن ونقائها . وقوله مضاجعة : روى معانقة ، وهو تمييز .

(١) تيمه الحب : عبده وذللة ؛ والجيد : العنق . يقول : إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلاينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير .

(٢) يقول ـ لساقيه ـ : أخمر ماتسقانيه أم هم وسهاد ؟ يعنى ماأشربه لايزيدنى إلا هما وسهرا ، لأن قلبي مفعم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والمرح . وذلك لان أحبته بعيدون عنه ؛ أو لأنه وافر اللب لايؤثر فيه الشراب

(٣) المدام : الخمر؛ والأغاريد : الأغانى . وقوله: لاتحركنى ، حال من الياء فى مالى . يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لايطربانه ولايؤثران فيه حتى لـكأنه صخرة صماء لايؤثر فيها الشراب والغناء « هذا» وأصل الغرد التطريب فى الصوت والغناء . وغرد الإنسان :رفع صوته وطرب،وكذلك الحمامة والمكاء والديك والذباب، والتغرد والتغريد أيضا صوت معه بحح ، وقد جمعهما امرؤ القيس فى قوله يصف حماراً :

يُغَرِّدُ بالأسحار فى كلِّ سُدْفَةٍ   تَغَرُّدَ مِرِّيحِ النَّدَامَى الْمُطَرِّبِ

وقال الأصمعى : التغريد الصوت :

(٤) الـكميت : الأحمر فيه سواد ؛ يوصف به الذكر والمؤنث ، ويريد خمراً كميت اللون . وفى رواية : كميت الخمر . يقول : إذا طلبت الخمر وجدتها ، وإذا طلبت الحبيب لم أجده : يتشوق إلى أحبته يقول : إن الخمر لاتطيب إلا مع الحبيب . وحبيبى بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب . وقال ابن جنى : حبيب القلب عنده المجد ، وإذا تشاغل بشرب الخمر فقد المعالى . ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس : أهله . لبعده عنهم والمناسبة الـكميت قال سيبويه : سألت الخليل عن الـكميت فقال : هو بمنزلة جميل — يعنى الذي

مَاذا لَقيتُ مِنَ الدُّنيا وَأَعْجَبُهُ أنِّى بما أنا باكٍ مِنهُ مَحْسُودُ(١)
أمْسَيْتُ أروَحَ مُثْرٍ خازِناً وَيَداً أنا الغَنِيُّ وَأموالِي المَواعِيدُ(٢)
إنِّى نَزَلْتُ بِكَذّابِينَ ضَيْفُهُمُ عَنِ القِرَى وَعَنِ التَّرْحالِ مَحْدُودُ(٣)

هو البلبل — وقال: إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها ـ صغروها ـ لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما ، فيقال له : أسود أو أحمر ، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب ، وإنما هذا كقولك · هو دوين ذاك .

(١) أعجبه : مبتدأ ، خبره ما بعده وزواية الواحدى : وأعجبها : كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه . يشكو مالقيه من تصاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول : وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أناباك منه ـ يعنى انتجاعه كافوراً وانقطاعه إليه ـ يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : استبصار العقلاء ضد لتمنى الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على مايبكيه . فالحال التى يبكى العاقل منها يحسده الجاهل عليها . ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن ، ومنه : رب مغبوط بدواء هو داؤه .

(٢) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التمييز . والمثرى : الغنى . والثراء : المال . يقول : إنى من الأغنياء ذوى الثراء ، ولكن خازنى ويدى فى راحة من تعب حفظ المال ، لأن أموالى إنما هى مواعيد كافور ، وهى أموال لاتحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى .

(٣) يقول : إنهم كذابون : فلاهم يقرونه ، ولاهم يتركونه يرحل عنهم . هذا ؛ والقرى : قرى الضيف . تقول : قريت الضيف قرى ، مثال قليته قلى وقراء : أحسنت إليه : إذا كسرت القاف قصرت ، وإذا فتحت مددت : ومحدود : أى ممنوع . تقول : حددت فلانا عن الشر : أى منعته ؛ ومنه قول النابغة :

إلا سُليمان إذ قالَ الإلهُ لهُ قُم فى البريّةِ فاحددها عن الفنَدِ

والحداد : البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج . قال الشاعر :

يقول لى الحداد وهو يقودنى إلى السجن لا تفزع فما بك من باس

وهذا أمر حدد : أى منيع حرام لايحل ارتكابه . ومن ذلك الحدود ، لأنها تمنع المحدود عن المعاصى .

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُــودُهُمُ
مِنَ اللِّسَانِ فَلاَ كَانُوا وَلا الْجُــودُ(١)

مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًــا مِنْ نُفُوسِــهِمِ
إِلاَّ وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَــا عُــودُ(٢)

مِنْ كُلِّ رِخْوِ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ لا فِي الرِّحَالِ وَلا النِّسْوَانِ مَعْدُودُ(٣)

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّــوءِ سَــيِّدَهُ
أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْــرَ تَمْهِيدُ(٤)

---

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف المعهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالعطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محصولَ نَفْعٍ صحةُ القولِ والفعالُ مَرِيضُ

فالضمير في جودهم : للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير المتصل المنفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ماأشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقذارة خسة ولؤما بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه ـ أي كافورا ـ خصي هو والخصيان الذين كانوا معه . والوكاء : ما تشد به القربة ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكي على ما في بطنه من الريح . والمنفتق : الواسع الجلد لكثرة لحمه ، كأنه انفتق وانشق . وقوله: لا في الرجال الخ : أي لا هو معدود في الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحية ، ولا في النساء : إذ لا فرج له .

(٤) اغتاله ، قتله غيلة ، وأخذه على غفلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيد وقتله إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكلما أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر وملكه أهلوها عليهم وانقادوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا .



صَارَ الخَصِىُّ إمَامَ الآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالعَبْدُ مَعْبُودُ(١)

نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى العَنَاقِيدُ(٢)

أَلعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِى ثِيَابِ الحُرِّ مَوْلُودُ(٣)

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاَّ وَالعَصَا مَعَهُ

إنَّ العَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ(٤)

---

(١) الآبق : الهارب من سيده . ومستعبد : مذلل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله فى الخيانة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو فى الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقرء المتنبى بالمهملة، والمعروف بالمعجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة ــ نواظير ــ وبالنبطية ــ بالمهملة ــ والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرافها ، والمراد بثعالبها : عبيدها وأراذلها ، وبالعناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا فى أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئا جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخى الحر ، لما بينهما من التباين فى الأخلاق ، ولو ولد العبد فى ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مصاف مخلص . فقوله: لو أنه . يريد: ولو أنه ، فحذف، والجملة فى موضع الحال وقوله فى ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد فى ملك الحر ؛ وعلى هذا فأل فى الحر : للعهد ؛

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* ألحر يُلْحَى والعصَا لِلعبدِ *

وقال الحكم بن عبدل الأسدى :



مَا كُنتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسيء بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ(١)

وَلاَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاء مَوْجُودُ(٢)

وَأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ(٣)

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ(٤)

والعبدُ لا يَطلُبُ العَلاء ولا يُرضيكَ شيئاً إلا إذا رَهِبَا

مِثْلُ الحِمَارِ الموقَعِ الظهْرِ لا يُحسِنُ المَشْيَ إلا إذا ضُرِبا(١)

(١) أحسبنى : أى أحسب نفسى ، ويقال أساء به وأساء إليه ، قال كثير عزة :

* أسيئى بنا أو أحْسِنى لا مَلومَةٌ *

ويجوز أن يكون يسىء بى على معنى يهزأ بى ويسخر منى ، فعداه بالباء على المعنى ، لا على اللفظ ، يقول : ما كنت أظن أجلى يمتد بى إلى زمن يسىء إلى فيه شر الخليقة ، وأرانى مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده ، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى .

(٢) كناه بأبى البيضاء سخرية منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت البلاد لمن شاءها ، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر .

(٣) العضاريط : جمع عضروط ، وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه ؛ والرعديد : الجبان ، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له فى عظم مشافره بالبعير الذى يثقب مشفره للزمام؛ والمشفر ـ فى الأصل ـ شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر يستغوى هؤلاء اللئام الأنذال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم بالعضاريط الرعاديد تقريعهم على طاعتهم إياه ، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك .

(٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشىء ولا يبض حجره . وقوله: يأكل من زادى ، قال الواحدى : لهذا وجهان : أحدهما أن المتنبى أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها ، والآخر : أن المتنبى كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق

---

(١) الموقع الظهر : الذى به آثار الدبر ، والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة.



. . . .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئاً . يقول : هو يمسكني عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده المتنبي مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجياع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لكي يقال : قال العكبرى الكوفى : كي حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفا خافضاً ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال .والدليل على أنها ليست حرف جر:دخول اللام عليها ؛ كقولك أتيتك لكي تكرمني ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول القائل :

فلا والله لا يُلْفَى لما بى ولا لِلِمَا بهم أبدا دواء(١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يعرج عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر فى قوله : كيمه، كما تقول: لمه — قلنا: مه من« كيمه» ليس لكي فيه عمل ، وليس هو فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كى تقوم ، فيسمعه المخاطب، ولم يفهم تقوم فيقول: كيمه؟ أي كما. والتقدير كى تفعل ماذا ، فحذف تفعل ، فمه فى موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لكي فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون له ، وهى فى موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت فى صدر الكلام لا تحذف كقولك: ما تريد وما تصنع؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كى هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمنى ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كى ، فكما تنصب كى الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

---

(١) من قصيدة لمسلم بن معبد الوالبي شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

« أنظر القصيدة فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »



إنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ   لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْئُودُ[١]

وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيلُمِّ قَابِلِهَا   لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ[٢]

وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ   إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ[٣]

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً

أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ[٤]

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوبا بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذى يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذى أدركه الضيم ، وهو الظلم . ورجل مفئود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمفئود أيضاً : الذى لا فؤاد له ولا فعل ، والمفئود : الذى أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون. جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصى ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذى آل تدبيره إلى من هذه صفته لمظلوم مفئود سخين العين يرثى لحاله .

(٢) ويلمها : كلمة تقال عند التعجب وأصلها : وى لأمها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفى الحديث فى قوله لأبى بصير . « ويلمه مسعر حرب » . . تعجبا من شجاعته وجرأته وإقدامه . ومنه حديث على : ويلمه كيلا بغير ثمن لو أن له وعا . . أى يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهى ـ كما قلنا ـ كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التميز . والخطة : الأمر والشأن . والمهرية : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والخمر ، وقيل : القنديد ،عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال ـ طاعة الأسود والاستخذاء له والنزول على حكمه ـ يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولذ الشىء: وجده لذيذا .

(٤) البيض هنا : الكرام : أى بيض الأعراض . والصيد الملوك . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هى ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجداً ولا مكرمة .



أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِي النَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ(١)

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ(٢)

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ

عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ(٣)

**

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهنئه بعيد النيروز ، ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته الرائية الآتية:

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهْ ، وَوَرَتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهْ(٤)

---

(١) النخاس . بياع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ، ودامية : حال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه ـ بسكون الذال ، وضمها ـ لغتان . يقول : إنه مملوك اشترى بثمن ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته . وهذا غاية فى التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأى . وكويفير : تصغير كافور ، والمراد : التحقير . يقول : هو أولى اللئام بأن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم ، وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره فى البيت التالى .

(٣) الخصية : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف يقدر عليه اللئام . ! قال الواحدى . عرض فى المصراع الأول بغيره من الملوك .

(٤) النيروز : أحد أعياد الفرس . قال فى التاج : معرب نوروز ؛ فردته العرب إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة عند حلول الشمس فى أول الحمل . والزناد : جمع زند ، وهو الحجر يقتدح به : وورى الزند إذا أخرج نارا ، وورى الزناد ـ كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب: ورت بفلان زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده بمجيئه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك .

هــذِهِ النَّظْرَةُ الَّتي نَالَهَا مِنْــكَ إلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادُهْ(١)

يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَاظِرٌ أنْتَ طَـرْفُهُ وَرُقَادُهْ(٢)

نَحْنُ فِي أرْضِ فَارِسٍ فِي سُرُورٍ ذَا الصَّبَاحُ الَّذِي نَرَى مِيلَادُهْ(٣)

عَظَّمَتْهُ مَمَالِكُ الْفُرْسِ حَــتَّى كُلُّ أيَّامِ عامِــهِ حُسَّــادُهْ(٤)

مَا لَبِسْــنَا فِيهِ الأكَالِيلَ حَتَّى لَبِسَــتْهَا تِلَاعُهُ وَوِهَادُهْ(٥)

---

(١) زاده — آخر البيت — خبر هذه . يقول : هذه النظرة التى ظفر بها النيروز منك اليوم إنما يتزودها إلى أوان مثلها من العام القابل — أى أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة فى كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينثنى ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينثنى عنك ناظره الذى أنت ضياؤه وطيبه فيفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جنى : إذا انصرف عنك هذا اليوم بانتهائه خلف طرفه — أى بصره — ورقاده لديك فبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانياً .

(٣) فى أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين فى الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله: ذا الصباح : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن فى سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور فى هذا الصباح — أى صباح عيد النيروز— لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الذى نرى ، يروى : الذى يرى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . وممالك : إما جمع ملك — مثل مشايخ وشيخ — وإما على حذف مضاف : أى أهل ممالك الفرس .

(٥) التلاع : جمع تلعة ، وهى ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهدة ، ما انخفض من الأرض. والأكاليل جمع إكليل، وهو فى الأصل ما يجعل على الرأس كالتاج. قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رءوسهم . يقول المتنبى : ما لبسنا الأكاليل فى هذا اليوم حتى كسيت الأرض — جبالها ووهادها — مثل الأكاليل من النبات والأزهار. والإضافة فى « تلاعه ووهاده » : على معنى « فى » ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبى تمام :

عِنْدَ مَنْ لا يُقاسُ كِسْرَى أبُوسا ... سَانَ مُلْكاً بِهِ وَلاَ أوْلاَدُه(١)

عَرَبِىٌّ لِسَانُهُ ، فَلْسَفِىٌّ ... رَأيُهُ ، فَارِسِيَّةٌ أعْيَادُهُ(٢)

كُلَّمَا قَالَ نَائِلٌ أنَا مِنْهُ ... سَرَفٌ ، قَالَ آخَرٌ : ذَا اقْتِصَادُهُ(٣)

حَتى تعمَّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَا ... مِنْ نَبْتِهِ وَتأزَّرَ الأهضـــامُ(١)

وقال ابن جنى : يريد — المتنبي — أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكاليل عليها .. قال العروضى — ناقدا — كيف يصح ما قال ابن جنى — وأبو الطيب يقول: مالبسنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلا على ما قال ابن جنى . ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا فى مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رءوسهم ، ثم أنشد بيت أبى تمام المتقدم ثم قال : وهذا البيت — بيت أبى تمام — سليم ، ووجه قول المتنبى أنه أراد حتى لبستها تلاعه والتحفت بها وهاده، فيكون من باب علفتها تبنا وماء باردا . ومعنى البيت : أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها ؛ وبيت أبى تمام أحسن سبكا .

(١) يقول : إن ملك الممدوح — ابن العميد — أعظم من ملك الأكاسرة . وكسرى: لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر . وكسرى : معرب خسرو ، ومعناه واسع الملك ؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرها ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق :

إذا ما رأوْهُ طالعاً ســجدوا له ... كما سجدَتْ يوْماً لكَسْرَى مَرَازِبُهْ

(٢) يقول : هو عربى اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة ، لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت — كما ترى — مركب من ثلاث جمل : كل جملة مبتدأ وخبر ، قدم فيها الخبر على المبتدأ .

(٣) النائل : العطاء ؛ والسرف : التبذير ؛ ومنه : حال مقدمة من سرف ، والاقتصاد ضد السرف . يقول : إنه كلما بالغ فى العطاء — أى أعطى كثيراً — فقال ذلك العطاء البالغ الكثير: أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول — أى هذا العطاء الأكثر — كان العطاء الأول اقتصاداً . وهذا تمثيل ، لأن العطاء لا يقول شيئاً ،

---

(١) الأهضام : جمع هضم ، وهو المطمئن من الأرض . . جعل ما على الربا بمنزلة العمامة ، وما على الأهضام بمنزلة الإزار .



كَيْفَ يَرْتَدُّ مَنْكِبِي عَنْ سَمَاءٍ ... وَالنِّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نِجَادُهْ(١)

قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ ... أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِداً أَجْدَادُهْ(٢)

كُلَّمَا اسْتُلَّ ضَاحَكَتْهُ إِيَاةٌ ... تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرْآدُهْ(٣)

ولكن يستدل بحاله ، فكأنه قائل . وملخص المعنى : أنه إذا استكثر الناس منه عطاء قل ذلك فى جنب مايتبعه ،

(١) النجاد : حمالة السيف . يقول : كيف أنكل عن مفاخرة ذى فخر ؟ وكيف يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو نجاده — أى نجاد الممدوح — الذى بلغ بى أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً ، يقول : قلدنى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداده منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدنى سيفاً لم يطبع مثله ، فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوؤها وشعاعها ونورها وحسنها ، قال طرفة بن العبد :

سَقَتْهُ إِيَاةُ الشمسِ إلا لِثَاتِهِ ... أُسِفَّ وَلم تَكْدِمْ عليه بِإِثْمِدِ(١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالمد — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر ، والآرآد جمع رأد ، وهو ارتفاع الضحى ورونقه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت فى صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التمعت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا السيف يضاهى شعاع الشمس وأن الشمس تقر بأن ضوءها كضوئه ، والضمير فى أنها : للأياة ، قال الواحدى وإنما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملا على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

---

(١) من معلقة طرفة . يقول : سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته ضوءها ثم استثنى اللثات ، لأن اللثة — وهى مغرز الأسنان — لايستحب بريقها ، ثم قال : أسف : أى ذر الإثمد — وهو الكحل — على اللثة ولم تكدم — أى تعض — بأسنانها على شىء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .



مَثَّلُوهُ فى جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـــدِ فَفِى مِثْلِ أَثْرِهِ إِغْمَـــادُهْ[١]

مُنْعَـــلٌ لاَ مِنَ الْحَفَا ذَهَباً يَحْـــمِلُ بَحْراً فِرِنْدُهُ إِزْبَادُهْ[٢]

يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لاَ يَسْـــلَمُ مِنْ شَـــفْرَتَيْهِ إِلاَّ بِدَادُهْ[٣]

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبرى : يجوز أن يكون أراد جمع رِئْد ، وهو الترب ، قال كثير ولم يهمز :

وقد دَرَّعُوها وهى ذاتُ مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولَمَّا يَلبَسِ الدرعَ رِيدُها[١]

(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثلوه فى جفنه : أى جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : ففى مثل أثره إغماده : يعنى أنه يغمد فى غمد عليه آثار كأثره — أى فرنده . وهو جوهر السيف — يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لاتفقده العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أى أنه لحسنه لايود مالكه أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله فى جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون: إن هذا السيف عزيز ، فلعزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جنى : صوناً للجفن من الصدإ لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزى : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه , وفى معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سرابيلهم من مثلهـــا والعمائم

(٢) منعل : أى ملبس نعلا ، وهو مايصاغ فى طرف الغمد . والحفا : يريد الحفاء — بالمد — وهو المشى بلا نعل ؛ وذهبا : مفعول ثان لمنعل ؛ والضمير فى فرنده : للسيف ؛ ومن إزباده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعنى كثرة مائه ، ولما جعله بحرا جعل تموج الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لايوصف بالحفاء ، ولكن ذكره افتنانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : المغطى بالسلاح . والبداد : حشية تجعل فى جانب السرج ، وهما بدادان يقول : إذا ضرب به الفارس المقنع فى سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانبا السرج ، لانحرافهما على الجانبين . وقوله: من شفرتيه — والحال

---

(١) المؤصد : صدار تلبسه الجارية — الوليدة — فإذا أدركت درعت ، وكل شىء قطع وسطه فهو مجوب ، ومنه سمى جيب القميص .



جَمَعَ الدَّهْرُ حَــدَّهُ وَيَدَيْهِ   وَثَنَائِي فَاسْتَجْمَعَتْ آحادُهْ(١)
وَتَقَلَّدْتُ شَــامَةً فِي نَدَاهُ   جِلْدُها مُنْفِسَــاتُهُ وَعَتَــادُهْ(٢)

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة ـ لأنه أراد بأى شفرتيه ضرب، عمل هذا العمل .

(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدى الممدوح فى الضرب وشعرى فى وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التى لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد فى الضرب به كيد الممدوح ولاثناء كثنائى .

(٢) الشامة : الخال ـ بثرة سوداء فى الجسم حولها شعر. وقوله : فى نداه ، أى فى جملة نداه : أى جوده : والمنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعتاد : العدة ؛ يقول : تقلدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره فى جنب ماأهدانيه ـ من نفائس الخيل والثياب والأسلحة ـ يعد قليلا كالشامة فى الجلد . شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة ، وسائر هداياه بالجلد الذى تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت اضطرابا أشفقنا عليهم منه ، لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا فى تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للمتنبى على بال ، فضلا أن البيت ينبو بمثلها . وإذا أبيت إلا ذكرها فإليكها . قال الواحدى : حكى أبو على بن فورجة عن أبى العلاء المعرى فى هذا البيت قال : يعنى أن الغمد بما عليه من الحلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان محلى بكثير من الذهب ، فجعل الغمد جلدا ؛ إذ جعل السيف شامة. قال أبو على: والذى عندى أنه أراد بجلده ظاهره الذى عليه الفرند، لأن أنفس مافى السيف فرنده ، وبه يستدل عليه فى الجودة. وقال أبو الفتح: يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة فى الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله: جلدها منفساته وعتاده : أى ما يلى هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضى منكرا على أبى الفتح : ألم يجد المتنبى مما يحسن فى الجسد شيئا فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف ـ على حسنه وكثرة قيمته ـ كالنقطة فيما أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أى قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فيما أعطاه كقدر الشامة فى الجلد . قال الواحدى : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانو أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه بيانا يقف المتأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون فى الجلد ، ولما سماه شامة سمى ما كان معه من الهدايا ـ التى كان السيف فى جملتها ـ جلدا ؛ والكناية ـ فى المنفسات والعتاد ـ يعودان إلى الممدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف فى جملتها شامة فى جلد ؛ قال : وقول ابن فورجه هوس لاشىء . وقال ابن

فَرَّسَتْنَا سَوَابِقٌ كُنَّ فِيهِ ... فَارَقَتْ لِبْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهْ (١)
وَرَجَتْ رَاحَةً بِنَا لا تَرَاهَا ... وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهْ (٢)
هَلْ لِعُذْرِى عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْفَضْلِ ... قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهْ (٣)
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ ... مَكْرُمَاتُ الْمُعِلِّهِ عُوَّادُهْ (٤)

القطاع : يريد : أن السيف ــ على جلالة قدره وما عليه من الذهب ــ كالشامة فى جنب ماأخذت منه . وقوله: جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذى من أجله يستعد ويغالى فى ثمنه ، وقيل: يريد بجلده جفنه وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل .

(١) كن فيه : أى كن فى نداه ؛ واللبد : ما تحت السرج . يقول : كان فى جملة عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، فقوله : فرستنا أى علمتنا الفروسية . وفارقت لبده ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجى حين أعطاناها . وفيها طراده : أى وفيها تقويمه وأدب طراده . وقال ابن جنى : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو المطارد عليه .. وعلى هذا يكون معنى فرستنا حملتنا حتى صرنا فرسانا . وقوله: وفيها طراده ، أى عليها . قال العروضى : كلام ابن جنى كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . إنما يقول : فارقت هذه الخيل لبده ، وفيها تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الخيل السوابق التى كانت عنده مما أعطانا علمتنا الفروسية . لأنها قد فارقت لبده حين أعطاناها . وفيها ماعلمه بطراده وبتأديبه

(٢) يقول : إن هذه الخيل التى أهداها إلينا لما انتقلت إلى رجت أن تستريح من طول كده إياها ، لكنها لاترى ماترجوه مادمنا فى بلاده ، لأنا لانزال نغزو معه بغزواته ونطارد عليها معه إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقنا خدمته ، ونحن لانفارق خدمته وبلاده فقوله: وبلاد ألخ : جملة حالية من مبتدإ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها مما يؤاخذ به . يقول : هل يقبل عذرى ؟ أوهل لديه قبول لعذرى ؟ وقوله : سواد عينى مداده : جملة استئنافية دعائية : أى جعل الله سواد عينى مدادا له وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والمداد : الحبر ، والهمام : السيد الشجاع السخى .

(٤) العواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حيائى كالعليل ،



ما كَفانِي تَقْصِيرُ ما قُلْتُ فِيهِ   عَنْ عُلاهُ حَتَّى ثَناهُ انْتِقادُهْ (١)

إنَّنِي أَصْيَدُ البُزاةِ وَلَكِنَّ   أَجَلَّ النُّجُومِ لا أَصْطادُهْ (٢)

رُبَّ ما لا يُعَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ   وَالَّذِي يُضْمِرُ الفُؤادُ اعْتِقادُهْ (٣)

ما تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الفَضْلِ   وَهٰذَا الَّذِي أَتاهُ اعْتِيادُهْ (٤)

وهدايا الذى أعلى تأتينى كل يوم كأنها عواد تعودنى . وإنما كان شديد الحياء لأن ابن العميد نقد شعره . ولذا جعله معلاله ؛ وقد شرح ذلك فى الأبيات التالية .

(١) عن علاه : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفانى تقصير شعرى عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفعه بنقده ، فتقصير شعرى ونقده هما سبب شدة حيائى .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل ، من الصيد ، يقول : أنا فى الشعراء كالبازى الأصيد فى البزاة ، ولكن البازى مهما كان بارعاً فى الصيد ليس فى مكنته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعنى : أنى وإن كنت حاذقا فى الشعر وبالغا منه الغاية التى لا بعدها فإن كلامى لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جنى :لو استوى له أن يقول: أعلى النجوم ـ بدل أجل النجوم ـ لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلا ، جعل هذا مثلا للممدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبلوغه مبلغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره فى وصفه ومدحه فما ـ من قوله رب ما ـ نكرة موصوفة بمعنى شىء ، أو أمر. وقوله: والذى الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذورا ؛ لأن عادتى لم تجر بمدح مثله ، والذى ورد عليه من الشعر شىء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذى أتاه ـــ أى هذا الذى فعله من النقد ـــ هو عادته لبصره بالشعر ونقده قال الواحدى : وهـــذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد فى شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جنى : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفى له ، والذى أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جنى ليس بشىء ، لأنه ليس فى وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه فى تقصيره .

إنَّ فى المَوْجِ للغَرِيقِ لَعُــذْراً واضِحاً أنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ(١)

لِلنَّدَى الغَلْبُ إنَّهُ فاضَ والشِّــعْرُ عِمَادِى وابْنُ العَميدِ عِمَادُهْ(٢)

نالَ ظَنِّى الأُمُورَ إلاَّ كَرِيماً لَيْسَ لِى نُطْقُهُ وَلاَ فِيَّ آدُهْ(٣)

ظالِمُ الجُودِ كُلَّما حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أنْ تَحْمِلَ البِحَارَ مَزَادُهْ(٤)

غَمَرَتْنِى فَوَائِدٌ شاءَ فِيهــا أنْ يَكُونَ الكَلاَمُ مِمَّا أفَادَهْ(٥)

ما سَمِعْنَـا بِمَنْ أحَبَّ العَطَـايا

فاشْتَهَى أنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهْ(٦)

---

(١) يقول : إن فاتنى عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها ، كان عذرى واضحاً ، لأنى غرقت فيها لتوافر محامدك ، والغريق فى البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحا ، وتلخيص المعنى : أن فكرى غرق فى فضائلك ، فليس لى إلى استيفاء وصفها من سبيل . وقوله : أن يفوته : أى فى أن يفوته ، وهو من صلة العذر ؛ والتعداد : العد .

(٢) يقول : إن لجوده الغلبة فهو غالبى ؛ لأن عماده ابن العميد وعمادى الشعروهو ناقده ، فكيف لى أن أغالبه بالشعر؟! فالندى : الجود ؛ والضمير فى عماده : للندى .

(٣) الظن — ههنا — بمعنى العلم ؛ ويروى : طبى ، وهو بمعنى العلم أيضا ، والآد : القوة . يقول : لقد قتلت الأمور علما ، غير أنى قاصر عن مدح كريم ليس لى فصاحته فى الكلام ولا قوته فى علم الشعر .

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهى القربة . يقول : إن جوده ظالم ، وذلك أنه كلما صمد إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه مالا يطيقون حمله ، وهذا ظلم ؛ لأنه غير ممكن ، وهل يمكن حمل البحر فى القرب؟! فقوله : ظالم الجود ، من إضافة الوصف إلى فاعله . وسيم : كلف .

(٥) يقول : إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول ، ونبهه بذلك إلى ما كان غافلا عنه ، فكان حسن القول وصحة الكلام، من جملة الفوائد التى أفادها منه.

(٦) يقول : لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملةعطاياه يريد :أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله وبنات فكره ، فكأنه أعطاهعقله ؛ والفؤاد هنا: بمعنى العقل .

خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طرًّا ... فى مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُه(١)

وَأَحقَّ الْغُيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ ... فى زَمَانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُه(٢)

مِثْلَمَا أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ فى العَا ... لَمِ وَالْبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُه(٣)

زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا ... لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشِنْهُ سَوَادُه(٤)

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِى كَما أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُه(٥)

وَالَّذِى عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُه(٦)

---

(١) يريد بأفصح الناس : الممدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ، يد أنه فى بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جنى : أفضل الناس ، وليس بشىء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيوث بالحمد ـ يعنى الممدوح ـ لعموم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث فى زمان قد استشرى فساد أهله وشاع فى الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جنى : جعله غيثاً وجعل الناس كلهم ـ لاحتياجهم إليه ـ جراداً ، فإن الجراد حياته فى الغيث والكلأ .

(٣) يقول : لما شاع الفساد فى العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثْتَ لأَهْلِ الدِّينِ عَدْلاً ورحمةً ... وبُرْءاً لآثارِ الجُرُوحِ الكَوَالِمِ

كما بَعَثَ اللهُ النبيَّ محمداً ... عَلَى فَتْرَةٍ والنَّاسُ مِثلُ البهائمِ

فقوله: والبعث ، أى بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلعته وضوؤه . ويشنه : يعبه . لما ذكر عموم الفساد فى الناس والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلع فيجلو سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر فى كيف نهدى إليك شيئاً كما يهدى العبيد إلى أربابها وكل ما عندنا من المال والخيل فمن عندك وهبته وقدته إلينا . فقوله : إلى ربها أى سيدها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أى عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها » والذى ـ إلى آخر البيت ـ حال . وفى البيت الثانى طى ونشر لا يخفى . وهذا من قول ابن الرومى :

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَاراً كُلُّ مُهْرٍ مَيْدَانُهُ إِنْشَادُهْ [١]
عَدَدٌ عِشْتَهُ يَرَى الْجِسْمُ فِيهِ أَرَباً لا يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهْ [٢]
فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْباً نَمَاهَا مَرْبَطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهْ [٣]

مِنكَ يا جنة النعيمِ الهدَايا أفنُهدِى إليك ما منكَ يُهْدَى

(١) المهار : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن فى المهر معنى الفتى والفرس إذا كان فتياً كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو بيان لها . وقوله: كل مهر الخ ، نعت لمهار : أى كل مهر منها. كنى بالمهار عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتا ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر فى الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن المهر إذا أجرى فى الميدان عرف .

(٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الخ : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعو له بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدى . وكان ابن العميد فى ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الخ : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه فى السنين التى يزادها بعد ذلك : أى فلهذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتا : وقال ابن جنى : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يعهد من أحـــواله فى جسمه وتصرفه .

(٣) نماها : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نمـاء النسب : وعبر بذلك جريا على عادة العرب فى حفظ أنساب الخيل : لمـا سمى الأبيات مهارا عبر عن حفظها وإمساكها بالارتباط ليتجانس الـكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جياده جياد كل مربط : يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالاً :

بِكُتْبِ الأنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ
فَدَتْ يَدَ كاتِبِهِ كُلُّ يَدْ[١]
يُعَبِّرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنا ،
وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ ما نَجِدْ[٢]
فَأَخْرَقَ رَائِيَهُ ما رَأى ،
وَأَبْرَقَ نَاقِدَهُ ما انْتَقَدْ[٣]
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ
خَلَقْنَ لَهُ فى القُلُوبِ الحَسَدْ[٤]

---

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعا هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله : فدت الخ : جملة دعائية .

(٢) يقول : إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا ؛ أى أنا نشتاق إليه كما يشتاق هو إلينا، ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه .

(٣) أخرق : أدهش وحير ؛ من خرق الظبي : دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ؛ وقد أخرقه الفزع فخرق وأبرق : حير ؛ تقول : برق بصره : تحير فلم يطرف قال ذو الرمة :

ولوْ أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرّضَتْ
لعَيْنَيْهِ مَيٌّ سافراً كادَ يَبرَقُ

يقول المتنبي : إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول : إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

فَتُلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِــينَ
كَذَا يَفْعَلُ الأَسَدُ أَبْنُ الأَسَــدْ[1]

***

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس ، أى أنه وصل فى غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليها من الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالافتراس جعله أسداً فى المصراع الثانى ، لأن الافتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لـكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس فى وصف الألفاظ والـكتب هلا احتذى على مثال قول البحترى يصف كلام ابن الزيات :

فى نظامٍ مِنَ الْبَلاغَةِ ماشَــكَّ امْرُؤٌ أنهُ نظامُ فَرِيد
وَبَدِيعٍ كأنه الزَّهَرُ الضــاحِكُ فى رَوْنَقِ الرَّبيعِ الجديد
مُشْرِقٍ فى جوانبِ السمعِ ما يُخْــلِقُهُ عَوْدُه عَلَى الْمُستعيدِ
ومعانٍ لو فصّلتها القوافى هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرول وَلبيد
حُزْنَ مُسْتعمل الـكلام اختياراً وتجنّبنَ ظلمــةَ التعقيـدِ



وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَاباً عَلَى الصَّدِّ ... وَلاَ خَفَراً زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخَدِّ (١)

وَلاَ لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصُورَةٍ ... أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعِقْدِ (٢)

وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ ... قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ (٣)

---

(١) الخفر . الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذى غشيه عند ذلك من الحياء الذى ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

ولَسْتُ بِناسٍ قولَها يَوْمَ وَدَّعَتْ ... وقد رُحِلَتْ أَجمالُنا وَهْيَ وُقَّفْ

أأنتَ عَلَى العهْدِ الذى كانَ بيننا ... فلسنا وحَقِّ اللهِ عَنْ ذاكَ نَصْدِفُ

فقلتُ لها حِفظِي لِعَهْدِكِ مُتْلِفِي ... وَلَوْلا حِفاظُ العهدِ ما كُنتُ أُتلَف

ومثله كثير ، ويروى نسيت ـ بالبناء للمجهول ـ أى نسينى الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، الممنوعة من التصرف ؛ قال كثير :

وَأَنتِ التى حَبَّبتِ كلَّ قَصِيرَةٍ ... إِلَيَّ وَمَا تَدْرِى بِذاكَ القصائرُ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الحِجَالِ ولم أُرِدْ ... قِصَارَ الخطَى ـ شَرُّ النِّسَاءِ البَحاتِرُ

« البحتر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيب مجالسق لهذه المخدرة ومعانقق إياها حتى طالت يدى فى جيدها مثل صحبة العقد لجيدها . فقوله صحبة العقد : أى مثل صحبة العقد ، فهو منصوب على المصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبداً يتمنون مثل يوم التوديع ، لأن المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يكن يكرَهُ الْوَدَاعَ فإنى ... أَشْتهيهِ لِعِلَّة التسليم



وَأَنْ لاَ يَخُصَّ ٱلْفَقْدُ شَيْئاً فَإِنَّنِى
فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِى وَلاَ وَجْدِى[١]

تَمَنٍّ يَلَذُّ ٱلْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ ،
وَإِنْ كَانَ لاَ يُغْنِى فَتِيلاً وَلا يُجْدِى[٢]

وَغَيْظٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِى ٱلْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ ٱلْأَسِيرِ عَلَى ٱلْقِدِّ[٣]

إن فيه اُعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ وأنتظار اُعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ
وَلَكَمْ فُرْقَةٍ وَغَيْبَةِ شهرٍ هِىَ أَجْدَى مِنِ امْتِنَاعِ مُقِيمِ

(١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم مخصوصاً بشىء دون شىء فإنى فقدت فيه أحبتى ولم أفقد بكائى ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاما شاملا حتى يفقد البكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمن: خبر عن مبتدأ محذوف: أى هذا تمن ؛ والمستهام: الذى هيمه الحب وشرده؛ ويقال لذ يلذ ، والتذ يلتذ ، وتلذذت كذا ألتذه لذاذاً ولذاذة ، وهو لذ ولذيذ ؛ والفتيل ما يكون فى شق النواة ، وقيل هو ما تفتله بين أصبعيك من الوسخ ، وهو نائب مفعول مطلق : أى لا يغنى غناء حقيراً مثل الفتيل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمن لا حقيقة له ، ولكن المستهام يلتذ بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيئاً : وفى معنى البيت يقول القائل :

أمانىَّ من ليلى حساناً كأنما سَقَتْنِى بها ليلى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدا
مُنًى إنْ تَكُنْ حقاً تكن أَحْسَنَ الْمُنَى وإلا فقد عِشنا بها زمناً رَغْدَا

ويقول البحترى :

تمنّيتُ ليلَى بَعْدَ فَوْتٍ وإنما تمنّيتُ منها خُطَّةً لا أنالُها

ويقول الآخر :

وأعلمُ أن وَصْلَكَ ليسَ يُرْجَى ولكن لا أقلَّ منَ التمنّى

(٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : ولى غيظ على الأيام يلتهب فى الحشا التهاب النار ، ولكنه غيظ على مالا يكترث ولا يبالى بغيظى ، لأن الأيام لا تؤاتينى ولا تنزل على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على مايشد به من القد :

فَإِمَّا تَرَيْنِي لاَ أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ   فَآفَةُ غِمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي[١]

يَحُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي   فَأَحْرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي[٢]

تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لاَ يُفْكِرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ[٣]

وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا   عَلَيْهِنَّ لاَ خَوْفاً مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ[٤]

وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيمَةً   وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ[٥]

---

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول ـ معتذراً للحبيبة من فراقه لها وقلة مقامه فى البلدان ومواصلته السير والتطواف : ـ إن رأيتنى منزعجا لا أقيم ببلدة فإن ذلك لمضائى وبعد همتى كالسيف الحاد إذا أغمد أ كل غمده واندلق منه وقال ابن جنى : الذى ترينه من شحوبى وتغيرى إنما هو لمواصلة السير والطواف فى البلاد لبعد همتى ، كالسيف الحاد إذا كثر سله وإغماده أ كل جفنه : قال الواحدى : وليس مما ذكره شىء فى البيت ، لكنه ما هجس له فى خاطره فتكلم به ، وإما ـ من فإما ـ هى إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدى وجعلته وقاية لعرضى : يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح فى جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالهرب ؛ وهذا من قول الجاهلى :

أَخُو الْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمُجَرَّحٌ   كَلِيمٌ ، وَأَمَّا عِرْضُهُ فَسَلِيمُ

(٣) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة : وفكر فى الشىء وأفكر فيه وتفكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب يمضين بى مصممات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتتبدل على بمضيهن الأيام والمعايش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمانه الذين يسيرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان : أى أنا أبدا مسافر على هذه النجائب فى صحبة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد ، وإنما تلثموا على وجوههم لشدة حيائهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . والاسد الورد : الذى فى لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ ... أَجَازَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ (١)

يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِى ... تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ (٢)

وَمَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ ... يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الأَسَاوِدِ وَالأُسْدِ (٣)

يَمُرُّ مِنَ السُّمِّ الْوَحِىِّ بِعَاجِزٍ ، ... وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ (٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالخبث والمساوئ ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن فى طبعه كرما وحياء ؛ فيقال إن من واجهه وأحد النظر فى وجهه استحيا منه ولم يفترسه ، والمعنى أن حياءهم ليس بمزر بهم ، كما أنه لا يزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .

(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا فى أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماحهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والخوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطاعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطيعك مودة ، كما تقول العرب : رهبوت خير من رحموت : أى لأن ترهب خير من أن ترحم . وقال ابن جنى : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فورجه — ناقدا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ إنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بالمودة حاربوا فيها وجازوها .

(٢) حاد عن الشىء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشىء : صرف همته إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو : يعنى ابن العميد .

(٣) الأساود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحبا له فى سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هيبة له ورهبا . فالأساود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه فى خدمة أو زيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لا يقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيا سالما آمنا من المخافة .

(٤) الوحى : السريع . والدرد : جمع أدرد ، وهو الذى ذهبت أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد . ويمر



كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى الرَّعْدِ (١)
إِذَا مَا اسْتَحَبْنَ الْمَاءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ كَرِعْنَ بِسِبْتٍ فِى إِنَاءٍ مِنَ الْوَرْدِ (٢)

ويعبر : فى موضع الحال من قوله «يسر» أى يسر ماراً عابرا ؛ ولك أن تجعل يمر بدل من يسر .

(١) يقول : ببركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تجشم حداء الإبل فى المسير إليه ، لأن الرعد أغنى غناء الحداء . فالعيس: الإبل . وكفانا العيس ، أى كفانا حداءها . والحداء : سوق الإبل بالغناء وقوله : من بركاته ــ أى بركات الممدوح ــ تعليل لكفى :

(٢) يعرض نفسه : حال ؛ وكرعن : شربن ؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة فى الماء للشرب ؛ والسبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ ، تحذى منه النعال السبتية . يقول: إذا مرت هذه الإبل بالمياه التى غادرتها السيول فصارت لكثرتها كأنها تعرض نفسها عليها، فأجابتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أحدق الورد ــ والمراد الزهر أياً كان ــ بذلك الماء ، فصار كأنه إناء له . وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استحبن ، وكرعن بشيب : بدل بسبت . واستحين : من الحياء ، والشيب : صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال فى اللسان : والشيب ــ بالكسر ــ حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال ذو الرمة ــ يصف إبلا تشرب فى حوض متثلم ، وأصوات مشافرها شيب شيب .

تَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الشِّيبِ فِى مُتَثَلِّمٍ جَوَانِبُهُ من بَصْرَةٍ وَسِلَامِ (١)

---

* هم يشبهون المشفر بالسبت فى لينه ، قال طرفة بن العبد :

وخَدٌّ كقرطاسِ الشآمى ومشفرٌ كسِبْتِ اليمانى قدُّهُ لم يُحَرَّدِ

لم يحرد : روى بالحاء المهملة ، وعليها اقتصر الخطيب التبريزى . قال : أى لم يمل ؛ يصف أنها شابة فتية ، وذلك أن الهرمة والهرم تميل مشافرهما : وروى لم يجرد ــ بالجيم ــ أى أن شعره عليه .

(١) من قصيدة لذى الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وقبله •

كَأَنَّا أَرَادَتْ شُكْرَنَا الأَرْضُ عِنْدَهُ | فَلَمْ يُخْلِنَا جَوٌّ هَبَطْنَاهُ مِنْ رِفْدِ (١)
لَنَا مَذْهَبُ الْعُبَّادِ فِى تَرْكِ غَيْرِهِ | وَإِتْيَانِهِ نَبْغِى الرَّغَائِبَ بِالزُّهْدِ (٢)
رَجَوْنَا الَّذِى يَرْجُونَ فِى كُلِّ جَنَّةٍ | بِأَرْجَانَ حَتَّى مَا يَئِسْنَا مِنَ الْخُلْدِ (٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام ـ بكسر السين ـ الحجارة الصلبة » .

(١) الجو ـ هنا ـ ما اتسع من الأودية ، كما جاء فى قول طرفة :

خلا لَكَ الجو فَبيضِى وَاصْفِرِى

والرفد : العطاء : يقول : إن كل موضع نزلناه فى طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلأ . فكأن الأرض أرادت أن نشكرها عنده تقربا إليه .

(٢) الرغائب : جمع رغيبة ـ الأمر المرغوب فيه . يقول : لنا فى ترك غيره من الملوك وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يزهدون فى الدنيا لينالوا خيرا مما تركوا فى الآخرة : وذلك لأنا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده بزهدنا فى غيره .

(٣) يرجون : أى العباد ، وبأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هى أرجان ـ بتشديد

وكم عَسَفَتْ مِنْ مَنْهَلٍ متخَطَّإ | أفلّ وأقوى فالجمام طَوَامِى
إذا ما وَرَدْنا لم نصادِفْ بجوْفِهِ | سِوَى وارِدَاتٍ مِنْ قَطًا وَحَمامِ
إذا ساقِيانا أفرَغا فى إزائهِ | على قلُصٍ بالمُقفِرَاتِ حِيامِ
تداعَيْنَ باسم الشيب . . . البيت

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدى ، والضمير إلى الإبل ، و « المنهل » المورد ، و « المتخطأ » الذى تخطأه الناس فلم ينزلوه ، و « أفل » أى لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « جمة » المكان الذى يجتمع فيه ماؤه ، و « طوامى » مملوءة و « ساقيانا » أى اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء » مصب الماء فى الحوض ، و « على قلص » صلة أفرغا ، و « القلص » جمع « قلوص » الناقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، وبالمقفرات صفة لقلص ، و « تداعين » أى دعا بعض القلص بعضاً ، و « الشيب » ـ كما قلنا ـ حكاية أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما يدعوهن إلى الشرب ، و « المتثلم » أراد : فى حوض متثلم .



تَعرَّضُ لِلزُّوَّارِ أعناقُ خَيلِهِ   تعرُّضَ وَحْشٍ خائِفاتٍ مِنَ الطَّرْدِ (١)
وَتَلقَى نَواصِيهَا المَنَايَا مُشِيحَةً   وُرُودَ قَطاً صُمٍّ تَشايَحْنَ فى وِرْدِ (٢)

الراء ـ بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لديه من النعيم ما يرجو العباد نيله فى جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه، ومن ثم نرجو بيلده ما يرجو العباد فى الجنان حتى كدنا لا نيأس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التى هى دار الخلود .

(١) تعرض ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتعرض : أى توليهم عرضها : أى جانبها. والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً ونفاراً كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهى لاتبغى مفارقته . قال العكبرى : ليس فى هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى وقال : إن خيله تفرح بازوار ـ كى يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقاة الحروب ـ لكان أمدح . هذا : والطرد ـ بفتح الراء وسكونها ـ لغتان فصيحتان .

(٢) المشيح : الجد المسرع الحذر . قال ابن الإطنابة :

وإقدامِى عَلى المكروه نفسى   وضَرْبِى هامةَ البطلِ المُشِيح

وشايح الرجل : جد فى الأمر ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى يرثى رجلا من بنى عمه ، ويصف مواقفه فى الحرب :

وزَعْتَهم حتى إذا ما تَبَدَّدُوا   سِراعاً ولاحَتْ أوْجُهٌ وكُشوحُ
بَدَرْتَ إلى أولاهُمُ فَسَبقْتَهُمْ   وشايَحْتَ قبل اليومِ إنكَ شِيحُ

وقال ابن الأعرابى الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فى حيث لا تَنفَعُ الإشاحة مِنْ   أمرٍ لِمَنْ قد يُحاوِلُ البِدَعا

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة » قال: ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا، وأشاح بوجهه عن الشىء : نحاه وجد فى الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول: وتلقى خيله المنايا فى الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة فى الورود. وجعلها صماً كى لا تسمع شيئاً تتشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسُبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نُفُوسَها إِلَيْهِ وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الهِنْدِ(١)

إِذَا الشُّرَفَاءُ الْبِيضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الأَبِ وَالْجَدِّ(٢)

قال :

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا كدرِيةٍ أَعْجَبَها بَرْدُ المَـا

والنواصي . جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس، وتشايحن : تسارعن . وقوله: ورود: مفعول مطلق لتلقى .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أى أنها حصلت بقوته وأيده ، وتنسب السيوف إلى الهند : أى أنها عملت فيها ، يعنى أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على أنها حصلت بكف الممدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندى ، أى أنه اجتمع فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير فى نفوسها وفى ينسبن : عائد على الأفعال . وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأنعالها تتشبه بأفعاله فى مضائه وحدته وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندى وسيف يمان وفعل السيف أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند . . . قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى لا أدرى أى أطراف كلامه أقرب إلى المحال ؟ ولم يجر ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها تنسب أفعالهـا إليه : أى تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لا من فعلنا ، وهذا كقوله:

إذا ضَرَبَتْ بالسيف فى الحرب كفه تبينتَ أن السيفَ بالكفِّ يَضْرِبُ

والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ، يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت على جودة السيف ، وليس فى هذا البيت أنه أشرف من الهند .

(٢) البيض : السادة ، من قوله : فلان أبيض : أى نقى العرض كريم . وفلان يمت إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقتو : الخدمة ، وقيل: حسن خدمة الملوك ،والمقتوى: الخادم ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تُهدِّدُنا وَتُوعِدُنا رُوَيْداً متى كُنا لأُمِّكِ مَقْتَوِينـا

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب والجد : أى أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بآبائهم وأمهاتهم .



فَتَى فَاتَتِ الْعَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ ... فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ (١)
وَخَالَفَهُمْ خَلْقاً وَخُلْقاً وَمَوْضِعاً ... فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدِى (٢)
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى ... بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ (٣)
إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحاً رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
كَتَائِبَ لاَ يَرْدِى الصَّبَاحُ كَمَا تَرْدِى (٤)
وَمَبْثُوثَةً لاَ تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ ... وَلاَ يُحْتَمَى مِنْهَا بِغَوْرٍ وَلاَ نَجْدِ (٥)

---

(١) و (٢) العدوى : أن يعدى الشىء الشىء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المريض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدوى فلم يعدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه تنزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسى : أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكارم طب بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجل من سائر الناس خلقاً وأنبل خلقاً ورتبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشىء حتى يشاركهم فى خلالهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأمم وفات طورهم إلى ماليس فى مكنتهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة ببريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصورة الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع ـ الغبار ـ وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أو قدت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء فحينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل رديا ورديانا : رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسراعا لا يسرعه الصبح فأتت عليهم ـ أهلكتهم ـ قبل أن ينبثق ضوؤه .

(٥) ومبثوثة : عطف على كتائب ، وهى الغارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلا متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع ـ وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو ـ لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَغُصْنَ إذَا مَا عُدْنَ فى مُتَفَاقِدٍ ... مِنَ الكُثْرِ غَانٍ بالعَبِيدِ عَنِ الحَشْدِ (١)
حَثَتْ كُلُّ أرْضٍ تُرْبَةً فى غُبَارِهِ ... فَهُنَّ عَلَيْهِ كالطَّرَائِقِ فى البُرْدِ (٢)
فَإنْ يَكُنِ المَهْدِىُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ ... فَهَذَا وَإلاَّ فالهُدَى ذَا فَمَا المَهْدِى (٣)
يُعَلِّلُنَا هَــذَا الزَّمَانُ بِذَا الوَعْدِ ... وَيَخْدَعُ عَمَّا فى يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ (٤)

---

(١) يغصن : أى خيله ، من الغوص ، وقوله: فى متفاقد ، أى فى جيش يفقد بعضه بعضاً لكثرته واضطرابه ، كما قال الآخر :

* بجمعٍ تضلُّ البُلْقُ فى حُجُراته *

فقوله: من الكثر ، أى لأجل كثرته. وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول: إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذى بلغ من الكثرة وترامى الأطراف مبلغاً يفقد فيه الشىء فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد الممدوح عن أن يحشد إليه الغرباء — إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة العسكر وتوافره وهذه الجيوش المتكاثرة كلها عبيد الممدوح ليسوا أو باشا أخلاطا ، وروى بدل يغصن : يغضن — من غاض الماء : نقص — يعنى أن هذه السرايا إذا تغلغلت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرته كالماء إذا غاض فى الأرض

(٢) حثت : أى ذرت وسفت وأطارت ، وقوله: فى غباره ، أى غبار العسكر المتفاقد ، وهن — أى الترب — جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول إن جيشه — لبعد غزواته وكثرة أسفاره — يمر بأمكنة مختلف ترابها فيثير تقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير كخطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدى : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك — كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت — يقول : إن كان المهدى الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهداه : فهذا الذى نراه — أى الممدوح — هو المهدى الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه — من تقواه وحسن سيرته — هو الهدى كله ، فما معنى المهدى بعد هذا ؟

(٤) يعللنا أى يلهينا ويشاغلنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى العتيد الحاضر ، يقول : إن الزمان يعدنا خروج المهدى فيعللنا بوعد طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن الممدوح هو المهدى نقدا حاضرا ، وانتظار ظهوره خداع وتعليل .



هَلِ الْخَيْرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالْخَيْرِ غَائِبٌ ... أَمِ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ (١)

أَأَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ ... وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كِبْدِ (٢)

وَأَحْسَنَ مُعْتَمٍّ جُلُوساً وَرِكْبَةً ... عَلَى الْمِنْبَرِ الْعَالِي أَوِ الْفَرَسِ النَّهْدِ (٣)

تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا ... فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ (٤)

جَعَلْنَ وَدَاعِي وَاحِداً لِثَلَاثَةٍ ... جَمَالِكَ وَالْعِلْمِ الْمُبَرِّحِ وَالْمَجْدِ (٥)

---

(١) الاستفهام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لاينبغى أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدى هما شىء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشىء لايغاير نفسه ، وإذن : فالخير والرشدماثلان فى الممدوح ، ومايتنظرمن المهدى ماثل فيه ، فلم لايكون هو المهدى ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفعل تفضيل ، وكذلك مابعده ؛ والحزم : سداد الرأى ؛ واللب : العقل . وجلوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الأيادى — النعم — وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من تعمم — لبس العمامة — وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوبا على الفرس النهد — الجسيم الحسن العالى — فقوله على المنبر العالى الخ : من باب الطى والنشر . وقال ابن جنى : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً فى الحقيقة ... قال ابن فورجه : ظن ابن جنى أن الخطبة عيب بالممدوح ، وما ضر ابن العميد أن يدعى له المتنبي أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالخليفة فى الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الايام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك ؛ فمفعول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله: بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان المتنبي يحب ذلك . وكذلك قوله :حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعا لثلاثة أشياء : هى جمالك والعلم المبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب ، إنما يستعمل التبريح فيما يشتد على الإنسان يقال: وجد مبرح مثلا ، فلعله من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

وَقَدْ كُنْتُ أُدْرِكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِى ... يُعَيِّرُنِى أَهْلِى بِإِدْرَاكِهَا وَحْدِى[(١)]

وَكُلُّ شَرِيكٍ فِى السُّرُورِ بِمُصْبَحِى ... أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِى[(٢)]

فَجُدْ لِى بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَإِنَّنِى ... مُخَلِّفُ قَلْبِى عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِى[(٣)]

وَلَوْ فَارَقَتْ نَفْسِى إِلَيْكَ حَيَاتَهَا ... لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ[(٤)]

***

---

(١) المنى : جمع منية ، وهى الشيء الذى تتمناه . يقول : إننى أدركت عندك من الغنى والسعادة ونيل المراد ما كنت أتمناه ، ولكن إذا انفردت به واستأثرت دون أهلى ولم أرجع إليهم ، عيرونى بتلك الأثرة والأنانية .

(٢) قوله بمصبحى : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير فى قوله بعده وفى يرى : راجع لكل ؛ وفى مثله : راجع لمن — من قوله من لايرى . يقول : كل من شاركنى فى السرور بإصباحى عنده حين أعود إليه من أهلى وغيرهم ورأى ماأوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد بعد مفارقتى إياه إنسانا لايرى هو مثله ، لأنه لانظير لك فى الدنيا ؛ يعنى أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لايزال منغصاً لفراق ابن العميد ، لأنه لايرى عندهم بعد عودته إليهم رجلا آخر مثله .

(٣) يقول : إننى أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبى لديك لأنك أغدقت على أفضالك فأسرت قلبى . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارقت نفسى حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معى لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك أبر بها منى .



وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وَهْشُوذانَ :

أزائِرٌ يا خَيالُ أمْ عائِدْ ... أمْ عِنْدَ مَوْلاكَ أنَّني راقِدْ(١)

لَيْسَ كما ظَنَّ غَشيةٌ عَرَضَتْ ... فَجِئْتَني فى خِلالِها قاصِدْ(٢)

عُدْ وأعِدْها فَحَبَّذا تَلَفٌ ... ألصَقَ ثَدْيِي بِثَدْيِكَ النَّاهِدْ(٣)

وَجُدْتَ فيهِ بمَا يَشِحُّ بِهِ ... مِنَ الشَّنيتِ المُؤَشَّرِ البارِدْ(٤)

إذا خَيالاتُهُ أطَفْنَ بِنا ... أضْحَكَهُ أنَّنِي لَهَا حامِدْ(٥)

---

(١) يقول ـ مخاطباً خيال المحبوب ـ: أزائراً جئتنى أيها الخيال أم عائداً ؟ أى أنى مريض من الحب فأنا خليق منك بالعيادة ، ثم قال :أم عند مولاك ـ أى صاحبك ، وهو الحبيب ـ الذى أرسلك إلى ـ أنى راقد ؟ أى أم اعتقد مولاك أنى راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟ .

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ماظن من أنى راقد حين زرتنى ، وإنما هى غشية ـ أى همدة لارقدة ـ أدركتنى من الألم ، فجئتنى فى خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائما ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) الناهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التى لحقتنى وإن كان فيها تلفى ، فحبذا تلف يكون سبباً لقربك ومعانقتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لاالخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام فى غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه:عطف على ألصق فى البيت السابق ـ والضمير : للتلف؛ وثغرشتيت : مفرق مفلج ، والمؤشر : الذى فيه أشر : أى تحزيز. يقول : وحبذا هذا التلف الذى جدت فيه بما يضن به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحزز البارد الريق، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه .

(٥) يقول : إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فحمدت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشىء « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :



وَقَالَ إنْ كَانَ قَدْ قَضَى أَرَبًا مِنَّا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدْ(١)
لاَ أَجْحَدُ الفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلَتْ مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلاً وَلاَ وَاعِدْ(٢)
لاَ تَعْرِفُ العَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا كُلٌّ خَيَالٌ وِصَالُهُ نَافِدْ(٣)
يَا طَفْلَةَ الكَفِّ عَبْلَةَ السَّاعِدْ عَلَى البَعِيرِ المُقَلَّدِ الوَاخِدْ(٤)

فلست بنازل إلا أَلَمَّتْ بِرَحْلِي أو خَيالَتُها الكذوبُ(١)

ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ماتشبه لك فى فى اليقظة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .

(١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة الخيال فلم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن «زائد» للقافية .

(٢) يقول : وعلى هذا لاأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة مالم يفعله الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .

(٣) نافد : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادى :

وأرى النعيمَ وَكُلُّ ما يُلهَى به يوما يصير إلى بِلًى ونفادِ

يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لايدوم وصاله ، إذا واصل لايعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جنى : لافرق بينها وبين خيالها ؛ لأن كل شىء إلى نفاد ماخلا الله وحده ... قال ابن فورجه — وماأمر نقده — : هذه موعظة وتذكرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها إذا وصل لم يدم؛ وأماقوله كل خيال: فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ، وإنما عنى بكل : كلا من المذكورين ، كما تقول :خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والكل يستعمل فى الاثنين كما يستعمل فى الجمع؛ ولما قال:لاتعرف العين فرق بينهما :علم أنه يشير بالكل إليهما، لاإلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول كل شىء فان إلا الله ؟ وماأقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله فرق بينهما أراد لاتعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلخ بين عن الظرفية .

(٤) يخاطب حبيبته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبلة : الممتلئة . والبعير المقلد

---

(١) وقيل : إنما أنث على إرادة المرأة .



زِيدِي أَذَى مُهْجَتِي أَزِدْكِ هَوًى ... فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدْ[١]

حَكَيْتَ يَالَيْلُ فَرْعَهَا الْوَارِدْ ... فَاحْكِ نَوَاهَا لِجَفْنِيَ السَّاهِدْ[٢]

طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا ... وَطُلْتَ حَتَّى كِلَا كُمَا وَاحِدْ[٣]

مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةً ... كَأَنَّهَا الْعُمْيُ مَالَهَا قَائِدْ[٤]

أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ ... أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمِ وَاجِدْ[٥]

أي الذي عليه قلائد : أي من العهن ـ الصوف ـ والواخد : أي المسرع فى السير :
والبيت مصرع ، قال العكبرى : وهذا البيت ردىء لوقيل فى زماننا لهرب قائله من الحياء

(١) يقول : إن أذاك مستحلى ـ لأن الحبيب يحلولى منه كل شىء يصدر عنه ، قال : زيدينى أذى أزدك هوى وحباً لأن العاشق لايحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه شيئاً كان ذلك منه جهلا وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفرع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل المسترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول :أشبهت ياليل شعرها فى السواد فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولاتطل على .

(٣) يقول : طال بكائى لأجلها وطلت ـ أيها الليل ـ حتى كلا كما واحد فى الطول وروى ابن جنى تذكره : أى الفرع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : مالها قائد: حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّماءِ كَأَنَّهُ ... أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائد

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من ملوك النواحى قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أنا اتبعنا فى مثل عليهم قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر الميم لا تباع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون على ضمها : وفى ذلك يقول علماؤنا : إذا تحركت الميم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لاتباع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إنْ هَرَبُوا أُدرِكُوا وَإنْ وَقَفُوا   خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدْ(١)
فَهُمْ يُرَجُّونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ   مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدْ(٢)
أَبْلَجَ لَوْ عَاذَتِ الْحَمَامُ بِهِ   مَا خَشِيَتْ رَامِياً وَلاَ صَائِدْ(٣)
أوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَهْىَ تَذْكُرُهُ   مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلاَ طَارِدْ(٤)
تُهْدِى لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبَراً   عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدْ(٥)
وَمُوضِعاً فى فِتَانِ نَاجِيَةٍ   يَحْمِلُ فى التَّاجِ هَامَةَ الْعَاقِدْ(٦)

الستة — سوى أبى عمرو — « عليهم الذلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع : وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : الموروث : يقول : — ذاكراً سبب تحيرهم — : إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب — لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم — ولا بالإقامة — لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شىء .

(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحى يرجون عفو هذا الملك المبارك ذى الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج المشرق الوجه وعاذت لجأت ، وراعها ، أفزعها والحابل ، الذى ينصب الحبالة ، وهى الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو استأمن بذكره ، أمن حق الطير والوحش .

(٥) كل ساعة ، فاعل تهدى ، والجحفل : الجيش ، والبائد : الهالك ، يقول : لا تمر ساعة إلا وتهدى إليه خبرا عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه يعنى تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحى .

(٦) وموضعا ، عطف على خبرا — فى البيت السابق — والموضع ، المسرع فى سيره ؛ والفتان ، غشاء للرحل من أدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والعاقد عاقد التاج ، يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا فى رحل ناقة خفيفة يبشره بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذى تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشوذان بعد الكرة الأولى وضربت الدبادب * على باب عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه المتنبى .

(*) الدبادب ؛ الطبول ؛ وأصل الدبدبة ؛ الصياح والجلبة .



يَا عَضُداً رَبُّهُ بِهِ العَاضِدُ ... وَسَارِياً يَبْعَثُ القَطَا الهَاجِدْ[١]

وَمُمْطِرَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ مَعاً ... وَأَنْتَ لاَ بَارِقٌ وَلاَ رَاعِدْ[٢]

نِلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةِ وَهْـشُوذَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الفَاسِدْ[٣]

يَبْـدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بِغَـايَتِهِ ،

وَإِنَّمَـا الحَـرْبُ غَايَةُ الكَائِدْ[٤]

---

(١) العاضد : المعين ؛ وبه : صلة العاضد ، والباء للاستعانة ، والسارى ، السائر ليلا ، ويبعث : يثير، والهاجد، النائم . أى ياعضد الدولة التي يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليلا .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت * يقول ، أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيي أولياءك بالبذل والإحسان ، فكأنك سحاب يمطر الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غـير احتفال ولا استعداد .

(٣) وهشوذان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيده ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله مانال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشوذان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشوذان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

ما يَبْلغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... ما يبلُغُ الجاهِلُ مِنْ نَفسِـه

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية المنتهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمعى فإنه لا يجيز أبرقت وأرعدت .

مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَذَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدْ(١)
بِلاَ سِلاَحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ فَفَازَ بِالنَّصْرِ ، وَانْثَنَى رَاشِدْ(٢)
يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدْ(٣)
وَلِيتَ يَوْمَىْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِياً وَلاَ شَاهِدْ(٤)
وَلَمْ يَغِبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدُّهُ الصَّاعِدْ(٥)
وَكُلُّ خَطِّيَّةٍ مُثَقَّفَةٍ يَهُزُّهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدْ(٦)

---

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى يفد طلبا للعطاء وأراد وافدا بالنصب ولـكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأتى يقول ؛ الذى أتاكم محاربا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليـكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاز ورجع غانما راشدا .

(٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى ساده غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول : من يحاربكم ويتمرد عليـكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرءوسا ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب ـ قال العـكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولاها ـ وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظا من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛

وحارَبَنِى فيهِ رَيْبُ الزمانِ كأنَّ الزمانَ لهُ عاشِقُ

(٤) وليت ؛ توليت ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول : توليت فناء عسكر وهشوذان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تـكن قريبا منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعبارة الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشوذان ، ولم يـكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أبيك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أبيك ، وحظك الصاعد فى مراقى السعد ، فـكأنك لم تغب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك

(٦) وكل ؛ عطف على جيش ـ فى البيت السابق ـ والخطية المثقفة ؛ الرماح المقومة



سَوَافِكٌ مَا يَدَعْنَ فَاصِـلَةً بَيْنَ طَرِىٍّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدْ(١)

إِذَا الْمَنَـايَا بَدَتْ فَدَعْوَتُهَا أُبْدِلَ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدْ(٢)

إِذَا دَرَى الْحِصْـنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا

خَـرَّ لَهَـا فى أَسَاسِهِ سَـاجِدْ(٣)

مَا كَانَتِ الطِّرْمُ فى عَجَاجَتِهَا إِلَّا بَعِيراً أَضَـلَّهُ نَاشِدْ(٤)

تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةً شَـارِدْ(٥)

المستوية . والمارد ؛ الذى لايطاق خبثا وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك فى القتال الرماح المقومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبرى : وهو أبلغ إذا لقى الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بعد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكرهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هى ــ الخطية ــ سوافك الخ . والجاسد؛ اللازق الذى قد جف . يقول : هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما فجف أردفته دما طريا دون أن تفصل بينهما . فقوله: ما يدعن فاصلة ؛ أى من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن جنى ؛ أى ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلنه دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبردعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت المنايا وكشرت عن نابها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد ــ الذى على الحياد وخام عن القتال ــ من جيش عضد الدولة ــ حائناً ؛ أى هالـكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالـكا .

(٣) الضمير فى بها ولها ؛ للخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرائن . يقول ؛ إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذى رماه بالخيل سقط ساجدا وانقضت حيطانه لها هيبة له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشوذان . والعجاجة ؛ واحدة العجاج ؛ الغبار ؛ وفلان ينشد ضالته ؛ يطلبها . يقول : إن الطرم كانت فى غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه ، فهو ينشده ؛ أى أن العجاج أحاط بها لـكثرته حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أى الطرم ــ قلاع وهشوذان ــ أو الخيل ، يقول : تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشوذان ، وقد مسخته الخيل نعامة شروداً ؛ يعنى أنه أسرع فى الهرب

تَسْتَوْحِشُ الأَرْضُ أَنْ تَقِرَّ بِهِ
فَكُلُّهَا مُنْكِرٌ لَهُ جَاحِدْ (١)

فَلاَ مُشَادٌ وَلاَ مُشِيدٌ حَمَى وَلاَ مَشِيدٌ أَغْنَى وَلاَ شَائِدْ (٢)

فَاغْتَظْ بِقَوْمٍ وَهشُوذَ مَا خُلِقُوا إِلاَّ لِغَيْظِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدْ (٣)

رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوْكَ نَابِتَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدْ (٤)

وَخَلِّ زِيًّا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدْ (٥)

كالنعامة عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعامة بشدة النفور والشرود ، والنعامة ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامة ، ومن ثم وصفها بالشارد ،

(١) يقول ، تخاف الأرض أن تقر به ، أى تعترف بموضعه منها فتطأها خيلك ،فكل موضع ينكره ويجحد أنه رآه ، يريد شدة إمعانه فى الهرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، آنه ـ بالمد وكسر النون ـ يقال أنه بأنه أنها وآنوها ، إذا تزحر من ثقل يجده .

(٢) المشاد ، البناء المرفوع المطول ، والمشيد المعلى للبناء ، وحمى ، يروى على أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للمكان المحمى ، والمشيد ، المطلى بالشيد ، وهو الجص أو الكلس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشوذان البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تغن عنه قلعته ولا جنده ،

(٣) وهشوذ : ترخيم وهشوذان . يقول : كن أبداً مغتاظاً بقوم لم يخلقوا إلا غيظاً للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابتة مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى طلب الكلأ ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلة بمنزلة نبات يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشوذان والظفر به وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لانها رأته من الضعف بحيث لا يستأهل مسير أحدهما . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وخل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكية لا يليق بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزيى بزى الملوك ملكا ، كما أنه ليس كل من دمى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود



إنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدِ الأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيُمْنُهُ عَامِدْ(١)
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لاَ يَرَى مَعَهُ بُشْرَى بِفَتْحٍ كَأَنَّهُ فَاقِدْ(٢)
وَالأَمْرُ لِلَّهِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلاَّ لأَنَّهُ جَاهِدْ(٣)
وَمُتَّقٍ وَالسِّهَامُ مُرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدْ(٤)
فَلاَ يُبَلْ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَائِماً نَالَ ذَاكَ أَمْ قَاعِدْ(٥)
لَيْتَ ثَنَائِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى مَنْ صِيغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدْ(٦)

---

(١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه.

(٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئا ، وقال ابن جنى : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها. قال ابن فورجه: مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة فى حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الثكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .

(٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده فى طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعتز ؛ تذل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك فى التدبير .

(٤) ومتق ؛ عطف على مجتهد ؛ والحابض ؛ خلاف الصارد ؛ يقال حبض السهم ؛ إذا وقع بين يدى الرامى لضعف الرمى ، والصارد ؛ السهم النافذ فى الرمية والبيت فى معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه

(٥) يقول ؛ من قتل عدوه فلا يبالى ، أقتله قائما أم قاعدا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال ؛ أى ليس بمهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى ؛ كان حقه أن يقول لا يبال — بحذف الياء الأخيرة — للجزم، ولكنه قاس على قولهم ؛ لا تبل ، بمعنى لا تبالى ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم «لا يبل» ، فيجوز فيه ما جاز فى غيره .

(٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه فى الثناء على الممدوح هو باق مخلد فى



لَوَيْتَهُ دُمْلُجاً عَلَى عَضُدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنُهَا لَهُ وَالِدُ[١]

***

وقال فى صباه :

وَشَادِنٍ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فِى يَدِهِ سَيْفُ الصُّدُودِ عَلَى أعلى مُقَلَّدِهِ[٢]

مَا اُهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ لِيَبْتُرَهُ إِلاَّ اُتَّقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلُّدِهِ[٣]

ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحِبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِى حَمْدِ أَحْمَدِهِ[٤]

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى الممدوح — حتى لايهلك ويبقى خالداً .

(١) الدملج : مايلبس من الحلى فى العضد . يقول : جعلت ... يحلى حلية به كما يحلى العضد بالدملج . وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنهما ملاك الدولة وقوامها ، فهو عضدها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجا لذكر العضد .

(٢) الشادن : الظبى يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد فى الأصل : العنق ، لأنه موضع القلاده ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصدوده ؛ فكأنه تقلد سيفا من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه العكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيفُ الصدودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ *

أما العجز فقالا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفِّ أَهْيَفَ ذى مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

يَفرِى طُلَى وَامِقِيه فى تجرُّدِه

أما الرواية التى أثبتنا ها فهى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : القطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير فى اهتز ؛ للسيف ، وفى منه ؛ للشادن ؛ وفى اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والمنصوب ؛ للسيف ، يقول ؛ لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبى ؛



شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ (١)
إِنْ يَقْبُحِ الْحُسْنُ إلاَّ عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إلاَّ عِنْدَ سَيِّدِهِ (٢)

إن الزمان ذم إلى المتنبي العيب الذى ذمه المتنبى من بدر الزمان عند حمده هذا الرجل المسمى أحمد ، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان فى مودة الأحبة ، وفى القمر بالنسبة إلى الممدوح — فأحبته يجفونه ويصدون عنه ؛ والبدر — على بهائه وحسنه — دون أحمد هذا ، فالضمير فى بدره وأحمده للزمان ، وسائر الضمائر ؛ للعاشق — أى المتنبى ، وإليك أقوال الشراح ، قال ابن جنى : البدر هو المعشوق ، جعله بدر الزمان مبالغة فى حسنه ؛ وأحمد ؛ هو المتنبى ، وجعل نفسه أحمد الزمان ، يريد ؛ ليس فى الزمان أحمد مثله ، والمعنى ؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذى هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاءه وهجره ، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمده المتنبى ؛ فالزمان يذم هجر أحبته ويحمده هو لفضله ونجابته قال الواحدى : قد تهوس أبو الفتح فى هذا البيت وأتى بكلام كثير لافائدة فيه ، ومعنى البيت ؛ إن الزمان ذم إلى المتنبى من أحبة المتنبى ، لأنهم يجفونه ماذم الزمان فى بدره يعنى القمر فى حمد أحمده ، يعنى الممدوح ، والمعنى ؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا الممدوح ، يعنى ، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا ، وقال ابن القطاع ، يريد ، أن الزمان يذم معه هجر أحبته كما ذم هو بدره ، أى حبيبه ،

(١) على فرس ؛ حال من الهاء فى لا قته ؛ أى وهو على فرس يقول : هو شمس إذا رأته الشمس وهو يجول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هيولى الشمس ، لأنه أضوأ منها ، فالشمس تستفيد منه النور .

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين ، إن «إن» ، شرطية ،وجوابها ، فالعبد ، والمعنى ، هو مولى الحسن ، والحسن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعته كالعبد لايحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه ، وقال اليازجى ، إن قوله يقبح — فى عجز البيت خطأ فى الرواية ، والصواب يحسن ، فتكون إن ، نافية ، والمعنى ، إن الحسن فى غير هذا الممدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابلته بطلعته لما فيها من الكمال وفى غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه ، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده ، فإذا قوبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية .



قَالَتْ عَنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لاَ يَصْدُرُ الْحُرُّ إلاَّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ[١]

لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إلاَّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى
لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إلاَّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ

نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ
لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِى سِنِّ أَمْرَدِهِ[٢]

---

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول ، فقلت لها ، إن الحر إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لابدلى من بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهية : العقل · يقول : إن نفسه ـ فى عظمها وكبرها ـ تصغر نفس الدهر الذى هو مجمع الخير والشر .



قافيـة الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومى :

أَمُسَاوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هٰذَا ... أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الأُسْتَاذَا[(1)]

شِمْ مَا ٱنْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ ... قِطَعاً ، وَقَدْ تَرَكَ العِبَادَ جُذَاذَا[(2)]

هَبْكَ ٱبْنَ يَزْدَاذٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ ... أَتَرَى ٱلْوَرَى أَضْحَوْا بَنِى يَزْدَاذَا[(3)]

غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... أَقْفَاءَهُمْ وَكُبُودَهُمْ أَفْلاذَا[(4)]

فِى مَوْقِفٍ وَقَفَ ٱلْحِمَامُ عَلَيْهِمِ ... فِى ضَنْكِهِ وَٱسْتَحْوَذَ ٱسْتِحْوَاذَا[(5)]

(١) قرن الشمس : أول مايبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم ؛ قال تعالى« يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ فى بعض لغة أهل الشام . شبهه فى حسنه : بقرن الشمس ، وفى شجاعته : بليث الغاب ، وكان يتقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذى سللته من الغمد ، فقد فللت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعا . فشم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . وانتضاه : استله ، وذباب السيف : حده ، والجذاذ : جمع جذاذة ، وهى القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أى احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أفتظن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملتك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعا ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر مافعله بهم يقول : إنك هزمتهم فى الموضع الذى لقيتهم فيه فولوك أقفاءهم حتى قامت مقام وجوههم فى استقبالك ، وتركت أكبادهم قطعاً صغاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، فقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفاءهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أى وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك فى معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم فى ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحمام : الموت ؛ والضنك : الضيق .

جَمَـدَتْ نفُوسُهُمُ فَلَمَّا جِئْتَهَـا أجْـرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا ٱلْفُولاذَا[١]
لَمَّـا رَأَوْكَ رَأَوْا أبَاكَ مُحَمَّـداً فِي جَوْشَـنٍ وَأَخَا أبِيكَ مُعَاذَا[٢]

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنكه : لموقف ؛ واستحوذ : استولى .

(١) الفولاذ : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، للنقى من خبثه دخيل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالشىء الجامد ، ثم قال المتنبى : فلما جئتها أجريتها — أى أجريت نفوسهم : أى أسلت دماءهم على سيوفك ، فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفولاذ الماء . وقال الواحدى: فى « جمدت » أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول قول الشاعر :

فَلَوْ أنَّا على جُحْـرٍ ذُبِحْنا جَرى الدَّميان بالخبَرِ اليَقين[١]

يريد : أن دمى يسيل لأنى شجاع ، ودمك لايسيل لأنك جبان . والثانى أن دماءهم كانت محقونة ، فلما جئتها أبحتها بسيوفك ، فجعل حقنها كالجمود ؛ إذكان يذكر بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أباك وعمك لأنك تشبههما ، فلصحة شبهك بهما كأنهم رأوهما : يعنى اجتمع فيك فضلهما وشجاعتهما وكرمهما .

(١) قبل هذ البيت :

لَعَمْرُكَ إنني وأبا رَبَاحٍ على طُول التجاوُرِ مُنْذُ حِين
لَيُبْغِضُنِي وأُبغضـه وأيضاً يَرَانِي دُونَه وَأرَاهُ دُونى

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها — كما قال ابن دريد — أنها لشاعر اسمه على بن بدال ابن سليم .

والتكاشر : المباسطة من « الكشر » وهو : التبسم ، و « جحر » بضم الجيم وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالخبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين .

قال ابن الأعرابى : يريد لم يختلط دمى ودمه ، من بغضى له وبغضه لى بل يجرى دمى يمنة ودمه يسرة .

وقال بعضهم : معناه لو ذبحنا على جحر لعلم من الشجاع منا من الجبان بجرى دمى وجمود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد.



أعجلت ألسنهم بضرب رقابهم عن قولهم لا فارس إلا ذا[١]

غر طلعت عليه طلعة عارض مطر المنايا وابلا وزذاذا[٢]

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدم وبل ببوله الأفخاذا[٣]

سدت عليه المشرفية طرقه فانصاع لا حلبا ولا بغداذا[٤]

طلب الإمارة في الثغور ونشوه ما بين كرخايا إلى كلواذا[٥]

فكأنه حسب الأسنة حلوة أو ظنها البرني والآزاذا[٦]

---

(١) يقول : لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك فريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : والألسن جمع لسان على تأنيثه . يقال فى التأنيث : ثلاث ألسن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة ألسنة : مثل حمار وأحمرة ، وهذا قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن زذاذ — غر ؛ والغر ؛ الغافل ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ والوابل : المطر الشديد . والزذاذ : الخفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسراً .

(٣) يريد : أنه تلطخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : انثنى وولى : وبغداذ : لغة فى بغداد ، يقول : انهزم وتلدد فى أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغداذا : منصوبان بمضمر أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفها ضرورة

(٥) كرخايا وكلواذا : قريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ فى سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاذ : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطعان



لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اُخْتَلَفَ اُلْقَنَـــا
جَعَـــلَ الطِّعَانَ مِنَ الطِّعَانِ مَــلَاذَا(١)

مَنْ لَا تُوَافِقُـــهُ اُلْحَيَاةُ وَطِيبُهَـــا
حَـــتَّى يُوَافِقَ عَـــزْمَهُ الإِنْفَاذَا(٢)

مُتَعَـــوِّداً لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَـــالُهَـــا
فِي اُلْبَرْدِ خَـــزًّا وَاُلْهَوَاجِـــرِ لَاذَا(٣)

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمراً يأكله . « هذا ، والمشهور فى الآزاذ القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطعنى هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملجأ . يقول : لم يلق قبلك رجلا إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحمى حقيقته إلا بالطعان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تأخرْتُ أسْتَبقِى اُلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِـــدْ
لِنَفْسى حَيَـــاةً مِثْلَ أَنْ أَتقَدَّما

(٢) من : فى موضع نصب ، بدل من من الأولى — . يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أى أن طيب عيشه فى إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شىء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبرى: وهذا من قول الحكيم «لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفا ».

(٣) الخز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ واللاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت شدة الحر فى نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها فى صبارة البرد خزاً يقيه البرد : وفى حمارة القيظ لاذا يلاذ به من الحر . فلتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقوله : متعودا ، نعت لمن — على أنها نكرة — « هذا » : وفى البيت عطف على معمولى عاملين مختلفين ، لأن الهواجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولها جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .

أَعْجِبْ بِأَخْذِكَهُ ، وَأَعْجَبُ مِنْكُمَا
أَنْ لاَ تَكُونَ لِمِثْلِهِ أَخَّاذَا[١]

***

أَكُلُّ امْرِىءٍ تَحْسَبِينَ امْرأً ،
وَنَارٍ تَأَجَّجَ بِاللَّيْلِ نَاراً

(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه فى قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه لأنك مظفر منصور على أعدائك لايفلت منك أحد تقصده .



قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ، وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ[1]

وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ[2]

وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي العِدَى حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ[3]

وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الأَبْصَارُ[4]

---

(١) النوار : كالنور ، واحدته نوارة . وهو الزهر . وقيل : النوار والنور الأبيض والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والمقدار قدر الله. يدعو له ، يقول : سر واذهب لطيتك حل النوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك المقدار على ماتريده من المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى تنزله فحيثما نزلت نزل النوار والقضاء موافق لما تريد.

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ من العدة ، قال لبيد :

أَتَتْ وأسبَل واكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ يُرْوِى الخَمائلَ دائمًا تَسْجامُها[1]

والمدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة – أى صحبتك حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه ونوبه أعوان لك على ماتريد .

(٤) الإصدار : الانثناء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا وأنت أغنم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفتهم مشرئبة شوقا إلى رؤيتك ، وهذه الأبيات كلها دعاء له .

---

(١) من معلقة لبيد . يقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها فى مطر دائم الهطلان

أَنْتَ الَّذِي بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ ... وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ(١)

وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ ... وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الأَعْمَارُ(٢)

وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبٌ ... دَرُّ الْمُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ(٣)

لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، ... وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَارُ(٤)

وَتَحِيدُ عَنْ طَبَعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ، ... وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ(٥)

---

(١) بجح : فرح ؛ قال الجوهرى : بجح بالشىء وبجح به أيضا ـ بالفتح ـ لغة ضعيفة فيه وأبجحه الأمر وبجحه أفرحه . وفلان يتبجح أى يفتخر ويباهى بشىء ما، وقيل يتعظم وقد بجح يبجح قال الراعى .

وما الفقرُ عن أرض العشيرة ساقَنا ... إليكَ ولكنَّا بقُرباكَ نَبجَحُ

والسمر : حديث الليل . يقول : يبتهج الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت فى جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين — بقية اللبن فى الضرع . يقول : إن عطاياه تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهى لايتوقى الهلاك ، ولكنه يتوقى أن يدانيك شىء فيه عار . وقوله: مايخاف ويخاف يرويان ماتخاف وتخاف على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : الثقيل السير الذى لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرته . وقال العكبرى : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرته وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويجنى على السماء بارتفاع الغبار إليها ؛ وقيل سمى جراراً لأنه يجر ذيله فى التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تتنكب كل شىء يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتنكبك الجيش الكثير اتقاء بأسك فأنت هارب من وجه ، مهروب عنه من وجه وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وأَجبَنَ عن تعريض عِرْضٍ لجاهل ... وإن كنتَ بالإقدامِ أطْعَنَ فى الصفّ

يَامَنْ يَعِزُّ عَلَى الأَعِزَّةِ جارُهُ ، وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الجَبَّارُ(١)
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللِّقَاءِ وَلاَ يَشِطُّ مَزَارُ(٢)
وَبِدُونِ ما أنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى المَطِيُّ وَيَقْرُبُ المُسْتَارُ(٣)
إنَّ الَّذِى خَلَّفْتُ خَلْفِى ضَائِعٌ مالِى عَلى قَلَقِى إلَيْهِ خِيَارُ(٤)
وَإذَا صُحِبْتَ فَكُلُّ ماءٍ مَشْرَبٌ لَوْلاَ العِيالُ وَكُلُّ أرْضٍ دَارُ(٥)
إذْنُ الأَمِيرِ بِأنْ أعُودَ إلَيْهِمِ صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِها الأشْعارُ(٦)

---

(١) يقول : إن جاره الذليل يعز على الأعزة، فلا يقدرون أن ينالوه بسوء ، والمتكبر العاتى العظيم يصير ذليلا لديه إذا غضب .

(٢) تحول : تعترض وتمنع ، والتنوفة الفلاة المترامية الأطراف ، ويشط : يبعد . يقول : كن حيث شئت من الأرض فما يمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفى هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى المُشْتاقِ أوْ ذِى صبابةٍ وأما على الكَسْلانِ فَهوَ بَعِيدُ

(٣) المستار : مفتعل من السير قال الراجز :

أشْكو إلى اللهِ العَزِيزِ الغفَّارْ ثم إليكَ اليومَ بُعْدَ المُسْتارْ

وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلها بطول السير . والمطى . جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف وودتى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن المحب مهما بعد عنه محبوبه فهو زائره ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) على : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق ونزاع النفس . والخيار : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلفته ورائى من أهلى ضائع بخروجى من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقى واشتياقى إليهم ولا اختيار لى فى إيثارك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتنى بإحسانك

(٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء ووافقتنى كل أرض حتى كأنها دارى لولا من خلفت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى . وهذا كقول المهلبى :

وخيره بين فرسين دهماء وكُمَيت فقال :

اخترْتُ دَهْماءَ تَيْنِ يَا مَطرُ   وَمَنْ لَهُ فى الفَضَائِلِ الخِيَرُ(١)

وَرُبَّمَا قَالَتْ العُيُــونُ وَقَدْ   يَصْدُقُ فيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ(٢)

أَنْتَ الَّذِى لَوْ يُعابُ فى مَلأٍ   مَا عِيــبَ إلاَّ بأَنَّهُ بَشَرُ(٣)

وَأَنَّ إعْطَاءَهُ الصَّوَارِمُ وَالــخَيْلُ وَسُمْرُ الرِّمَاحِ وَالعَكَرُ(٤)

فَهَلْ لَكَ فى الإذنِ لى رَاضِيــاً   فإنى أَرَى الإذنَ غُنماً كثــيراً

(١) قوله دهماءتين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين : أى الفاضل منهما . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وتثنيتها : تان . وقوله يامطر: أىياشبيه المطرفى الجود. وقوله ومن له: أى ويامن له الاختيار فى الفضائل فيختار منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدى : يروى الخبر يريد الاشتهار فى الفضائل

(٢) يقال : فال رأيه يفيل فيلولة: أخطأ وضعف. فقوله :قالت العيون ،أى أخطأت يقول إنى اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت مخطئا فى الاختيار . فإن النظر قد يصدق فى العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتخطىء .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشراً ، أى أنت أجل قدرا من أن تكون بشراً آدميا ، لأن مافيك من الفضائل لا يكون فى بشر . والملأ جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والعكر جمع عكرة القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ماعابوك إلا بسخائك وإسرافك فى هذا السخاء . يعنى أنهم لا يعيبونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قبيل قول النابغة .

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أن سيوفَهم   بِهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائب

وقول عبد الله بن قيس الرقيات

ما نَقموا مِنْ بَنِى أُمَيَّةَ إلا   أنهم يَحْلُمونَ إن غَضِبُوا

وقال ابن جنى : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذافإذافعلت هذا فكأنك معيب به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ماذكره ابن جنى فهو هجو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ماوهبت يسير فى جنب



فَاضِحُ أَعْدَائِهِ كَأَنَّهُمُ ... لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّمَا كَثُرُوا[1]
أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ ، ... وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ القَمَرُ[2]

وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس[3] بن الأحنف يسأله إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أُوثِرُ ... وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أُظْهِرُ[4]
كَفَتْكَ المُرُوءَةُ مَا تَتَّقِي ، ... وَآمَنَكَ الوُدُّ مَا تَحْذَرُ[5]

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبرى قال: الذى ذكره ابن جنى صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضى أكثر مما يعطى ؛ كقوله أيضاً :

* يا مَن إذا وهَبَ الدنيا فقد بخلا

(١) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخلفهم عنه وتوافر فضائله ؛ فإذا قيسوا به وضيفوا إليه قلوا دقة وحقارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكمية ؛ وهذا معنى دقيق بديع ؛ وقوله : كأنهم له ، أى لاجله .

(٢) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء ؛ ويحتمل أن يكون خبراً . وقوله ومخطىء من رميه القمر ؛ فالرمى : المرمى . يقول : إنهم لا يصيبونك برميهم كما لا يصيب القمر من رماه . لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميه وكذلك أنت

(٣) والبيتان هما :

أَمِنِّي تخافُ انتشارَ الحديثِ ... وحظِّيَ فى سَترِهِ أَوْفَرُ
ولوْ لم أَصُنْهُ لِبُقْيَا عليكَ ... نَظَرْتُ لنفسى كما تَنظُرُ

« قوله : لبقيا عليك : أى لإرعاء عليك ورحمة : أى لو لم أصن سرك إرعاء عليك من إفشائه لصنته إرعاء على نفسى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع الناس على مابيننا

(٣) أوثر : أختار ؛ والعائد محذوف : أى أوثره ؛ وقوله : فما أظهر ، استفهام إنكارى . يقول : إذا رضيت أمراً فهو رضاى الذى أختاره وسرنا واحد ، فأى شىء أظهر منه ؛ أى لا أظهر سرك لأنه سرى

(٥) يقول : اطمئن من جهتى لأنى ذو مروءة ، وذو المروءة لا يكون مذياعاً



وَمِرُّكُمُ فى الحَشَـا مَيِّتٌ ... إذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ (١)
كَأَنِّى عَصَتْ مُقْلَتِى فِيكُمُ ... وَكَاتَمَتِ القَلْبَ ما تُبْصِرُ (٢)
وَإفْشَاءُ ما أنَا مُسْتَوْدَعٌ ... مِنَ الغَدْرِ وَالحُرُّ لا يَغْدِرُ (٣)
إذَا ما قَدَرْتُ عَلَى نَطْقَةٍ ... فَإنِّى عَلَى تَرْكِهَا أقْدَرُ (٤)
أُصَرِّفُ نَفْسِى كَمَا أشْتَهِى ... وَأمْلِكُهَا وَالقَنَا أحْمَرُ (٥)
دَوَالَيْكَ يا سَيْفَهَا دَوْلَةً ... وَأمْرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ (٦)

للأسرار ، وأنا ـ مع ذلك ـ محب لك ، والمحب لا يسوء إلى حبيبه بإفشاء سره . والمروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشيء : أغناه عن معاناته ، وتتق : تحذر و«ما» فى ماتتق وما تحذر ـ اسم موصول بمعنى الذى ، وهى فيهما مفعول ثان للفعل قبلها .

(١) أنشر : من النشور ، وهى بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سركم فى قلبى كالميت الذى لايحيا بعد موته، أى أنه ـ لشدة إخفائه السر ـ أماته إماتة حتى لا بعث له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إنى لأسترُ ماذو اللُّبِّ ساتِرُهُ ... من حاجة وأُميتُ السِّرَّ كِتمانَا

وكقول قيس بن ذريح .

وإنى من القوم الذين صـدورهم ... إذا استودِعوا الأسرار فهى قبورها

(٢) يقول : كأن عينى لما نظرت إليكم أخفت عن قلبى مارأت ، فلم يعلم بذلك . فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبى الذى أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمته سرى أى كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثان :لكاتمت ولك أن تقول: إن بين قوله عصت وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلين واقعان على القلب، أو تقول : إن المراد بالأول مجرد إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقول : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده لا تغلبه نفسه على شيء لا يريده . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاره الحرب إذا احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها فى كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرك : أى مر أمرك

أتانى رَسُـولُكَ مُسْتَعْجِلاً فَلَبَّاه شِـعْرِى الَّذِى أَذْخَرُ
وَلَوْ كانَ يَوْمَ وَغًى قاتِمـاً لَلَبَّاهُ سَـيْفِى وَالأَشْقَرُ (١)
فَلاَ غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْـلِهِ فَإِنَّكَ عَـيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ (٢)

* *

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك (*) :

أَرَى ذلِكَ الْقُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلاَمِ اخْتِصَارَا (٣)
تَرَكْتَنِي الْيَـوْمَ فِي خَجْلَةٍ أَمُوتُ مِرَاراً وَأَحْيَا مِرَارَا (٤)

فهو مطاع فأمرك ؛ مفعول مطلق لمر ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أى دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التى استعملت مثناة . والغرض التوكيد ، ومثله لبيك وسعديك وحنانيك . ونصب دولة : على التمييز

(١) اسم كان : مضمر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياى ، أو لو كان مانحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذى علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياى يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفى وبفرسى الأشقر : وقال بعض الشراح : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ماقبله : أى ولو كان أتانى . وهذا البيت والذى قبله من قول البحترى :

جعلتُ لِسَـانِى دُونَهُمْ وَلَوَ انَّهُمْ أهابُوا بِسَيْفِى كان أَسْرَعَ مِن طَرْفِى

(٢) يقول : أنت عين الدهر التى ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أى بقيت ، فإن مايصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .

* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه فى الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى بيته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الازورار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولا عنى وانحرافاً .

(٤) يقول : أنا فى خجلة من الناس لإعراضك عنى كلما ساورتنى ذكراها صرت كالميت ، وإذا زالت حييت ، فأموت فى اليوم مرات كثيرة وأحيا مرات كثيرة .



أُسَــارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِياً ... وَأَزْجُرُ فى الْخَيْلِ مُهْرِى سِرَارَا[١]

وَأَعْلَمُ أَنِّى إِذَا مَا اعْتَــذَرْتُ ... إِلَيْـكَ أَرَادَ اعْتِذَارِى اعْتِذَارَا[٢]

كَفَـرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا ... تِ إِنْ كَانَ ذٰلِكَ مِنِّى اخْتِيَارَا[٣]

وَلَـكِنْ حَمَى الشِّـعْرَ إِلاَّ الْقَلِيـلَ ... هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلاَّ غِـرَارَا[٤]

وَمَا أَنَا أَسْـقَمْتُ جِسْمِى بِهِ ، ... وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فى الْقَلْبِ نَارَا[٥]

---

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سراً . يقول : وأنظر إليك لحيائى منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهرى فى الميدان زجرته بصوت خفى ، ولم أجسر أن أرفع صوتى حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر المجرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترمته كان هذا الاعتذار شيئا منكراً يحمل أن أعتذر منه أيضا لأنه فى غير محله . وقال بعض الشراح : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : جحدت ماغمرتنى به من مكارمك الباهرة التى ليس فى مكنة أحد أن يجحدها إن كان تركى مدحك وتأخير شعرى اختياراً منى ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع مايقسم به العرب ، ولا يزال مثله جاريا بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلا نذلا إذا حصل منى كيت وكيت .

(٤) الغرار النوم القليل قال الفرزدق فى مرثية الحجاج :

إن الرزيَّة مِنْ ثقيــفٍ هالِكٌ ... ترك العيونَ فنَوْمُهُنَّ غِــرارُ

أى قليل ، وقيل الغرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار فى صلاة ولا تسليم : أى لانقصان . أى لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان فى لبنها . والقليل : بدل بعض من الشعر : أى إلا القليل منه ، وكذا مثله فى الشطر الثانى يقول : منعنى الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذنى منه المقيم المقعد حتى منعنى النوم ، فكيف لا يمنعنى قول الشعر ؟

(٥) يعتذر مما ألم به من الهم الذى أسقم جسمه وأوقد فى قلبه ناراً بلهيبه وكان سبب انقطاعه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فعلى واختيارى إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارته . وهذا من قول العطوى :

أَتُرَانِى أَنَا وَفَـرْ ... تُ مِنَ الهمِّ نَصِـيبِى

فَلاَ تُلزِمَــنِّى ذُنُوبَ الزَّمَانِ   إلَىَّ أسَــاء وَإيَّاىَ ضارا[١]
وَعِنْدِى لَكَ الشُّرُدُ السَّــائِرَا   تُ لاَ يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأرْضِ دَارَا[٢]
قَوَافٍ إذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِى   وَثَبْنَ الجِبَالَ وَخُضْــنَ البِحَارَا[٣]
وَلِى فِيكَ مَا لَمْ يَقُــلْ قَائِلٌ   وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَــرٌ حَيْثُ سَارَا
فَــلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ   لَــكَانُوا الظَّلاَمَ وَكُنْتَ النَّهَارَا[٤]

أنا أعطَيْتُ العيُونَ النُّجْــلَ أسْلابَ القــلوبِ
لوْ إلىَّ الأمْرُ ما أقْــذَيْتُ عَيناً برَقِيبِ

(١) ضاره وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذى أورثنى هذا الهم فسبب ذلك انقطاعى عن الشعر ، فلا تؤاخذنى بذنوب الزمان . على أن إساءته إنما ألمت بى أنا، وأنا المساء بها فلا تقع تبعتها على كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، يعنى القصائد التى تسير فى البلاد ولا تستقر بموضع . يقول : وعندى لك القصائد التى أقولها فى مدحك فتسير فى الآفاق ويتناقلها الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والمقول : اللسان . يقول : إذا خرجت هذه القوافى من لسانى سارت فى البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ماوراءها : أى أن الجبال والبحار لا تحول دون سيرها . قال على بن الجهم يصف شعره .

فسَارَ مَسِيرَ الشمْسِ فى كل بَلْدَة   وَهَبَّ هبُوبَ الرِّيحِ فى البَرِّ والبَحْرِ

وقال أبو تمام :

فإنْ أنا لم يَحْمَدْكَ عَــنِّى صَاغِراً   عَدُوُّكَ فاعلم أننى غَــيْرُ حامِدِ[١]
بِسَيَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غيرِ سائِقٍ ،   وتنْقادُ فى الآفاقِ مِنْ غيرِ قائِدِ

(٤) قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : لكانوا الظلال وكنت الضياء أو الليل وكنت النهار لكان أحسن فى التطبيق؛ قال العكبرى : قلت يمكنه : لكانوا الليالى والوزن مستقيم .

---

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشده على غير رغبة منه لاستحسانه إياه .

أَشَدُّهُمُ فى النَّــدَى هِزَّةً وأَبْعَدُهُمْ فى عَدُوٍّ مُغَارَا[١]
سَمَا بِكَ هَمِّى فَوْقَ الْهُمُومِ فَلَسْتُ أَعُدُّ يَسَاراً يَسَارَا[٢]
وَمَنْ كُنْتَ بَحْراً لَهُ يَا عَــلِىُّ لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إِلاَّ كِبارَا[٣]

وقال يهنئه بعيد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ والأَعْيَادُ وَالْعُصُرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ[٤]
تُرِى الأَهِـلَّةَ وَجْهاً عَمَّ نَائِـلُهُ فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ[٥]

---

(١) الندى : الجود ؛ والهزة ــ بالكسر ــ الأريحية ؛ والمغار : مصدر ميمى بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء ، وأبعد الناس مدى غارة فى العدو .

(٢) الهم : الهمة ، واليسار الغنى : يقول : علت همتى بخدمتك والانتماء إليك وبما يسرت لى من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب مافوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) الفطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر ــ بضمتين ــ لغة فى العصر وهو الدهر ويأتى أيضا جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحتى : حرف عطف ــ كالواو ــ يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شىء ، يعنى أن نورك عم كل شىء -ق الشمس والقمر اللذين يستضاء بها . هذا : وقال العكبرى ــ لمناسبة حتى ــ : وقد اختلف أصحابنا فى حتى فقالوا هى حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جر يجر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هى فى كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بعطائك فقد أنلت الأهلة بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .



مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلاَّ رَوْضَةٌ أُنُفٌ ... يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِى دَهْرِهِ زَهَرُ(١)

مَا يَنْتَهِى لَكَ فِى أَيَّامِهِ كَرَمٌ ... فَلاَ انْتَهَى لَكَ فِى أَعْوَامِهِ عُمُرُ(٢)

فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرَارِهَا شَرَفٌ ... وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ(٣)

(١) الأنف : التى لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمائل : الخلائق يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهى أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفى ؛ والضمير فى أيامه وأعوامه للدهر . يقول : ليس ينتهى كرمك فى أيام الدهر ، أى أنه يزداد كرما على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك فى أعوامه ، أى لا أنقص لك أجلا .

(٣) الضمير فى تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أى من التكرار يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهرم .



وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لزحام الناس ، فعاتبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .

فقال المتنبي ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :

ظُلْمٌ لِذَا الْيَوْمِ وَصْفٌ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ
لا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ (١)

تَزَاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَباً ... إِلَى بِسَاطِكَ لِي سَمْعٌ ولا بَصَرُ (٢)

فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ ... مُعَايِناً وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ (٣)

الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلْكُ الرُّومِ نَاظِرَهُ ... لأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ (٤)

وَإِنْ أَجَبْتَ بِشَيْءٍ عَنْ رَسَائِلِهِ ... فَمَا يَزَالُ عَلَى الأَمْلاكِ يَفْتَخِرُ (٥)

قَدِ اسْتَرَاحَتْ إِلَى وَقْتٍ رِقَابُهُمُ ... مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ (٦)

---

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسببا : أى وصلة أتوصل بها : أى سبيلا . ثم قال في البيت الثاني : كنت في هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأنى كنت شاهداً بشخصي ، وكنت أغيبهم عيانا لأنى غبت معاينة إذ لم أر ما يجرى فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفعل تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينا : بدل من أشهد . والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعنده : بمعنى في اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازاً برضاك ، وقد كان مطرقا استخذاء وخوفا . لأن عفوك في اعتقاده ظفر وفلج .

(٥) يقول : إذا أجبته افتخر على الملوك .

(٦) يقول . لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغزوهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تفتر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .



وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَـيْرَهُمُ لِكَىْ تَجِمَّ رُءوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصَرُ(١)

تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةً جُودٌ لِكَفِّكَ ثَانٍ نَالَهُ الْمَطَرُ(٢)

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْـكَ النُّورَ طَالِعَةً

كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ(٣)

***

وقال لما أوقع سيف الدولة ببنى عقيل وقشير و بنى العجلان و بنى كلاب حين عاثوا فى عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجفالهم من بين يديه وظفره بهم ، وله خبر طويل :

طِوَالُ قَنًا تُطَاعِنُهَا قِصَـارُ وَقَطْرُكَ فى نَدًى وَوَغًى بِحَارُ(٤)

---

(١) الأظهر أن الضمير فى تبدلها : للسيوف — كما قال ابن جنى — لا للروم — كما ذهب إليه الواحدى — وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها والباء فى بالقوم : للعوض . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد النزح ، والقصر ، جمع قصرة أصل العنق . يقول : وقد تحارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتغبهم ليتناسلوا ثم تعود إليهم فتهلكهم .

(٢) تشبيه : مبتدأ . خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول : إذا شبهنا جودك بالأمطار التى تأتى بالغدوات — وهى أغزرها — كان ذلك جوداً ثانياً لكفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبه به جودك .

(٣) تكسب — بحذف إحدى التاءين — أي تتكسب . يقول : إن الشمس تستفيد منك النور كما يستفيد منها القمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى حالها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة لقنا ؛ والندى : الجود . والوغى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التى تطاعنها قصار فى حقك ، لأنها لا تنالك ولا تبلغك ، ولأنها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار كما قال :

يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وفيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَـالَ وفيه طُولُ



وَفِيكَ إِذَا جَنَى الجَانِى أَنَاةٌ ... تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِىَ احْتِقَارُ[١]
وَأَخْذٌ لِلْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِى ... بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوَّدْهُ نِزَارُ[٢]
تَشَمَّمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْساً ... وَتُنْكِرُهُ فَيَعْرُوهَا نِفَارُ[٣]
وَمَا انْقَادَتْ لِغَيْرِكَ فِى زَمَانٍ ... فَتَدْرِى مَا الْمَقَادَةُ وَالصَّغَارُ[٤]

ثم قال : والقليل منك فى الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .

(١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجانى لا تسرع فى عقوبته . يظن ذاك لكرامة له عليك وهو احتقار له عن المكافأة ، لا كرامة .

(٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواضر : جمع حاضرة ، وهى حلاف البادية ؛ والمراد : أهل الحواضر والبوادى ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : نزار يريد العرب : يقول : أنت تأخذ أهل الحضر والبدو بسياسة وضبط لم تتعودها العرب .

(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السياسة أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شمت ريح الإنس فتنفر ، فقوله : تشممه ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى تتشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم فى أناة وتؤدة . ويقال : شممت الشىء أشمه وشممته أشمه شماً وشميما ، قال الصمة بن عبد الله القشيرى :

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[١]

قال أبو حنيفة الدينورى : تشمم الشىء واشتمه أدناه من أنفه ليجتذب رائحته ، وتشممت الشىء شممته فى مهلة .

(٤) المقادة : الانقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم ينقادوا لأحد .

---

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البرى والبيت من أبيات هى :

أقولُ لِصاحِبِى والعِيسُ تَخْدِى ... بنا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فالضِّمارِ
تَمَتَّعْ من شَمِيمِ عَرارِ نجْدٍ ... فما بَعْدَ العَشِيَّةِ من عَرارِ
ألا يا حَبَّذا نفحاتُ نجدٍ ... ورَيَّا رَوْضِهِ بعد القِطارِ
شهور يَنْقَضِينَ وما شَعَرْنا ... بأنصافٍ لَهُنَّ ولا سِرَارِ



فَقَرَّحَتِ المَقَاوِدُ ذِفْرَيَيْهَا ... وَصَعَّرَ خَدَّهَا هَـذَا العِذَارُ(١)

وَأَطْمَعَ عَامِرَ البُقْيَا عَلَيْهَا ... ونَزَّقَهَا احتِمَالُكَ وَالوَقَارُ(٢)

وَغَيَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي ... وَأَعْجَبَهَا التَّلَبُّبُ وَالمُغَارُ(٣)

جِيَادٌ تَعْجِزُ الأَرْسَانُ عَنْهَا ... وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ(٤)

وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَاهَا ... نُفُوساً فِى رَدَاهَا تُسْتَشَارُ(٥)

---

(١) المقاود: جمع مقود، وهو الرسن، والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تعرق من البعير، ويجمع على ذفارى وذفارى: كصحارى وصحارى. والصعر: الميل فى الخد؛ وفلان صعر خده: أماله من الكبر، والعذار من اللجام: ما سال على خدى الفرس. يقول: لما وضعت على العرب المقاود لتقودهم إلى طاعتك، وبالغت فى رياضتهم تقرحت ذفاريهم من جذب المقاود لرءوسهم: أى جعلتهم كالقرحى فى الذل والانقياد، وأمال خدودهم هذا العذار: أى أمالهم إلى طاعتك. والقرح: كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه. وروى الواحدى: فأفدحت ـ بالفاء ـ من أفدحه الدين: أثقله، يعنى: لما وضعت على العرب المقاود أثقلت مقاودك رءوسهم، لأنك ضبطتهم ومنعتهم عن التلصص والغارة فصاروا كالدابة تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة.

(٢) منع عامر من الصرف لأنه أراد القبيلة، ولذلك أنثها؛ والبقيا: اسم من الإبقاء؛ والنزق: الخفة والطيش. يقول: وأطمعهم فى العصيان إبقاؤك عليهم وعدولك عن الإيقاع بهم، وحملهم على الطيش أناتك وحلمك عنهم وتوقفك عن إهلاكهم.

(٣) تلبب الرجل: تحزم وتشمر؛ والمتلبب: المتحزم بالسلاح وغيره، والمغار: الإغارة. يقول: وغيرها عن الطاعة أنها كانت تتراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك؛ واغترت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحى والأطراف.

(٤) الجياد: الخيل، وهى مبتدأ محذوف الخبر: أى لهم جياد. يقول: إن لهم خيلا عجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رءوسها، أو تقول: لا تسعها الأرسان لكثرتها، أى أن لهم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان، ثم قال: وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم.

(٥) الضمير فى كانت: للفرسان؛ والردى: الهلاك. يقول: وكنت تتوقف عن إهلاكهم والإيقاع بهم جريا على عادتك فى الصفح والعفو؛ فكانوا ـ بهذا التوقف ـ كن

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِى الأَعْـدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ(١)
فَأَمْسَتْ بِالْبَـدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ(٢)
وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبٌ فَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا(٣)
تَلَقَّوْا عِـزَّ مَوْلَاهُمْ بِذُلٍّ وَسَارَ إِلَى بَنِى كَعْبٍ وَسَارُوا(٤)
فَأَقْبَلَهَا الْمُرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ ضَوَامِرَ لَا هِـزَالَ وَلَا شِيَارُ(٥)

يستشار فى إهلاكه ، وكانوا هم بعتوهم ـ واسترسالهم فى غيهم ـ كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم . وقد أقام الردى مقام الإرداء .

(١) و (٢) قائمه : مقبضه . وغراره : حده . والبدية والحيار : ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما . وشفرتا السيف : حداه . يقول : كنت سيفا لهم مقبضه فى أيديهم وحده فى أعدائهم فلما عصوك صارت شفرتاه حيث هم : أى فى البدية . أى سرت اليهم فى منازلهم ، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك ، وأهلكتهم بسيفك الذى كنت تذود به عنهم . وفى معناه قول جعفر بن علبة :

لَهُمْ صَدْرُ سَيْـفِى يَوْمَ صَحْرَاءِ سَحْبَلٍ
وَلِى منهُ ما ضُمَّتْ عليـه الأنامل

(صحراء سحبل : موضع)

(٣) يقول : كانوا فى التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب ، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبى إن بقوا على عصيانهم . وكعب : مبتدأ محذوف الخبر . أى حيث كعب كائنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٤) يقول : استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والانقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبرى : وذلك أن مشيخة بنى كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البدية فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلكت كعب

(٥) الضمير فى أقبلها : للخيل ، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج : جعل وجوهها إليها . والمروج : المواضع ترعى فيها الدواب ، وأراد مروج سلمية ـ موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا ـ ومسومات : معلمات بسمة تعرف بها ؛ وضوامر : قليلة



تُثِــيرُ عَلَى سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًا تنَاكَرُ تَحْتَهُ لَوْلَا الشِّعَارُ(١)
عَجَاجًا تَعْثُرُ العِقْبَانُ فيــهِ كَأَنَّ الْجَــوَّ وَعْثٌ أَوْ خَبَارُ(٢)

اللحم . وهزال : جمع هزيل . والشيار : السمان الحسنة المناظر ، ولا هزال ولا شيار فى الأعراب ، مثل قول القائل :

* لا أمَّ لِى إنْ كَانَ ذَاكَ ولا أبُ *(١)

يقول : وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمرها عن هزال ؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هى أيضاً سمينة حسنة المنظر لأنها قد شعثت واغبرت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبطر : الغبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها . يقول : تثير خيلك على هذا المكان ـ سلمية ـ غبارا منتشرا لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضا ـ أى أصحاب الخيل . أى الجيش لولا العلامة التى تتعارف بها . فقوله : تنا كر ـ بحذف إحدى التاءين ـ أى الخيل .

(٢) عجاجا : بدل من مسبطرا والعجاج : الغبار . والوعث من الأرض : السهل

(١) وصدر هذا البيت .

* هذا لعَمْرُكم الصَّغارُ بِعَيْنِه *

والبيت لهنى بن أحمر الكنانى ، شاعر جاهلى قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات جميلة يقول فيها . ـ

أَأُخَىَّ أَخْبرنى ولستَ بصادق وأَخُوكَ ناصحُكَ الذى لا يكْذِبُ
أَمِنَ القِضيةِ أنْ إذا اسْتغْنيتُمُ وأَمِنتُمُ فأنا الغريب الأجْنب
وإذا الكتائِبِ بالشدائد مرّةً حجَرتكم فأنا الحبيب الأقرب
وَإذا تكون كريهةٌ أُدْعَى لها وَإذا يُحاس الحَيْس يُدْعَى جُنْدَب
وَلِجُنْدَبٍ سَهل البلاد وَعَذْبها وَلِيَ الملاحُ وخبتهنّ المجدِب
عَجَبٌ لِتلك قَضيةٌ وإقامَــتِى فيكم على تلك القَضية أعجب
هــذا لعَمْركم الصغارُ بِعينِهِ لا أم لى إن كانَ ذاكَ ولا أب

الحيس لبن وأقط وسمن وتمر يصنع منه طعام ، والخبت المطمئن من الأرض وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف فى بعض كلماتها .

وَظَلَّ الطَّعْنُ فِى الْخَيْلَيْنِ خَلْساً كَأَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارُ(١)
فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إِلَى قِتَالٍ أَحَدُّ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ(٢)
مَضَوْا مُتَسَابِقِى الأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ(٣)
يَشُلُّهُمُ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ(٤)
وَكُلِّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ(٥)

الكثير الرمل ، وهو ماتغيب فيه القوائم لسهولته . والخبار : الأرض اللينة الرخوة . يصف الغبار بالكثافة ؛ يقول : إن العقبان التى تسير مع الجيش تعثر فى ذلك الغبار وكثافته ، فكأن الجو أرض لينة تغوص فيها أرجل الطير فتعثر لكثرة ما ارتفع من غبار الخيل وكثافته .

(١) خلسا : أى اختلاسا وهو سرعة اختطاف الشىء خفية . يقول:ظلوا يتخالسون الطعن فيسرع فيهم الموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .

(٢) لزه إلى الشىء : ألجأه إليه وأدناه منه . يقول : أحوجهم طرادك إياهم إلى قتال شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم فى الهرب والهزيمة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس تتعثر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتمنعها الأرجل وقال ابن جنى : إذا ندر رأس أحدهم فتدحرج يعثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير المعهود أن يعثر الرأس بالرجل ؛ قال الواحدى : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم فهم ينهزمون فيسرعون ويعثرون .

(٤) يشلهم : يطردهم . والأقب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : المشرف المرتفع . يقول : يطردهم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء سبق : أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أصم : أى رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويعسل . يضطرب. وممار:مسال مهرق يقول : ويطردهم بكل رمح صلب يضطرب جانباه الأعلى والأسفل . قال الواحدى : وأراد بالكعبين اللذين فى عامله . وهما يغيبان فى المطعون ، ولذلك وصفهما بأن عليهما دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذى فيه السنان والذى فيه الزج ؛ فإن الطعن يقع بهما قال ابن جنى : يجوز أن يريد بالتثنية الجمع ، لأن أول الجمع تثنية .



يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ ... وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وِجَارُ[(١)]
إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضَّوْءَ عَنْهُمْ ... دَجَا لَيْلَانِ لَيْلٌ وَالْغُبَارُ[(٢)]
وَإِنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ ... أَضَاءَ الْمَشْرَفِيَّةُ وَالنَّهَارُ[(٣)]
يُبَكِّى خَلْفَهُمْ دَثْرُ بُكَاهُ ... رُغَاءٌ أَوْ ثُؤَاجٌ أَوْ يُعَارُ[(٤)]
غَطَا بِالْعِثْيَرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى ... تَحَيَّرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ[(٥)]

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب — هنا — مادخل من الرمح فى السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما . يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه فى نحره. ولقد أبدع فى هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجنح الليل : جانبه ؛ وانجاب : انكشف ؛ والمشرفية : السيوف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل ليل آخر من العجاج — الغبار — وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق السيوف : أى أنهم فى ليلين مظلمين من الليل والغبار ، وفى نهارين من ضوء السيوف والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحويا بين البصريين والكوفيين أثاره العلامة العكبرى النحوى الكوفى لمناسبة إعراب جنح الظلام، قال : ارتفع جنح الظلام ،عندنا بالابتداء ، وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل . وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل؛ وحجتنا أن إن الشرطيةهى الأصل فى باب الجزاء . فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفعبالعائد لأن المكنى المرفوع معها فى الفعل هو الاسم الأول، فينبغى أن يكون مرفوعا كقولهم: جاءنى الظريف زيد ، وإذا لم يكن مرفوعا لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعلباسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملا ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع ، وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدثر : المال الكثير . والرغاء : صوت الإبل ، والثؤاج : صوت الغنم . واليعار : صوت المعز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين ، فكانت تصيح خلفهم لما ألم بها من التعب والإعياء فى السير : فالإبل ترغو ، والمعزى تيعر ، والغنم تثأج ؛ وكأنها بهذا الصياح تبكى .

(٥) غطاه وغطاه : بمعنى ؛ والعثير : الغبار ؛ والمتالى : جمع متلية ، وهى الناقة

وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا ... كِلاَ الْجَيْشَيْنِ مِنْ نَقْعٍ إِزَارُ(١)
وَجَاءُوا الصَّحْصَحَانَ بِلاَ سُرُوجٍ ... وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْخِمَارُ(٢)
وَأُرْهِقَتِ الْعَذَارَى مُرْدَفَاتٍ ... وَأُوطِئَتِ الْأُصَيْبِيَةُ الصِّغَارُ(٣)
وَقَدْ نُزِحَ الْغُوَيْرُ فَلاَ غُوَيْرٌ ... وَنِهْيَا وَالْبُيَيْضَةُ وَالْجِفَارُ(٤)
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ ، ... وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمُ دَمَارُ(٥)

يتلوها ولدها ؛ والعشار : التى قربت ولادتها — جمع عشراء . والمتالى والعشار : أعز أموال العرب ، ولذلك خصهما بالذكر . يقول : غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم — على حدة أبصارها — فى ذلك الغبار ؛ ورواية ابن جنى بالغنثر : بدل بالعثير ، والغنثر ؛ ماء هناك ، وتحيرت — بالحاء ، بصيغة المجهول — فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرته حتى تحير منه سيف الدولة المتالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء.

(١) الجباة : اسم ماء . والنقع : الغبار . يقول : إنهم مروا بهذا الماء فى هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك ، فاشتمل الغبار على الجيشين حتى صارا منه فى إزار لشدة انتشاره .

(٢) الصحصحان : يريد بالصحصحان هنا : صحراء بعينها هناك ، وفى غير هذا الموضع كل أرض واسعة فضاء . يقول : جاءوا هذه الصحراء وقد انحلت سروج خيلهم فسقطت وسقطت عمائم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم فى الهرب .

(٣) أرهقه : كلفه مافيه مشقة . ومردفات : أى مركبات خلف الرجال ، وأوطئت أى جعلت الخيل تطؤها . فحذف الخيل للعلم بها ، والأصيبية : تصغير أصبية . جمع صبى ، والعذارى : جمع عذراء . وهى البكر التى لم يفترعها فحل . يقول : إن العذارى قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها ، ولم يثبت الصبيان الصغار على الخيل فى الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل . وعبارة ابن جنى : أوطأوا الخيل الصبية لأنهم لم يقدروا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العذارى طلبا للنجاة وحفظا لهن .

(٤) هذه كلها مياه معروفة . يقول : لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش والجهد حتى لم يبق منها شىء ، ولذلك قال : فلا غوير .

(٥) يقول : لم يكن لهم مفزع يفزعون إليه إلا تدمر ، ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة ، ولكن خاب ظنهم ، إذ لم يعتموا أن غشيهم جيشه بها فصارت دماراً — هلاكا — لهم كاسمها . وتدمر هى المدينة المعروفة .

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا ... فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لا يُدَارُ[١]

وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ ... وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ[٢]

يَحُفُّ أَغَرَّ لا قَوَدٌ عَلَيْهِ ... وَلاَ دِيَةٌ تُسَاقُ وَلاَ اعْتِذَارُ[٣]

تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادِي ... وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ[٤]

فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ ... عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ[٥]

---

(١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى فى تدمر ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم — إهلاكه إياهم — رأيا لا سبيل إلى تقليبه .

(٢) جيش : عطف على رأى ؛ يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء الهاربون على أرض واسعة لحاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرته وتوافره ، فكأنه أوسع منها .

(٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر — سيد شريف — يعنى سيف الدولة — إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يراجع فيما فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .

(٤) تريق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجبار : الهدر الذى لا قود فيه ولا دية يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت فى معنى البيت السابق .

(٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطار بمعنى الطيران . قال العروضى ووافقه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم — فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إدراكهم هؤلاء القوم لأن الأسد — على قوته — لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا فى الهرب إسراع الطير فى الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم فى التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود فى قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير فى سرعة الجرى وراءهم . يقول : الأسود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا ينالونه بسلاحهم ولا وسعهم الهرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدركهم أينما ذهبوا . وعبارة ابن جنى ؛ كانوا أسداً قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ(١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّاماً وَخَلْفاً فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ اضْطِرَارُ(٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ(٣)
وَلَوْ لَمْ تُبْقِ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ(٤)
إِذَا لَمْ يُرْعِ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ فَمَنْ يُرْعِي عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ(٥)
تُفَرِّقُهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النِّجَارُ(٦)
وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرَكٍ وَعُرْضٍ وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ(٧)

---

(١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا فى القفر من العطش ، فقام العطش فى قتلهم مقام الرماح

(٢) يقول : يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختياراً فى الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد ، فهم — لا محالة — هالكون .

(٣) المنار : العلم ينصب فى الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السماوة قامت له جثث قتلاهم بها مقام المنار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالمنار ؛ وهذا من قول ثابت قطنة :

هَدَاكَ اللهُ بِالْقَتْلَى تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشِّعَابِ

(٤) يقول : لولا إبقاؤك على من بقى منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم ، لا إفناءهم ، فكان فى من هلك منهم عبرة لمن بقى ، فلا يعصى لك أمرا أبدا .

(٥) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه — رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم . فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره .

(٦) السجايا : الطباع والأخلاق ، والنجار : الأصل . يقول : إن أصله وأصلهم واحد لاشتراكهم فى نزار ، إلا أن الطباع والاخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟ .

(٧) أرك وعرض : بلدان قرب تدمر ، والرقتان : بلدان على الفرات ، وهما الرقة والرافقة ، قيل لهما الرقتان تغليبا ، والضمير فى بها ولها للخيل . يقول : مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين :



وَأَجْفَلَ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ ... وَزَأْرُهُمُ الَّذِى زَأَرُوا خُوَارُ (١)

فَهُمْ حِزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى ... بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمِ خُمَارُ (٢)

فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فى الصُّبْحِ مَالٌ ... وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارُ (٣)

حِذَارَ فَتًى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ ... فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ (٤)

تَبِيتُ وُفُودُهُمْ تَسْرِى إِلَيْهِ ... وَجَدْوَاهُ التى سَأَلُوا اغْتِفَارُ (٥)

فَخَلَّفَهُمْ بِرَدِّ الْبِيضِ عَنْهُمْ ... وَهَامُهُمُ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ (٦)

يعنى بذلك طلبه لبنى كعب فى كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال بخيله على هاتين البقعتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .

(١) الزئير : صوت الأسد ، والخوار : للبقر : يقول . إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا ، فلما أتاهم أجفلوا من وجهه إجفال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات ــ جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والخمار بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين، فصاروا جماعات صرعى ــ مطروحين ــ حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تعب الحرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبالخمار ؛ مالحقهم من الخوف .

(٣) المراد بالمال : المواشى . يقول : لخوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر فى غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئاً ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو فى أقاصى البلاد أو فى الجواء ، فقوله : حذار ، مفعول له ، عامله فى البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يفدون إليه يسألونه العفو لاغير . والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وافد ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئاً .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث ــ وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها فى ملكه . وهذا كلام بديع .

وَهُمْ مِمَّنْ أَذَمَّ لَهُمْ عَلَيْهِ ... كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسَبُ النُّضَارُ(١)
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقِرًّا ... وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ(٢)
وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِى كُلِّ أَرْضٍ ... تُدَارُ على الْغِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ(٣)
تَخِرُّ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ ... وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ(٤)
كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ ... فَفِى أَبْصَارِنَا مِنْهُ انْكِسَارُ(٥)
فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَذَا عَلِىٌّ ... وَخَيْلُ اللهِ وَالْأَسَلُ الْحِرَارُ(٦)

---

(١) أذم لهم : صيرهم فى ذمامه ؛ والضمير فى عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شىء . يقول عقد الذمة لهم وصيرهم فى ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا المكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبحر ليس له قرار .

(٣) العقار : الخمر . يقول : إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب ـ جماعة شاربى الخمر ـ يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وسميت الخمر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلالنا إياه وإعظامنا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلا إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

يُغضِى حياء ويُغضَى مِنْ مهابتِهِ

وهو من قول الآخر :

إن العُيونَ إذا رأتكَ حِدادُها ... رَجعتْ من الإجلالِ غيرَ حِدادِ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنثى حرى . والحران



يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ ... بِأَرْضٍ مَا لِنَازِلِهَا اُسْتِتَارُ[1]
يُوَسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ ... طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الانْتِظَارُ[2]
تَصَاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ ... وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ[3]

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرماح ، فهذا على - اسم سيف الدولة - قد تفرغ من قتال هؤلاء ومعه خيل الله - جيشه - والرماح العطاش لانها لا ترتوى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى. يقول : إنه دائما يسرى إلى أعدائه ويجوب إليهم الصحارى التى لا يستره فيها شىء فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائما يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتوه فيقاتلهم ، أى أنه دائما طالب لا هارب . والعادة أن الخائف ينزل المفاوز خوفا ممن يلحقه ، ولكن الممدوح ينزلها طلبا لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظا ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاهل - بحذف إحدى التاءين - أى تتصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كلمه سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ما محصله : إن خيله تتصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إذا الخيلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النسورِ ... جَزَرنا شراسيفَهَا بِالْجِذَمْ[1]

وأحد معنيي ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يجشمها به من ملاقاة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هيبه له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هى فى سرار وأخذه من قول عنترة :

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، والجذم ، جمع جذمة السوط .



بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إِلاَّ السِّوَارُ(١)
بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلاَلَتِهِ افْتِخَارُ(٢)
لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فِى نِزَارٍ وَأَدْنَى الشِّرْكِ فِى أَصْلٍ جِوَارُ(٣)
لَعَلَّ بَنِيهِمِ لِبَنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرَّحِ الْخَيْلِ الْمِهَارُ(٤)

وازورَّ مِن وقع القَنا بِلبانِهِ وشكا إلىَّ بعَبرةٍ وتحمْحُمِ

(اللبان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة فى رندها أو معصمها ، وبنو كعب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التى يدميها السوار ، فإن اليد تتحلى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنو كعب يفتخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شركه ، بوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشاركونك فى الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة فى أصل جوار : أى ذمام ورعاية حرمه .

(٤) يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم . يقول : لعل أبناءهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلموا ، فإن المهار من الخيل تصير قرحا : أى أن الصغار تصير كبارا ؛ كما قيل :

وإنما القَرْمُ مِنَ الأفِيل وَسُحُوقُ النخل مِنَ الفَسِيل

« القرم : الفحل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقلع من صغار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قارح ، وهو الذى استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهار جمع مهر ، الصغير من الخيل : هذا : ولمناسبة لعل : قال العكبرى : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هى زائدة ، وحجتنا أنها حرف ، والحروف فى الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة — التى يجمعها « هويت السمان » — إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شىء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تكاد تزاد فيما يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزاد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيما لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبَرُّ مَنْ لَوْ عُقَّ أفنى ... وَأَعْفَى مَنْ عُقُوبَتُهُ الْبَوَارُ(١)
وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارٌ ... وَأَحْلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ(٢)
وَمَا فِى سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ ... وَلاَ فِى ذِلَّةِ الْعُبْدَانِ عارُ(٣)

***

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة فى كلامهم وأشعارهم بغير لام ، قال نافع الطائى :

ولستُ بِلوَّامٍ عَلَى الأمرِ بعدما ... يفوتُ ولـكن عَلَىَّ أن أتقدما

(١) أبر : أفعل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال عق والده إذا عصاه ، وهو ضد« بره» وأعفى : تفضيل من العفو ، والبوار : الهلاك . يقول : أنت أبر الذين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تفن ، وأنت أعفى الذين يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ، وإذاً لا تفنى من عصوك ولا تؤذيهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ماتطلب ، فأنت أقدر المنتصرين ، وأنت أحلم من يدعوه إلى الحلم اقتداره على عدوه فصفح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعفى والأصفح عن العدو إذا اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لانك ربهم — سيدهم — ولا فى تذللهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعيرتنى بنو ذُبيانَ رَهبتَهُ ... وهَلْ عَلَىَّ بأن أخشاكَ من عارِ ؟

وكما قال الآخر :

وإن أميرَ المؤمنــين وفِعْلَهُ ... لـكالدهرِ لا عارٌ بما فعل الدهر

وقال أبو تمام :

خَضَعتْ لِصولتِكَ التى هى عِندهم ... كالموت يأتى لَيْسَ فيــــه عارُ



وقال ارتجالا يهجو سوارا الديلمى وقد نزلوا منزلا أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّـــــةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ ... وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرْبِ عُقَارِ (١)

نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَاحِ بِمَسْجِدٍ ... عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبَا حَصًى وَغُبَارِ (٢)

خَلِيــلَيَّ مَا هٰذَا مُنَاخًا لِمِثْلِنَا ... فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلَا بِنَهَارِ (٣)

وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا ... قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ (٤)

وقال فى صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أنهما بيتان وهما :

إذا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتُرُ الْفَقْــرَ قَاعِدًا ... فَقُمْ وَاطْلُبِ الشَّىْءَ الَّذِى يَبْتُرُ الْعُمْرَا (٥)

هُمَا خَلَّتَــانِ ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ ... لَعَلَّكَ أَنْ تُبْقِى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرَا (٦)

---

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن — أعلم — بعضهم بعضاً بالبوار — الهلاك — أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهازيل أسفار لاحراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى ، فأنضاء : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والعقار : الخمر

(٢) يقول تحكمت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ماسترتنا به .

(٣) المناخ : المنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلا لنا فشدا رحالكما على الإبل وارحلا قبل هجوم الليل . فالضمير فى عليها : للابل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفا عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا فى المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يبتر : يقطع ؛ وقاعداً : حال من المخاطب ؛ وأراد بما يبتر الفقر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى فقم واطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسره بها ؛ والخلة الخصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن — هنا — زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال فى صباه فى جعفر بن كيغلغ ولم ينشده إياها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ(١)

وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لاَ تَخْفَى سَرَائِرُهُ(٢)

لَوْلاَ ظِبَاءُ عَدِىٍّ مَا شُغِفْتُ بِهِمْ وَلاَ بِرَبْرَبِهِمْ لَوْلاَ جَآذِرُهُ(٣)

الاستقبال ، كما تزاد فى خبر عسى . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فافعل لعل أحد هذين يخلد ذكرك .

(١) حاشاه : تجنبه وتوقاه . والضمائر : جمع ضمير ، وهو ما يضمره الإنسان ويخفيه . وغيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانهلت : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانه وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سيره .

(٢) معتذر لما فى البيت الأول . يقول : إن الذى يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينهتك ستره ؛ لأنه يجزع ويبكى ، فيستدل بجزعه وبكائه على حبه .

(٣) كنى بالظباء عن النساء ،وعدى : قبيلة من قريش . وكنى بالربرب — وهى القطيع من بقر الوحش — عن جماعة النساء مطلقا . وبالجآذر — جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية — عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللائى هن كالظباء فى عيونهن وأعناقهن ماشغفت بالقبيله كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسائهم جميعاً ، ويروى بدل ماشغفت : ما شقيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسائهم الحسان ، ولولا الشواب ماشقيت بالكبار فى مضايقتهن . وإليك طرفة نحوية للعلامة العكبرى قال : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وحجتنا أنها ترفع الاسم لأنها نائبة عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجئت : أى لو لم يمنعنى زيد. إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا «لا» على «لو» فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقا انطلقت معك قال الشاعر :



. . . .

أبا خُراشة أمّا أنت ذَا نفَرٍ فإنّ قَومِيَ لم تأكُلْهم الضَبُع (١)

تقديره أن كنت ، لحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في اليماني عوضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذى يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين العوض والمعوض . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لادَرَّ دَرُّكِ إنِّى قَدْ رَمَيْتهمُ لَوْلا حُدِدْتَ وَلاَ عُذْرَى لِمَحْدُودِ (٢)

---

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمى الصحابى رضى الله عنه وبعد :

السِلْمُ تأخُذُ مِنها ما رَضِيتَ بهِ والحربُ يكفيكَ مِنْ أنفاسِها جُرَعُ

وأبا خراشة : منادى ؛ وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن ندبة ، وندبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابى ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الخنساء . وأنت اسم لكان المحذوفة ؛ وذانفر : خبرها . وروى هذا البيت : أبا خراشة أما كنت ذا نفر ، وعليها لا شاهد فى البيت : وما : زائدة . ونفر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت فى الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفى به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة فقالوا: أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابى : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم . فعاثت فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم . يقول : إن قومى ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئاب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهى ملء الفم يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه مايريد ، فإذا جاءت الحرب قطعته عن لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنفاسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح — أحد بنى ظفر من سليم بن منصور — وقبله :

قالَتْ أُمَامَةُ لمّا جِئْتُ زائِرَها هَلاَّ رَمَيْتَ بِبَعْضِ الأَسْهمِ السودِ

وبعده :

إذ هُمْ كَرِجْلِ الدَّبَى لادَرَّدَرُّهُمُ يَغزون كُلَّ طُوال المَشْيِ مَمْدُودِ



مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِى أَنيَابِهِ شَنَبٌ   خَمْرٌ يُخَامِرُهَا مِسْكٌ تُخَامِرُهُ (١)
نُعْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاظِرُهُ   حُمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ غَدَائِرُهُ (٢)
أَعَارَنِى سُقْمَ عَيْنَيْهِ وَحَمَّلَنِى   مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِى مَآزِرُهُ (٣)

(١) الحور : شدة بياض العين فى شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال: هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى فى إعراب خمر : إلى أنهامبتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفةلخمر ؛ وتخامره :ضمير الفاعل فيه للخمر؛وضمير المفعول: للشنب. والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، ومايليها ــ إلى آخر البيت ـ صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور فى أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك . وقال بعض الشراح : قوله من كل :« من» متعلقة بمحذوف ، حال من جآذره .

(٢) نعج : جمع أنعج ، والنعج : البياض . والمحاجر : جمع المحجر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها بيضا لبياض ألوانهن ، والدعج : السواد ، والنواظر : الأحداق، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقى بها المرأة الخمار من الدهن ، وقد تكون اسما للخمار . جعلها حمراً لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها حمرا لأنهن شواب ، كما قال :

* حُمْرَ الْحُلِى والْمَطايَا والْجَلابِيبِ *

والغدائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :

ضَعِيفَــــةٌ أَجفَانُهُ   والقَلْبُ مِنْهُ حَجَرُ

فما تَرَكْتُ أبا بِشْرٍ وصَاحِبَهُ   حتى أحاط صَرِيحُ الموت بالجِيدِ

وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بواديقال ذات البشام ، وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان فى كنانة الجموح نبل معلمة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعته فى عدوه ، فقتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنولحيان تلك الليلة وأعجز الجموح ، فقالت امرأته ــ واسمها أمامة ــ وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ؟ وحددت ــ بالباء للمفعول ــ أى حرمت ومنعت والعذرى : اسم بمعنى المعذرة . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ــ ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؟ والرجل : القطعة من الجراد ؟ والدبى : أصغر الجراد ؟ والطوال ؟ الطويل .

يَامَنْ تَحَكَّمَ فِى نَفْسِى فَعَذَّبَنِى ... وَمَنْ فُؤَادِى عَلَى قَتْلِى يُضَافِرُهُ[(١)]

بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الغَرَّاء ثَانِيَـــةً ... سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلَ سَاهِرُهُ[(٢)]

كأنما ... الحاظُهُ ... مِن فِعلِهِ تَعتَـــذِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المئزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل . يقول : أمرضنى كمرض جفونه ، وأثقلنى بالهوى كثقل أردافه . وهذا كقول منصور ابن الفرج :

حَلَّ فى جِسْمِىَ مَا كَا ... نَ بِعَيْنَيْكِ مُقِيما

ومثله للبحترى :

وكأنّ فى جِسْمِى الذى ... فى ناظِرَيْكِ مِن السَّقَمْ

وقال السرى الرفاء :

ونوَاظِرٍ وَجَدَ الُمحِبُّ فُتورَهَا ... لمّا اسْتَقَلَّ الحَى ـ فى أعْضَائه

ويعجبنى قول العكبرى : وذكر الكفل فى الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافرة : المعاونة . يقول : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلو مع ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال: قلب العاشق عون عليه مع حبيبه : ويقول العباس ابن الأحنف :

كَيْفَ احْتِرَاسِى مِنْ عَدوِّى إذَا ... كَانَ عَـــدُوِّى بينَ أضْلاعِى

(٢) هذا تخلص . يقول : لما عادت دولة الممدوح ـ وكان قد عزل ثم ولى ثانيا ذهب حبك من قلبى ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبرى : وهذا نقص ، لأن المحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلوه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن البحترى بقوله :

أحب على أيما حالة ... إساءة ليلى وإحسانها

والمحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلو رده الحب الصادق عما كان عزم . ولقد أحسن البحترى أيضا بقوله :

أحنو عليك وفى فؤادى لوعة ... وأصد عنك ووجه وُدِّى مقبل

وإذا طلبت وصال غيرك ردنى ... وله إليك وشافع لك أوّل

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لاَ صَبَاحَ لَهُ ... كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ (١)

غَابَ الأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ ... كَادَتْ لِفَقْدِ اسْمِهِ تَبْكِى مَنَابِرُهُ (٢)

قَدْ اشْتَكَتْ وَحْشَةَ الأَحْيَاءِ أَرْبُعُهُ

وَخَبَّرَتْ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ (٣)

حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِبَابُ لَهُ ... أَهَلَّ لِلَّهِ بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ (٤)

وَجَدَّدَتْ فَرَحاً لاَ الْغَمُّ يَطْرُدُهُ ... وَلاَ الصَّبَابَةُ فِى قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ (٥)

إِذَا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصٌ لاَ خَلَتْ أَبَداً

فَلاَ سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ (٦)

---

(١) يقول : من بعد ما كنت أقاسى من الحزن مايسهرنى فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر . وهذه مبالغة فى وصف الليل بالطول

(٢) هذا من قول أشجع السلمى :

فَمَا وَجْهُ يَحْيِي وَحْدَهُ غَابَ عَنْهُمُ ... وَلَكِنَّ يَحْيِي غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعَا

ويقول الآخر :

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا ... أَبْكَى الْمَنَابِرَ فَقْدُ فَارِسِهِنَّهْ

(٣) الضمير فى أربعه ومقابره : للبلد ؛ والوحشة . الاكتئاب يجده الإنسان عند اعتزاله الناس ؛ والربع : المنزل ؛ والأسى : الحزن . يقول : لما غاب الأمير عن البلد حزن لغيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم ، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم .

(٤) المراد بالقباب — جمع قبة — تلك التى تتخذ للزينة والنثار ؛ وعقدت : ضربت وأهل لله : أى رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته .

(٥) يقول : إن عودة دولته جددت فرحا لا يغلبه الغم ولا يجاوره الشوق فى قلب : أى لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق .

(٦) حمص . بلد الممدوح . وقوله لا خلت أبدا ، جملة دعائية معترضة جميلة . يقول : إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر — أى لا أنبتت — ولا سقاها باكر الوسمى . والوسمى : أول مطر الخريف ، سمى كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثراً فى أول السنة . والولى : ثانيه . وباكره أوله ، ومنه باكورة الثمار .

دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ ... وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ الْخَلْقِ بَاهِرُهُ (١)

فِى فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ ... صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)

تَمْضِى الْمَوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ ... مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ (٣)

قَدْ حِرْنَ فِى بَشَرٍ فِى تَاجِهِ قَمَرٌ ... فِى دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظَافِرُهُ (٤)

حُلْوٍ خَلَائِقُهُ شُوسٍ حَقَائِقُهُ ... تُحْصَى الْحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ (٥)

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ ... كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)

إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِى طَرَفٍ ... مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

---

(١) باهره : غالبه ؛ والضمير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها — ضياؤها — يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس

(٢) الفيلق : العسكر ، وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها . يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهى حركاته وصروفه التى تدور على الناس وتأتى حالا بعد حال .

(٣) المراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون فى الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، والميمون : المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لاتنظر إلى غيره .

(٤) حرن : أى الأبصار ، وأراد بالبشر : الممدوح ؛ وبالقمر : وجهه ؛ وجعله أسدا فى درعه لشجاعته ، وتدمى أظافره : أى تتلطخ لكثرة مايفترس من الأعداء

(٥) الخلائق : جمع خليقة ، وهى الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر ؛ والحقيقة ؛ مايحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال: فلان حامى الحقيقة. قول: إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محمية ممنوعة لايقدر أن ينال منها أحد ، فهى ممتنعة امتناع المتكبر ، وهو كثير المآثر حتى لاتكاد تحصى .

(٦) هذا من قول أبى تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَانَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ
كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

(٧) تغلغل فى الشىء : دخل فيه وأمعن يكون فى الجواهر والأعراض . يقول : إن أدنى مجده يستغرق الفكر والخواطر لمن أراد أن يصفه .

تَحْمَى السُّيُوفُ على أَعْدَائِهِ مَعَهُ ... كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ(١)

إذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَداً ... إلاَّ وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ(٢)

فَقَدْ تَيقَّنَّ أَنَّ الْحَقَّ فى يَدِهِ ... وَقَدْ وَثِقْنَ بِأَنَّ اللهَ نَاصِرُهُ(٣)

تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَعْلَبَةٍ ... عَلَى رُءُوسٍ بِلاَ نَاسٍ مَغَافِرُهُ(٤)

فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمُ ... وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ زَاخِرُهُ(٥)

---

(١) حمى الشىء يحمى : اشتد حره ؛ والعشائر : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يغضبون لغضبه ؛ وهذا من قول أبى تمام :

كَأَنَّهَا وَهْيَ فى الأوداجِ وَالِغَةٌ ... وَفى الْكُلَى تَجِدُ الْغَيْظَ الذى تَجِدُ

ويقول البحترى :

وَمُصْلَتَات كَأَنَّ حِقْداً ... بِهَا عَلَى الهَامِ والرِّقَاب

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أغمادها ليحارب بها لم تترك جسداً إلا قطعته إربا حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره .

(٣) أى لكثرة مارأت ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعلمت وهذا ينظر إلى قول النابغة الذبيانى :

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعَانِ أوّلُ غَالِبِ

(يصف النابغة عصائب الطير التى تتبع الجيش) .

(٤) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على المثل ، وقد يراد هنا . وعوف وثعلبة : قبيلتان ؛ والمغافر : جمع مغفر ، وهو مايغفر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغافرة : للهام . وعلى رؤس : خبر مقدم . ومغافرة مبتدأ مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثان لتركن . يقول : إن سيوفه فرقت بين رءوس هؤلاء القوم ــ وكان قد أوقع بهم ــ وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رءوس بلا أبدان قال ابن جنى : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها المغافر .

(٥) زخر البحر : طمى موجه وعلا . قال ابن جنى : أى ركب معهم أمر عظيما

حَـتَّى ٱنتَهَى ٱلفَرَسُ ٱلجَارِى وَمَا وَقَعَتْ
فِى ٱلأَرْضِ مِنْ جُثَثِ ٱلقَتْلَى حَـوَافِرُهُ(١)

كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ   وَمُهجَةٍ وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ(٢)

وَحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ   فَالعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ(٣)

مَنْ قَالَ لَسْـتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ
فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّـاسِ عَاذِرُهُ

أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فِى زَمَانِهِمِ   بِلاَ نَظِيرٍ فَفِى رُوحِى أُخَاطِرُهُ(٤)

يَا مَـنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ   وَمَنْ أَعُـوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ(٥)

وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ ٱلبَحْرَ رَاحَتُهُ   جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَـوَاهِرُهُ

لاَ يَجْبُرُ النَّـاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ
وَلاَ يَهِيضُـونَ عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ(٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلا للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره فى نظره . وقال الواحدى : بحر الموت : الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء إلا أنه لم يغرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطئ أجسادهم . ويروى بدل جثث : جيف .

(٢) الأسنة : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بألسنتها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكم من حائن — هالك — لعبت رماحك به — أى نالت منه وقتلته — فهجرته الحياة وفارقته ، وزاره النسر ليأكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال: خاطر فلان فلانا على كذا : أى راهنه عليه. ويكون عادة فى السباق وفى رمى النبل وإنما قال هذا لثقته بكونه فردا .

(٥) ألوذ : أعوذ وألجأ . ومثله لابن الرومى :

ولا العَائذُ اللاَّجى إليه بخائفٍ   ولا الرائدُ الراجى نَدَاهُ بخَائِبِ

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيض: الكسر بعد الجبر ، يقال: هضت العظم فهو



وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحترى المنبجى :

أَرِيقُكِ أَمْ ماءُ الْغمامَةِ أَمْ خمرُ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِي جمرُ (١)

أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذا الدِّعْص أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ ... وَذَيَّا الَّذِي قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ ثغرُ (٢)

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي ... فَقُلْنَ نَرَى شَمْساً وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ (٣)

مهيض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لايقدرون على خلافك فى حال من الأحوال . «هذا» ويروى بعد هذا البيت بيت قال الواحدى: إنه منحول وهو :

ارحَم شَبابَ فَتى أَوْدتْ بجدَّتِهِ ... يَدُ البِلى وَذَوى فى السِّجْنِ ناضِرُهُ

(أودى به : أهلكه . والجدة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)

(١) يقول : لست أدرى : أريق ماذقته من فمك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ، وهو بارد فى فمى ، حار فى كبدى . لأنه يحرك الحب ويذكى جمر الهوى ؟

(٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالغصن : قوامها ، وبالدعص ـ وهو كثيب الرمل ـ ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنا وردفك كثيباً ؟ كما قال أبو نواس :

قمـــرٌ لولا مَلاحَتُهُ ... خَلَتِ الدُّنيا مِنَ الفتن

و«ذيا» : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ، أو إرادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقائه .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس فى الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسبن وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبها كان ذلك أدل على حسنها . ولله أبو تمام إذ يقول :

لَحِقْنا بأُخْراهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الهوَى ... قُلوباً عَهِدْنا طَيْرَها وَهْى وُقَّعُ

فرُدَّتْ علينا الشمْسُ والليل رَاغِمٌ ... بِشَمسٍ لهمْ مِنْ جانِبِ الْخِدْرِ تطلعُ

نضا ضَوْؤُها صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وانطوَى ... لبَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظلامِ المجزَّعُ

فوَاللهِ ما أدرِى أَأَحْلام نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يوشَع

وَأَيْنَ الَّتِي لِلسِّحْرِ فِي لَحَظَاتِهَا سُيُوفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرُ (١)

تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرَكَاتِهَا فَلَيْسَ لِرَاءٍ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرُ (٢)

إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ بِيَ الْبِيدَ عِيسٌ لَحْمُهَا وَالدَّمُ الشِّعْرُ (٣)

نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرُ (٤)

---

(١) الظبى : أطراف السيوف ، جمع ظبة : قال بشامة بن حزن النهشلى :

إذا الكماةُ تنحَّوا أن ينالَهُمُ حَدُّ الظبات وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة : ظبو، بوزن جرد ، فحذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظبات ، وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعاوَرُ أيمانُهم بينهم كئوسَ المنايا بحدِّ الظُّبينا

لما جعل سحر عينيها قاتلا استعار له سيوفا ثم جعلها حمر الظبى من دمه لأنها تقتله .

(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن فى حركاتها قد بلغ الغاية فى ذلك ، فمن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتى عليه فليس له عذر ، لأن مثل هذا الحسن قاتل .

(٣) البيد : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عنس ؛ والعنس . الناقة الصلبة قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سنها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل هو التى اعنونس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كم قدْ حَسَرْنا مِنْ عَلاة عَنْسِ *

وقوله : لحمها والدم الشعر . يقول : كنت أحدوها بشعرى الذى مدحتكم به فتقوى على السير : أى أن شعرى قام لها مقام اللحم والدم فى تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم أن الإبل إذا سمعت الغناء والحداء نشطت للسير . وروى الخوارزمى ، الشعر ــ بفتح الشين ــ يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها البيت التالى ، ولأنه لا شعر للابل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشىء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه: رشه فذهب.



إلى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفُهُ وَبَحْرِ نَدًى فى مَوْجِهِ يَغْرَقُ البَحْرُ(١)
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودُهُ مِنْ تَلِيدِهِ شَبِيهاً بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الهَجْرُ(٢)
فَتًى كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَوِى نَفْسَ مَالِهِ رِمَاحُ المَعَالِى لا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ(٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ فَنَائِلُهَا قَطْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرُ(٤)
وَلَوْ تَنْزِلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ لَأَصْبَحَتِ الدُّنيا وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ(٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيح : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعرى الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة — يعنى غلة عطشها — فأسرعت واستقربت البعيد لنشاطها على هذه الذكرى وهذا المديح .

(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألحمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحيم : أو تقول: يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمة له . يعنى أن الممدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يغرق فى موجه بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال المورث من الآباء يقول : سارت ناقتى إليه وقصدته وإن لم أكن واثقا بإبقاء نواله شيئاً من ماله ، يعنى أن جوده لايبقى من ماله إلا المقدار اليسير الذى لا مطمع فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى الهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام.

(٣) احتوى الشىء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالى تغزو أموال الممدوح كل يوم فتحوزها، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فماله عرضه لرماح المعالى تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لان أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه وينهبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل . العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا . كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطاياه ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر مافيها شيئاً يسيرا بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إذَا وَهَبَ الدُّنيا فقَدْ بَخِلاَ *

أَرَاهُ صَغِيراً قَدْرَهَا عُظْمُ قَدْرِهِ ... فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ(١)

مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ ... تَخِرَّ لَهُ الشِّعْرَى وَيَنْخَسِفِ الْبَدْرُ(٢)

تَرَ الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِى ... لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ(٣)

كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... يُؤَرِّقُهُ فِيمَا يُشَرِّفُهُ الْفِكْرُ(٤)

لَهُ مِنَنٌ تُفْنِي الثَّنَاءَ كَأَنَّمَا ... بِهِ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ(٥)

---

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشىء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يربى على كل شىء . فقوله: أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر ـ فى آخر البيت ـ وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعرى : الشعرى العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب فى الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعرى » . يقول : إن وجهه أتم نوراً وإضاءة من الشعرى والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعرى حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تخر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من المضاعف . قال العكبرى : وفتحه قوم ورفعه آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيبويه لا غير ، نحو لم يرده ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، «لايضركم» برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر ـ بغير ياء ـ بدل من جواب الشرط ـ فى البيت السابق ـ ومن رواه بالياء جعله استئنافا للمخاطب ، يقول : ترى الشعرى برؤيته القمر الأرضى ، أو ترى أنت أيها الرائى برؤيته القمر الارضى ، وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا فى السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر فى كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(١) يقول : إن منته على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكأنها أقسمت بحق الممدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجرى فيه حنث ، ومن ثم كانت منته زائدة على ثناء المثنين وشكر الشاكرين . والمنن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان، يقال لحقت فلانا من



أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلاَّ لِأَهْلِهِ
وَمَا لِامْرِئٍ لَمْ يُمْسِ مِنْ بُحْتُرٍ فَخْرُ[(١)]

هُمُ النَّاسُ إِلاَّ أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ
يُغَنَّى بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرُ[(٢)]

بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقِيسُهُ
إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ[(٣)]

***

فلان منة : أى، نعمة . والثانى : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدئ فيه ويعيد حق يفسده وينغصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بحتر : قبيلة الممدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون فى البلاد ؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال فى المفرد : سافر . يقول : هم الناس فى الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة المكارم ، لكثرة ماركب فيهم من الكرم ـ ضد اللؤم ـ فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما قيل فيهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أى اشترك المقيم والمسافر فى ذلك . فقوله من مكارم : من فيه لبيان الجنس : أى أنها مخلوقون من طينة المكارم :

(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقايس بينه وبينك وأوازن ، لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذى يتصرف على مرادك والذى تحدث أنت فيه النعيم والبؤس . وعبارة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين بعين أووصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شىء لم يمكن ضرب المثل بشىء فى مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس بإلى : لأن فيه معنى الضم والجمع .



وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى :

إِنِّى لَأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرُ ... أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ (١)

وَرَأَيْتُ كُلاًّ مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ ... بِتَعِلَّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ (٢)

أَمُجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ ... فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ (٣)

---

(١) اللبيب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خبير ، والجملة اعتراضية ؛ وأن ومايتصل بها : صلة أعلم . والواو من «وإن حرصت» للحال : والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلية محذوفة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم الغين على المصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدى : قوله: واللبيب خبير ، إشارة إلى أنه هو لبيب ، لذلك علم أن الحياة ــ وإن حرص عليها الإنسان ــ غرور يغتر بها الانسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحترى :

وليْسَ الأمانى فى البقاء وإنْ مَضَتْ ... بهِ عادَةَ إلا أحاديث باطِلِ

ومثله لابن الرومى :

ومَنْ يَرجُو مُسالَمَةَ الليالى ... لمَغرور يُعَلَّلُ بالأمانى

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم » وعلله بالشىء : لهاه به وشغله ومناه ؛ ويصير : ينتهى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشىء يلهيها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشىء : دفنته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفى حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس. يعنى فى نضرته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقيراط وقراريط ، وبفتح الدال: يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شىء ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل الميت رهن القبر لإقامته هناك إلى يوم البعث ، فكأن القبر استرهنه ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه. وقوله: رهن قرارة ، نصب على الحال . وقال ابن جنى : ويصح أن يكون بدلا مما قبله ، فيكون منادى مضافا .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فى الثَّرَى
أَنَّ الكَوَاكِبَ فى التُّرَابِ تَغُورُ (١)
ما كُنْتُ آمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِى الرِّجَالِ تَسِيرُ (٢)
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ (٣)
وَالشَّمْسُ فِى كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ (٤)

---

(١) تغور : تذهب وتختفى . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفى فى التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت فى التراب . وفى هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسِب والمنية كاسمها أن المنية فى الكواكب تطمع

هذا : ويقال : أحسب وأحسب — بكسر السين ، وفتحها — فى المضارع . ولا خلاف فى كسرها فى الماضى .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه المرثى به لعظمه وفخامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسمِ فِى نَعْشِهِ قومُوا انظرُوا كيف تَسِيرُ الجبال

ولا بن الرومى :

من لم يعاين سيرَ نعش محمد لم يدْرِ كيف تُسَيَّرُ الأجبالُ

(٣) الصعقات : جمع صعقة ، وهى الغشية ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فحذف وقد قرئ بالمد : أى جعله أرضا دكاء فحذف لأن الجبل مذكر ، ومن هذا : دك الركية إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل — على صيغة مالم يسم فاعله — فهو مدكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم دك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

(٤) كبد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتمور : تذهب وتجىء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأنها مريضة ، واضطربت الأرض فهى تذهب وتجىء وهذا كله تعظيم لموت المرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

وَحَفِيفُ أَجْنِحَةِ اللَّائِكِ حَوْلَهُ   وَعُيُونُ أَهْلِ اللَّاذِقِيَّةِ صُــــورُ(١)
حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كَأَنَّ ضَرِيحَهُ   فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُــــورُ(٢)
بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ الْبِلَى مِنْ مُلْكِهِ   مُغْفٍ وَإِثْمِدُ عَيْنِهِ الْـكَافُورُ(٣)

الشمْسُ طالِعَةٌ ليست بكاســـفةٍ   تبكى عليكَ نجومَ الليلِ والقمرا(١)

ويقول ابن الرومى :

عَجِبْتُ للأرضِ لم تَرجُفْ جــوانبُها   وللجبـــالِ الرَّواسِى كيف لم تمِدِ
عَجِبتُ لِلشمْسِ لم تَـكسِفْ لِمَهْلِكِهِ   وهْوَ الضِّـياء الذى لولاه لم تَقِدِ

(١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك على غير قياس ـ وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللهُ يَعْـــلَمُ أنَّا فى تَلَفُّتِنا   يومَ الوَدَاعِ إلى أحبابنا صُورُ

واللاذقية : بلد المرثى . يقول : أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقا إليه وحزنا عليه لشدة حبهم إياه ، أو لأنهم ـ كما قال بعض الشراح ـ يسمعون حس الملائكة فيميلون إلى ذلك الحس الذى يسمعونه . قال العكبرى : وقوله: اللاذقية وصور ـ وهما بلدان ـ فيه تورية :

(٢) الجدث : القبر ؟ والضريح : الشق فى وسط القبر . واللحد فى جانبه . وقوله حتى : غاية لخرجوا ـ فى البيت الأسبق ـ تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا من قول ابن الزيات :

يقول لِيَ الخلاَّنُ لو زرْتَ قبرها   فقلت وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ ؟

(٣) بمزود : متعلق أتوا ـ فى البيت السابق ـ والمغفى : النائم ، وأغفى إغفاء : فهو مغف ؛ والإثمد : الكحل الأسود ؟ وملكه : تقرؤها بضم الميم وبكسرها ـ روايتان ـ يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يبلى ، وقد جعل الكافور .. الذى يذر

---

(١) يقول : إن الشمس طالعة تبكى عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها فى طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالتُّقَى ... وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجَى وَالْخِيرُ(١)
كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ ... لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ(٢)
وَكَأَنَّمَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ ... وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ(٣)

***

على وجه الميت ـ فى موضع الكحل . وعبارة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا يبلى ، وهو مغمض كالنائم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور ـ لا بإثمد ـ والإثمد : كحل الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير . الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن المعذل

فَضْلٌ وحزْمٌ وجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ ... ومَكْرماتٌ طواها التُّرْبُ والمطر

(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكرهم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى ذكره كأنه لم يمت ، وهذا من قول منصور النمرى :

رَدَّتْ صنائِعُه إليهِ حياتَهُ ... فكأنَّهُ مِن نشْرِها مَنشورُ

ويقول أبو تمام :

سَلفوا يَرونَ الذِّكرَ عيشاً ثانياً ... وَمَضَوْا يَعُدونَ الثناء خُلودا

ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال العكبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحييه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :



واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غاضَتْ أنامِلُهُ وَهُنَّ بُحُورُ ... وَخَبَتْ مَكَايِدُهُ وَهُنَّ سَعِيرُ (١)

يُبْكَى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ ... فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ (٢)

صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّمًا ... إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ (٣)

فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ ... وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ (٤)

أَيَّامَ قَائِمُ سَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْيُمْنَى وَبَاعُ الْمَوْتِ عَنْهُ قَصِيرُ (٥)

وَلَطَالَمَا انْهَمَلَتْ بِمَاءٍ أَحْمَرٍ ... فِي شَفْرَتَيْهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورُ (٦)

فَأُعِيذُ إِخْوَتَهُ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ ... أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورُ (٧)

---

(١) غاضت : غارت ؛ وخبت النار : سكن لهبها : والمكايد : جمع مكيدة ، وهى مايدبره الرجل فى الحرب وغيرها من الرأى : والسعير تسعر النار : يقول : لمامات غاض بحر جوده الذى كان يفيض على الناس بالعطاء وانطفأت نار كيده وكانت سعيراً على أعدائه :

(٢) يقول : ليس من حقه البكاء عليه ، لأنه لم يستقر فى قبره حتى صافحته الحور فى جنة الخلد ، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء ، قال الشاعر :

إنْ يكن مُفرَداً بِغَيْرِ أنِيسٍ ... فَعسى أن يكون بالحور آنس

هذا ويجوز فى « قراره » الرفع على الفاعلية ، والنصب على المصدر . قال ابن جنى : ويختار النصب :

(٣) على العظيم : أى على الأمر العظيم : وروى ابن جنى عن العظيم : أى عن المفقود العظيم :

(٤) يقول : ليس فى العالم مثلكم ولا مثله ، وكلا كما عظيم :

(٥) العامل فى أيام : محذوف ؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ : أى أيام يقاتل أعداءه ، ويد الموت غير ممتدة إليه ، أو تقدير : أذكركم تلك الأيام التى لم ينل منه عدو فيها : ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من نفاذه :

(٦) انهملت : جرت وسالت ، ويروى : انهمرت ، وشفرتا السيف : حداه : يقول : طالما سالت الجماجم والنحور من أعدائه فى حدى سيفه بالدماء

(٧) أعذته بالله من كذا : عصمته به منه ، وهى كلمة تقال فى مقام التنزيه ؛ وأن

أَوْ يَرْغَبُـــوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْـــرَةٍ
حَيَّــــاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ(١)
نَفَـــرٌ إذا غَابَتْ غُمُودُ سُـــيُوفِهِمْ
عَنْهــا فَآجَالُ العِبَادِ حُضُـــورُ(٢)
وَإذَا لَقُــوا جَيْشاً تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوفَةٍ مَحْشُورُ(٣)
لَمْ تُثْنَ فى طَلَبٍ أَعِنَّةُ خَيْلِهِمْ إلاَّ وَعُمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورُ(٤)

يحزنوا : فى تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة اعيد . قال ابن جنى : الوجه أن يكون محمد الأول : النبي عليه الصلاة والسلام ، والثانى : المرثى . ويجوز أن يكون الأول واثانى كلاهما المرثى . يقول : لاينبغى لهم أن يحزنوا عليه لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من الكرامة والنعيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الامر : اي رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حق حياه فيه الملكان منكر ونكير — أى أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله فى الآخرة أشرف من منازله التى كانت فى الدنيا . وقال ابن جنى : يعنى : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضى — ناقداً — ما أبعد ماوقع . أراد — المتنبى — أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التى صارت من رياض الجنة حق حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها فى حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنازله فى الآخرة أشرف من منازله فى الدنيا .

(٢) يقول : هم — أى بنو إسحاق — نفر — أى رهط وجماعة — إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أغمادها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم فى التو واللحظة فنفر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة — المفازة — يقول : إذا حاربوا جيشا من جيوش الأعداء تيقن ذلك الجيش أنهم قاتلوه لامحالة ، فتأكله الطير حق إذا جاء يوم الحشر — البعث — بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف



يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّـــةٍ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَـــادِ يَزُورُ[١]
وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَـــا وَأَوَّلِ نَظْـــرَةٍ
إِنَّ الْقَلِيـــلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ[٢]

أعنة خيل هؤلاء القوم فى طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذى طردته خيلهم واتبعته قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى : أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبي إياهم لأن المحب يزور حبيبه وإن شطت به النوى ، كما قال القائل :

زُرْ مَن تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّت بكَ الدارُ وحالَ مِنْ دُونِهِ حُجُبٌ وأستار
لا يَمنعنَّكَ بُعْـــدٌ مِن زيارته إن المحبَّ لِمَن يَهـــواه زَوَّارُ

(٢) هذا من قول الموصلى :

إن ما قلَّ منكَ يكثر عندى وقليـــلٌ ممن تحب كثيرُ

ومثله لجميل بثينة :

وإنى ليرضينى قليل نوالـكم وإن كنت لا أرضَى لـكم بقليل

ولتوبة

وأقنع من ليلَى بما لا أنالُهُ ألا كل ماقرَّت به العينُ صالح

ولآخر :

جودوا علىَّ بمنطقٍ أحيا بهِ إن القليل من المحب كثيرُ

وسأله بنو عم الميت أن ينفى الشماتة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلِآلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ[١]

مَا شَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمِ مَحْظُورُ[٢]

تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمِ وَهُنَّ دُهُورُ[٣]

أَبْنَاءُ عَمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لِامْرِئٍ إِلَّا السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ[٤]

طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ

وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ[٥]

---

(١) هذا استفهام إنكارى؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم: يقول : ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقده :

(٢) الخابر : العالم بالشىء ، مثل الخبير أو المجرب : يقول : لايشك من خبرهم وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده : أى لايصبرون عنه وهذا من قول البحترى :

حالتْ بكَ الأشياء عن حالاتها فالحُزنُ حِلٌّ والعَزَاءُ حرام

(٣) يقول : إنهم يبكون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :

يطول اليومُ لا ألقاكَ فيه وعامٌ نلتقى فيه قصير

(٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا ذنب من يسعى بينهم بالنميمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكدروا صفاء ما بينهم من ود ؛ مثلهم فى ذلك مثل الذباب الذى يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جنى : معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضى ــ ناقدا ــ : يظلم نفسه ويغر غيره من فسر شعر المتنبى بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على الطعام يطير ؛ أذهاب هذا أم اجتماع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ماقال ابن جنى لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتمالئوا بالنميمة . . وقال ابن فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمعنى : أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيا بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً جُودِى بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْـــذِيرُ[١]
مَلِكٌ تَصَـــوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِى بِفَصْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ[٢]

***

وقال ارتجالا فى أبى الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :

مَرَتْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ صَـــافِيَةُ الْخَمْـــرِ
وَهُنِّئْتَهَـــا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ[٣]

بالنمائم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما يتعرضون للأحبة المتوادين ومثله :

وجلّ قَذْرِىَ فاستحلوْا مُساجَلَتِى إنَّ الذبابَ على المــاذِىِّ وقّاع

« الماذى : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة المرثى . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله لعدوه لكان ذلك منى إسرافا وتبذيرا ، لان من عاداه لا يستحق منى مثل ذلك الود ، فإذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشىء فى غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول : كأن القدر يجرى بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبى تمام ،

فلو صَوَّرْتَ نفسك لم تزِدْها على ما فيك من كرم الطباع

وعجزه من قول ابن الرومى :

لسْتَ تحتج بالزمان ولا المقــدور وأنتَ الزمانُ والمقــدور

(٣) فى قوله مرتك — كما قال الواحدى — نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان يجب أن يقول: أمرأتك ؛ لأنه إنما يقال: مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأنى الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله: مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب شمائله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شىء ، فكأنه قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فى الزُّجاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُها بالشَّمْسِ فى البَدْرِ فى البَحْرِ (١)
إذَا ما ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حاضِراً نأى أوْ دَنا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الخِضْرِ (٢)

* * *

وقال ارتجالا وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أصْبَحْتَ تأمُرُ بالْحِجابِ لِخَلْوَةٍ هَيْهاتَ لَسْتَ عَلَى الحِجابِ بِقَادِرِ
مَنْ كَانَ ضَـوءُ جَبِينِهِ وَنَوالُهُ لَمْ يُحْجَبا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ (٣)
فإذَا احْتَجَبْتَ فأنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ وَإذَا بَطَنْتَ فأنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ (٤)

---

(١) الحميا : من أسماء الخمر : شبه الخمر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى نواس :

فكأنها وكأن شاربها قمر يقبِّل عارض الشمسِ

(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر فى موضع إلا حضر ؛ والخضر عند الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا نذكر جوده إلا كان حاضرا كالخضر ، يعنى أن جوده يدركنا حيثما كنا :

(٣) نظر فى ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قضى لها اللهُ حين يَخلقها الـخالق أنْ لا يُكِنَّها سَدَف (١)

ونظر فى الجود إلى قول أبى تمام :

يا أيُّها الملِكُ النائِى برؤيتِهِ وَجُودُهُ لمُراعِى جودِهِ كَثَب

ويقول أبو نواس :

تَرَى ضَوْءها من ظاهِرِ الكأسِ ساطِعاً عليـك ولوْ غَطَّيتَهـا بِغِطـاء

(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محجوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعنى بجودك وهيبتك : وهذا من قول أبى تمام :

فَنَعِمْتِ من شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ من خِـدْرِها فكأنها لم تُحْجَبِ

---

(١) السدف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ، فقال هذين البيتين وهو لا يدرى :

نَالَ الَّذِى نِلْتُ مِنْهُ مِنِّى ... لِلّٰهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ(١)

وَذَا انصِرَافِى إِلَى مَحَلِّى ... أَآذِنٌ أَيُّهَا الأَمِيرُ

***

(١) يقول : الشراب الذى نلت منه باحتسائه نال منى بالأخذ من عقلى وحيويتى ثم تعجب مما تفعله الخمر ، ولله أبو تمام إذ يقول:

وكأسٍ كَمَعْسُولِ الأمانِى شَرِبْتُها ... ولكنها أجلت وقدْ شَرِبتْ عَقلى

إذا اليدُ نالتْها بِوِتْرٍ توَفَّرَتْ ... على ضِغْنِهَا ثم استقادَتْ من الرِّجْلِ

ويقول أيضاً :

أفِيكم فتًى حيٌّ فيُخْبِرَنى عَنّى

بما شَرِبَتْ مَشْرُوبَةُ الرّاحِ مِن ذِهْنِى



وقال يصف لعبة فى صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعورُ يعرف بابن كَرَوّس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شىء يجرى فى المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره وَيُعِدُّهُ ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشىء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة لها شعر فى طولها ،تدور على لولب ، و إحدى رجليها مرفوعة ، وفى يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقفت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالا :

وَجَارِيَةٍ شَعْرُها شَطْرُهَا ... مُحَكَّمَةٍ نَافِذٍ أَمْرُهَا[1]

تَدُورُ وَفِى كَفِّهَا طَاقَةٌ ... تَضَمَّنَهَا مُكْرَهًا شِبْرُهَا[2]

فإنْ أَسْكَرَتْنَا فَفِى جَهْلِهَا ... بِمَا فَعَلَتْهُ بِنَا عُذْرُهَا[3]

* * *

(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت فى أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقفت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز فى «نافذ» : الجر ، على أنه نعت سببى،و«أمرها» فاعل؛ والرفع :على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت فى كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا للشرب ، فجهلها مافعلت عذر لها ، لأنها لاتعلم ماتفعل :



وقال فى بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه :

إنَّ الأمِيرَ أدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ لفَاخِرٌ كُسِيَتْ فَخْراً بِهِ مُضَرُ(١)
فى الشَّرْبِ جارِيَةٌ مِنْ تحْتِها خَشَبٌ ما كَانَ وَالِدَهَا جِنٌّ ولاَ بَشَرُ(٢)
قَامَتْ عَلَى فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ وَلَيْسَ تَعْقِلُ ما تَأْتى وَمَا تَذَرُ(٣)

---

(١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا فخراً به ، ويروى : كسبت

(٢) فى الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ ووالدها خبر . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :

كأنَّ سبيئةً مِن بيتِ رأسٍ يكون مزاجَها عسلُ وماءُ(١)

وللقطامى :

قِفِى قبل التفرُّقِ يا ضُباعَا ولا يَكُ مَوْقِفَ منكِ الوَداعا(٢)

(٣) ما تأتى وماتذر : أى ماتفعله وما تتركه .

---

(١) السبيئة : الخمر ، وبيت رأس : موضع بالشام ، وخبر كأن ـ فى البيت التالى ـ وهو :

على أنيابها أو طعمُ غض من التفاح هَصَّره اجتِناء

(٢) مطلع قصيدة للقطامى يمدح بها زفر بن الحارث الكلابى ، وضباع مرخم ضباعة وهى بنت زفر . وبعد البيت

قفى فادِى أسيرَكِ إن قومى وقومك لا أرى لهم اجتماعا

وقد كان القطامى أسيرا عند والدها . وقوله ولا يك موقف إلخ : يحتمل وجهين أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لاتجعلى هذا الموقف آخر وداعى منك والآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع



وقال لبدر : ما حملك على إحضار اللعبة ؟ فقال : أردت أن أنفى الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْفِي الظَّنَّ عَنْ أَدَبِي ... وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْعَصْرِ مِقْدَارا (١)

إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوف مَخْبَرُهُ ... يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارا (٢)

فقال بدر : بل للدينار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ ... وَبِأَنْ تُعَادِيَ يَنْفَدُ الْعُمْرُ (٣)

فَخَرَ الزُّجَاجُ بِأَنْ شَرِبْتَ بِهِ ... وَزَرَتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الْخَمْرُ (٤)

وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهِيَ تُسْكِرُنَا ... حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ (٥)

مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرُمَةٍ ... إِلَّا الْإِلٰهُ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

---

(١) تنفى الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر ، وفى تعبيره بـ«زعمت» ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك، فليس يعوزك أن تتجشم نفى هذا الظن عنى .

(٢) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بادىء ذى بدء أنه يساوى ديناراً قد تزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبرة .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فنى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك الكؤوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يعافها ـ يكرهها ـ إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيبتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسكرك .



وأراد الارتحال عن على بن أحمد الخراسانى فقال :

لا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِى عَنْكَ فى عَجَلٍ ... فَإِنَّنِى لِرَحِيلِى غَيْرُ مُخْتَارِ

وَرُبَّمَا فَارَقَ الإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ ... يَوْمَ الوَغَى غَيْرَ قَالٍ خَشْيَةَ العَارِ[1]

وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أُحَارِبُهُمْ ... فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِى[2]

وقال يصف مسيره فى البوادى وما لقى فى أسفاره ويذم الأعور ابن كروّس :

عَذِيرِى مِنْ عَذَارَى مِن أُمُورٍ ... سَكَنَّ جَوَانِحِى بَدَلَ الخُدُورِ[3]

وَمُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عَصْرٍ ... عَنِ الأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ[4]

رَكِبْتُ مُشَمِّراً قَدَمِى إِلَيْهَا ... وَكُلَّ عُذَافِرٍ قَلِقِ الضَّفُورِ[5]

---

(١) المهجة : الروح ، والقالى : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فارق . شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للمرء مايوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقك كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندى : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إنى مبتلى بحساد أعاديهم فانصرنى عليهم بجودك حتى أفتخر عليهم بذلك فيموتوا كمدا .

(٣) يقولون : عذيرى من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أى من يعذرنى منه أى إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبكار لم يفرعهن بعل والمراد هنا : الأمور العظام والخطوب التى لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها. و«من» الأولى صلة عذيرى والثانية : بيانية ، وهى مع مجرورها فى موضع النعت لعذارى . والجوانح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعى وقلبى مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهى الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات بيانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبتسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور — جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمى :

أَوَانًا فى بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِى ... وَآونَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ (١)

أُعَرِّضُ للرِّمَاحِ الصُّمِّ نَحْرِى ... وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِى لِلْهَجِيرِ (٢)

وَأَسْرِى فى ظَلَامِ اللَّيْلِ وَحدِى ... كَأَنِّى مِنْهُ فى قَمَرٍ مُنِيرِ (٣)

فَقُلْ فى حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا ... عَلَى شَغَفِى بِهَا شَرْوَى نَقِيرِ (٤)

مفعول ركبت ، وإليها : متعلق بركبت ؛ والضمير للهيجاوات . والعذافر : القوى من الإبل ؛ والناقة : عذافرة : والضفور : جمع ضفر ، وهو النسع ـ الحبل ـ تشد به الرحال . والضفير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بضفير » أى بحبل مفتول من شعر . فعيل بمعنى مفعول . يقول : قصدت الهيجاوات ـ الحروب ـ راجلا وراكبا : أى مارستها فى كل حال . وكنى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال.

(١) الآونة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : مايستصحبه الرجل من الأثاث ؛ والقتد : خشب الرحل . وقيل: القتد من أدوات الرحل؛ وقيل ،جميع أداته ، والجمع أقتاد وقتود وأقتد . قال الراجز .

كأننى ضمَّنت هِقلا عَوهَقا ... اقتادَ رَحْلِى أو كدرًا مُحْنقا

« الهقل الظليم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والمحنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحاله وقلة مقامه ، ومن ثم قال فى النزول : أوانا وفى الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . مابدا منه . والهجير . شدة الحر وقت الهاجرة ، وهى نصف النهار . والرماح الصم . أى الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعَرِّض للطِّعانِ إذا التقينا ... وُجُوهًا لا تُعَرَّضُ للسبابِ

وعجزه من قول الآخر .

أقول لبعضهم إن شدَّ رَحْلى ... لهاجِرَةٍ نصبتَ لها جَبينى

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . فى موضع الحال من الضمير المستتر فى الظرف بعده . يقول : كأنى فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لمعرفتى بالطرق والمفاوز واهتدائى فيها .

(٤) فقل فى حاجة . أى قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف فى موضع الحال من فاعل أقض . وشغفى بها : حبها ، وشروى الشىء ، مثله والنقير . نكتة فى ظهر النواة . يضرب مثلا للشىء الحقير . يذكر كثرة تعبه وقلة



وَنفسٍ لاَ تُجِيبُ إلَى خَسِيس ... وَعَيْنٍ لاَ تُدَارُ عَلَى نظيرِ (١)
وَكفٍّ لاتُنَازِعُ مَنْ أتَانِي ... يُنازِعُني سِوَى شَرَفِي وَخِيرِي (٢)
وَقِلَّةِ نَاصِرٍ جُوزِيتَ عَنِّي ... بِشَرٍّ مِنْكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ (٣)
عَدُوِّى كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حتَّى
لِخَلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدُورِ (٤)

نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أنل منها شيئا على شدة شغفى بها وحبها ؟ .

(١) يقول : وقل ماشئت فى نفس — يعنى نفسه — لاتؤاتينى على أمر خسيس ولا تقنع به . وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لى .

(٢) ينازعنى : حال من فاعل أتانى : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وقل ماشئت فى كف — يعنى كفه — سخية لا تمسك شيئا وتترك كل شىء لمن ينازعنى إلا شرفى وكرمى فإنى لا أسخو بها .

(٣) أى : وقل ماشئت فى قلة من ينصرنى على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يجنى عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوى : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وخلت : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضى على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شىء فى الدهر يعاديه حتى ظن التلال التى لاتعقل تعاديه ، يريد بذلك المبالغة : وقال ابن جنى : قوله حتى لخلت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبو به ولا تطمئن إليه ، فكأن ذلك لعداوة بينها ؛ والآخر — وهو الوجه — أنه يريد شدة مايقاسى فيها من الحر، فكأنها : موغرة الصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر فى الأكم فتنبو به وبئسما يختار داراً ومقاما . وأما المعنى الثانى فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحى للشمس أولى بأن يكون أحر ، وللأكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذى لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذى عنى أبو الطيب أن كل شىء يعاديه حتى خشى أن الأكم التى لا تعقل تعاديه ، ويريد بذلك : المبالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

فَلَوْ أَنِّى حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ ... لَجُدْتُ بِهِ لِذِى الْجَدِّ الْعَثُورِ (١)
وَلَكِنِّى حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِى ... وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ بِلاَ سُرُورِ (٢)
فَيَا ابْنَ كَرَوَّسٍ يا نِصْفَ أَعْمَى ... وَإِنْ تَفْخَرْ فَيَانِصْفَ الْبَصِيرِ (٣)
تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ ... وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ (٤)
فَلَوْ كُنْتَ أَمْرَأً يُهْجَى هَجَوْنَا ... وَلَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ (٥)

---

(١) و (٢) النفيس : نقيض الخسيس : والجد العثور أو العاثر ؛ الحظ التعس الذى يتعثر صاحبه ويعانى العناء فى سعيه : يقول : لو حسدنى الناس على شىء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم والمحروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدوننى على حياتى مع أنها ليست بالشىء الذى يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كى أستريح منهم ومن شرورهم : وقال بعض الشراح : يعنى حسدونى على سرورى وأنسى وأرادوا أن أكون محزوناً أبدا ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتى ، فإن حياة الحزين موت : وكنى بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة : هذا : وقوله : لذى الجد العثور ، يروى لذا الجد العثور : أى لهذا الجد العثور ، يعنى لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ المنحوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعنى إن فخرت ببصرك فأنت ذو بصر واحد.

(٤) يقول : إنما تعادينا لما بيننا من المضادة لأنك ألكن — ثقيل اللسان — وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لخستك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفتر : يضيق مقداره عن المسير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهجى ومثل هذا قول القائل .

بما أهْجُوكَ لا أدرى ... لسانى فِيكَ لا يَجْرِى
إذَا فكَّرْتُ فى عِرْضِكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِى



وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طغج :

وَوَقْتٍ وَفَى بالدَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ وَفَى لِي بأَهْلِيــهِ وَزَادَ كَثِيرا[١]

شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِه وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرَا

غَدَا النَّاسُ مِثْلَيْهِمْ بهِ لاَ عَدِمْتُهُ وَأَصْبَحَ دَهْرِى فِى ذَرَاهُ دُهُورا[٢]

***

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنَشْرُ الْكِبَاءِ ووجه الأميرِ وَصَوْتُ الْغِنَاءِ وَصَافِى الْخُمُورِ[٣]

فَدَاوِ خُمَارِى بِشُرْبِى لَهَا فَإِنِّى سَكِرْتُ بِشُرْبِ السُّرُورِ[٤]

---

(١) يقول : إن وقتى عنده يفى بالدهر كله ويعادل، كما أن الممدوح يفى بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله: عند واحد ، يروى : عند سيد .

(٢) فى ذراه : فى كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا ماهم عليه ، ودهره عظيم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذى يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف للعلم به ، كأنه يقول : أتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لى ؟ قال بعض الشراح : يعنى : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — فى قوله: وصافى الخمور — للمصاحبة ، سد العطف بها مسد الجر ، كما فى قولهم : كل رجل وضيعته .

(٤) يقول : إنى قد سكرت من سرورى حين اجتمعت لى هذه الأشياء فداو خمارى والخمار : صداع الخمر — بشرب الخمر ، أى إنما أريد شرب الخمر ، لأنفى الخمار ، لا للسكر ، فإنى سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : بشربى ، صلة خمارى والمعنى : لا تزدنى من الخمر ، ولكن التمس لى دواء من سكرى بها ، فإنى قد سكرت من سرورى بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكراً آخر



وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَـلُومَنَّ الْيَهُودِىَّ عَلَى أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْـكِرُهَا(١)

إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةً مِنْ بَعْـدِ مَا يُبْصِرُهَا(٢)

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ؛ فعجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَحْفَظُ الْمَـدِيحَ بِعَيْـنِى لا بِقَلْـبِى لِمَا أَرَى فى الأَمِيرِ(٣)

مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَمَتْ لِى غَـرَائِبَ الْمَنْثُورِ(٤)

***

---

(١) و (٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها ، فالرفع على الاستئناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يبصرها . يقول : لايلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال: هذه ظلمة وضرب ذلك مثلا . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للعكوك :

سما فوق الرجال فليس يَخفى وهل فى مَطلع الشمس التباسُ ؟

(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائحه بقلبى لحضور معانيها أمام عينى ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإنى كلما نظرت إليها هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب النثور فأنطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعينى ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المنثور ، فعينى تنظم فضائله لأنها تدركها وتشاهدها ، لا قلبى ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وحا كَةِ شِعْرٍ حَسَّنوا القولَ منهمُ ومِنكَ ومِن أفعالِكَ امتازَ حُسْنُهُ

ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استعنَّا بفعلهِ لنأخذ معنى مَدْحِهِ مِن فعاله



وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرْكُ مَدْحِيكَ كالهجاءِ لِنَفْسِي ... وَقَلِيلٌ لكَ المَدِيحُ الكَثِيرُ(١)

غيرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضَبَ الشِّعْرِ ... لِأَمْرٍ مِثْلِي بِهِ مَعْذُورُ(٢)

وَسَجَايَاكَ مَادِحَاتُكَ لا لَفْظِي ... وَجُودٌ عَلَى كَلامِي يُغِيرُ(٣)

فَسَقَى اللهُ مَنْ أُحِبُّ بِكَفَّيْكَ ... وَأَسْقَاكَ أَيُّهَذَا الأَمِيرُ(٤)

* * *

---

(١) مدحيك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك المديح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الموصلى :

إذا استكثر الحساد ما قيل فيكمُ ... فإن الذى يستكثرون قليلُ

(٢) المقتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع والمراد : ما أتى به بديها . هذا : ولم يبين المتنبى ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحاً قد عرفه الممدوح فأهمل ذكره .

(٣) يقول : إنما يمدحك ما فيك من الأخلاق الحميدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينهبه ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

ولا مدحَ ما لم يَمْدَحِ المرءَ نفسهُ ... بأفعالِ صِدْقٍ لم تَشِنْها الخسائِس

(٤) سقاه الله وأسقاه : أمطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى: « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » . وقال سبحانه : « وسقاهم ربهم شرابا طهوراً » يقول : سقى الله أحبائى غيث كفيك حتى يخصبوا بجودك ، وسقاك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك .

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانه ثوراً فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة فى البرية فقال : هذه نخلة ؛ فضحك أبو الطيب وقال :

بُسَيطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ الْقِطَارَا ... تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِى حَيَارَى (١)

فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ ... وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكِ الْمَنَارَا (٢)

فَأَمْسَكَ صَحْبِى بِأَكْوَارِهِمْ ... وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا (٣)

***

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكى :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ ... وَحِيداً وَمَا قَوْلِى كَذَا وَمَعِى الصَّبْرُ (٤)

وَأَشْجَعُ مِنِّى كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِى ... وَمَا ثَبَتَتْ إِلَّا وَفِى نَفْسِهَا أَمْرُ (٥)

---

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ، وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنصوب قبله ، والصوار : القطيع من البقر ، والمنار : منارة الجامع — المئذنة :

(٣) الأكوار : الرحال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابى برحالهم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فمنهم من اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله: ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أحدهم : أى أنى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لا ناصر لى ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول إنى وحيد والصبر معى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فإنى من زمانى فى حروبِ *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقاءها معى فى هذه المطاعنة أشجع منى ، وهذا مجاز ،

تَمَرَّسْتُ بِالآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ (١)

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الأَتِيِّ كَأَنَّ لِي
سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ (٢)

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ (٣)

وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِقًّا وَقَيْنَةً
فَمَا الْمَجْدُ إِلاَّ السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ (٤)

يريد أنى اسلم من هذه الأحداث فلا تصيبنى بسوء ، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم ، يعنى ليس بقائى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدى .

(١) تمرس بالشىء : احتك به . والآفات : جمع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهالك من قتل وجراحة ونحوهما ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا المتمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقالت هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقنى ولا هلاك يصيبنى .

(٢) الأتى : السيل الذى لا يرده شىء ، والوتر : الذحل والثأر . تقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذى لا يرده شىء ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبت نفسى كانت لى بدلا أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .

(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سد المرفوع بعده مسدّ الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فنى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الخمر . والقينة هنا : المغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ
لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ(١)

وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا
تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ(٢)

إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ(٣)

البطش ، والبكر من كل شىء ، الذى لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضريب : عطف على السيف . والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك الهبوات السود : أى أن تثير الغبار بحوافر الخيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وحفيف الأشجار . وتداول — بحذف إحدى التاءين — أى تتداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأنمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن تترك فى الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة المساعى الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وعبارة الواحدى : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سد مسامعه عن غيرها ونقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خرير دموعه فقال :

فاحْشُ صِماخَيْكَ بِسَبَّابَتَيْ كَفَّيْكَ تَسْمَعْ لِدُمُوعِي خَرِيرا

قال العكبرى : وهكذا من يتعرض لمعانى المتنبى يجىء شعره أبرد من الزمهرير

(٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكرك ، فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه



وَمَنْ يُنفِقِ السَّاعَاتِ فى جَمْعِ مالِهِ
مَخافَةَ فقرٍ فالَّذِى فَعَلَ الْفَقْرُ[١]

عن أن يسف به . قال العكبرى : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

عَيّاش إنك للئيم وإننى إذْ صرتَ مَوْضِعَ مَطْلبى للئيمُ

وقد ذهب ابن جنى فى تفسير البيت مذهباً أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصاغر الناس على ما تتبلغ به فالفضل فيك ولك لا للممدوح المشكور . . . قال العروضى — مشنعاً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذى أراد المتنبى أن الفضل والأدب إذا لم يرفعاك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعا وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذى أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعنى أن الغنى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجا إلى الغنى ، فالمعنى أنه يحرض على ترك الانبساط إلى اللئيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذى أدخل الشبهة على أبى الفتح أنه تأول فى قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكرك ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرمان فقر . وعبارة الخطيب : إذا أفنيت دهرك فى جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرك فى الفقر . فمتى يكون غناك ؟ فقد تعجلت الفقر . قال العكبرى : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته فى جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أمِنْ خوْفِ فقرٍ تعجلته وأخَّرْت إنفاق ما تجمعُ
فصِرْتَ الفقيرَ وأنت الغنيُّ فما كان ينفع ما تصنعُ

وقال آخر :



عَلَىَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ ... عَلَيْهَا غُلَامٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ (١)

يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمِ ... كُئُوسَ الْمَنَايَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْخَمْرُ (٢)

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي الْـ ... ـجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ (٣)

وَخَرْقٍ مَكَانُ الْعِيسِ مِنْهُ مَكَانُنَا

مِنَ الْعِيسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ (٤)

يخوّفني بالفقر قومي وما دَرَوْا ... بأن الذى فيه أفاضوا هو العسر

فقلت لهم لما لحوْني وأكثروا ... ألا إن خوف الفقر عندى هو الفقر

وقال لقمان الحكيم : من دافع الفقر بالذل قبل الفقر فقد تعجل الفقر .

(١) الجور : الظلم ؛ والطمرة : الفرس الوثابة نشاطاً ومراحا : والحيزوم : الصدر ، والغمر : الحقد . يقول : يحق على أن أسوق إلى أهل الظلم عسكراً لجبا فيه كل فرس نشيط يحمل فارساً قد امتلأ صدره حقداً عليهم وغيظا وحنقاً فلا تأخذه بهم رأفة . وعبارة جميع الشراح : أنا كفيل بخيل فرسانها هؤلاء .

(٢) يدير : أى الغلام . يقول : يدير عليهم كئوس الموت حين لا تشتهى الخمر ولا تراد لهول ماهم فيه من القتال ، وإنما الخمر تشتهى عند وقت الفرح والأريحية والفراغ .

(٣) جبت : قطعت . يقول : كم من جبال تشهد لى بالأناة والوقار ، وبحار تشهد لى بسعة الصدر والسخاء ؛ ولعله ينظر إلى قول القائل .

فتى لا يراه البحر إلا أظله ... خواطر فكر أنه زاخر البحر

(٤) وخرق : عطف على جبال ؛ والخرق : المفازة الواسعة ؛ ومكان العيس مبتدأ . ومكاننا : خبره . وواسط الكور بدل من مكاننا . والعيس : الإبل ، وواسط الكور مقدم الرحل والضمير فى منه وفيه : للخرق . وقال ابن القطاع : مكان العيس : مبتدأ ومكاننا : ابتداء ثان ، وواسط الكور : خبر الابتداء الثانى ، والجملة خبر الأول . يقول : لسعة هذا الخرق وطول مسافته وترامى أطرافه كانت إبلنا كأنها لا تنتقل عن ظهره ولا تزال متوسطة له ، كما أننا كنا على ظهور إبلنا لاننتقل عنها ولا نزال متوسطى ظهورها ؛ وهذا المعنى من قول ذى الرمة :

ومَهْمَهٍ فيه السَّرابُ يَلْمَحُ ... يَدْأَبُ فيه القومُ حتى يطْلَحُوا

ثم يظلونَ كأنْ لم يبرحوا ... كأنما أمْسَوْا بحيث أصبحوا



يَخِدْنَ بِنَا فى جَـوْزِهِ وَكَأَنَّنَا   عَلَى كُرَةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنَا سَفْرُ(١)

وَيَوْمٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْـلٍ كَأَنَّمَا   عَلَى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ(٢)

وقال ابن جنى : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجىء لسعة هذا الخرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكما نحن فى ظهور العيس لا نبرح منها فى أوساط أكوارها : كذلك هى كأن لها من أرض هذا الخرق كوراً وظهراً فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقداً — : وقد غلط ابن جنى فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير فى جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الخرق ، والمعنى : أنا فى وسط ظهور الإبل ، والإبل فى وسط ظهر الخرق ! ولم يتعرض فى هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها فى البيت الثانى فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتجه قول ابن جنى مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إناوإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثانى إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كأن فؤادى كُرَةٌ تَنَزَّى   حِذارَ البينِ لو نفع الحذارُ

(١) يخدن : يسرن سيراً سريعاً ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير مسرعة فى هذا الخرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الخرق تسير معنا فلا نقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وخَرْقٍ طال فيه السيرُ حتى   حَسِبناهُ يَسِيرُ معَ الرِّكابِ

وإذا أسرع الإنسان فى السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبلغ مدى هذا الخرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فكأن أرضَ اللهِ سائرةٌ   معنا إذا سارت كتائبهُ

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضمير فى أفقه : لليل ، وليس لليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء فى ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدآبهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وأُلبِسَ عُرْضُ الأفقِ ثوْباً كأنه   على الأفقِ الغرْبِىِّ ثوبٌ مُعَصْفَرُ



وَلَيْـــلٍ وَصَـــلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا
عَـلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِـــهِ حُلَلٌ خُضْرُ(١)

وَغَيْـــثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامِــراً
عَلاَ لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّـــحَابِ لَهُ قَبْرُ(٢)

أَوِ ابْنَ ابْنِهِ الْبَـــاقِي عَلِيَّ بْنَ أَحْمَــدٍ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أُجُزْ وَيَدِي صِـــفْرُ(٣)

ومثله ليحي بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعَصْفَرَ

(١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : إلباس الغيم السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حللا سوداء ، والسواد يسميه العرب خضرة ، قال ذو الرمة :

في ظلٍّ أَخْضَرَ يَدْعو هامَهُ البومُ *

أو يريد أنه سافر فى أيام الربيع والأرض خضراء .

(٢) قوله تحته : حال من ضمير المتكلمين . يقول : ورب مطر ظنناه ونحن تحته أن عامراً — وهو جد الممدوح — فى السحاب ارتفع إليه ولم يمت ، فهذا المطر من جوده ، أو أن قبره فى السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره: علا لم يمت أو أن له قبراً فى السحاب .

(٣) ابن : عطف على عامراً ، والباقى : نعت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد فهى صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث ويدى خالية لقلت : إن ابن ابنه — يعنى الممدوح — كان فى السحاب ، ، وهو الذى يجود بذلك الغيث ، ولكن لما عبرت ويدى خالية علمت أنه جود — بفتح الجيم : أى مطر — لا جود ، لأن عادته أن يملأ يدى بالهبات .

والبيتان من قول أبى تمام :

وراحة مُزنةٍ هطلاءَ تَهمى مَواهِرُها وَهُنَّ على سكبُ
فقلت يدُ السماءِ أم ابنُ وَهْبٍ تجلى للندى أمْ عاش وَهْبُ ؟



وَإِنَّ سَحَابًا جَوْدُهُ مِثْلُ جُودِهِ سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرُ[(١)]
فَتًى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَّاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرُ[(٢)]
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكُفُّ الْقَنَا السُّمْرُ[(٣)]
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ[(٤)]

---

(١) الجود ـ بفتح الجيم ـ المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر فى قلبه من الهمم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظيما مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعا لسعتها ألا ترى أن قلب الممدوح قد وسعها وصدره قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومى :

كَضَمِيرِ الفؤادِ يلتهمُ الدنيا وتَحْوِيه دَفّتا حَيْزُومِ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبا الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما انتفع الناس بغناه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا نفع بدون الأيدى الطاعنة بها . كما يقول البحترى :

إذا لم يكن أمضى من السيف حاملٌ فلا قَطْعَ إنَّ الكفَّ لا السيفَ تقطعُ

ويقول أيضاً : ـ

فلا تغلِيَنَّ السيف كلَّ غَلائِه ليمضى فإن الكفَّ لا السيفَ تقطعُ

(٤) الصلت جد الممدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعا بفعل مضمر تقديره أعجب به قران هذه حاله ، مثلا ؛ والقران فى الأصل : اسم لمقارنة الكوكبين . جعل جديه من الطرفين فى المصاهرة ونسب الممدوح كقران الكواكب تعظيما له ، ثم شبه اجتماعهما . باجتماع السيف الهندى مع النصر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

فَجَاآ بِهِ صَلْتَ الْجَبِينِ مُعَظَّمًا ترَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمُ كُثْرُ(١)
مُفَدًّى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْذَعًا هُوَ الْكَرَمُ الْمَدُّ الَّذِى مَا لَهُ جَزْرُ(٢)
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِى الشَّوْقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِى فِى كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ(٣)
وَأَسْتَكْبِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ(٤)
إِلَيْكَ طَعَنَّا فِى مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ بِكُلِّ وَآةٍ كُلُّ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ(٥)

---

(١) جاآبه : أى الجدان المذكوران ؛ ويروى جاء : أى القران : وصلت الجبين وضحه أو الواسع المستوى الجميل وهو حال . يقول : ترى الناس حوله وهم كثيرون فى العدد ، قليلون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكثر: الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

إن الكِرَامَ كثير فى البلادِ وإنْ قلوا كما غيرُهُمْ قُلٌّ وَإنْ كَثُرُوا

(٢) مفدى : حال أخرى ، كما أن معظما ــ فى البيت السابق ــ حال أولى : أى يقول له الرجال : فديناك بآبائنا ، والسميذع : السيد الكريم ؛ والمد : زيادة الماء ؛ والجزر : نقصانه ؛ وجعله كرماً ــ وهو مصدر ــ مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى المد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خبر مازلت : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الراكبين . يقول : مازلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره، وما صاحبت أحداً إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لاشىء أحْسَنُ من ثنائى سائراً ونَدَاكَ فى أفقِ البلاد يسايره

(٤) الخبر : الخبرة والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمعه من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الخيل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الوصف سواك ، فإنك فوق ماوصفت لى » . ويقول القائل :

كانت مُحادثة الركبان تخبرنى عن أحمد بن علىّ طَيِّبَ الخبر
ثُمَّ التقينا فلا واللهِ ما سَمِعَتْ أذنى بأحسنَ مما قد رَأى بَصَرى

(٥) الصفصف : الفلاة المستوية ؛ والوآة : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لَهَا
كَأَنَّ نَوَالاً صَرَّ فِي جِلْدِهَا النِّبْرُ(١)

فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ(٢)

كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لا عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعِشْرُ(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحراً : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ، يقول : أينما قصدت من الأرض قطعته وجازته لا تبالى بسهل ولا وعر : بمنزلة الطعنة إذا أصابت نحراً فإنها تنفذ فيه نفاذاً ذا أثر بالغ . قال الوحدى : ويجوز أن يكون المعنى : كل مالقيته هذه الناقة من مشاق الطريق نحر لها : أى يفعل بها فعل النحر ، فكأنها تنحر فى كل ساعة .

(١) النبر : دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعتها . يقول : إذا لسع النبر هذه الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت ـ نشطت واحتدت ـ فى سيرها حتى لكأنه صر فى جلدها نوالا ـ عطاء ـ شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنانير ودراهم ، فكأنها مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة فى جلدها : يقول : إن الشدائد لا تفل حد مراحها : أى أنها لا تبالى فى طريقها إلى الممدوح بشىء ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما فى البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما ـ الشمس والبدر ـ دونك فى جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعا وأشهر ذكراً وأعلى منزلة وقدراً : أى أنك ـ على بعدك ـ فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أظماء الإبل ، وهو أن ترد يوما وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم العاشر أعطش ما تكون . يقول : لوكنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لوسعت بطبع الجود كل حيوان فى كل مكان وفى ذلك ارتفاع الأظماء . وقال ابن جنى : أى كانت تجاوز المدة فى وردها العشر لغنائها بعذوبتك وبردك .



دَعَانِى إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَى ... وَهٰذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ(١)

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بُيُوتُهُ ... إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِهَا الْحِبْرُ(٢)

كَأَنَّ الْمَعَانِى فِى فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ(٣)

وَجَنَّبَنِى قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتُهَا ... وَمَا يَقْتَضِينِى مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ(٤)

وَإِنِّى رَأَيْتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... وَأَهْوَنَ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ(٥)

---

(١) يقول : دعانى إلى أن أنتجعك وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى — العقل — وما أعددته لك من منظومى فى مدحك وما عهدناه فيك من النائل — العطاء — الذى تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم : كلام الممدوح ونظمه .

(٢) يروى قلت — بضم التاء — فيكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروى بفتح التاء فيكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا الممدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى أبيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلِمَدْحِيكَ قُلْتُهَا كلمات ... هُذِّبَتْ فيك أيّمَا تهذِيبِ

سوّدَتْ فيكَ كل بيضاء تسويداً تراهُ العُيُونُ كالتذهيب

(٣) الخلائق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهر ، وهو المضىء المشرق . شبه معانى شعره فى فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا فى اتساقها وجمالها ، وبأخلاق الممدوح الزاهرة المشرقة فى إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضينى يطالبنى . يقول . تنكبت السلاطين وتنحيت عن قصديهم لأنى أجتويهم وأمقتهم ولأنه بودى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلها ، فهى تطالبنى بجماجمهم ، وهو المتنبى يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقته .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندى وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً — حقيراً — متكبراً ويروى بدل مرأى : لقيا ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُؤَادُ وَهِمَّتِي
أَوُدُّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ(١)

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ
وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ(٢)

وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوَكَ الْبِشْرُ(٣)

وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ
بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ(٤)

---

(١) تقول : رجل ود — بتثليث الواو — بمعنى ودود ، والجمع أود . وقوله والشطر : الأوجه أنه عطف على لسانى . يقول : إن لسانى وعينى وفؤادى وهمتى تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك . وكذلك شطرى : أى أن كل شطر منى يود شطراً منك ؛ يعنى أن كلى يود كلك ، فقوله: أود اللواتى ذا اسمها منك : أى ودودة اللواتى تسمى منك بهذه الأسماء : أى اللسان الخ . قال الواحدى : والغرض من هذا البيت : التعمية فقط ، وإلا فما الفائدة من هذا البيت مع مافيه من الاضطراب ؟ ! أقول: ومن ثم تخبط فيه الشراح أيما تخبط .

(٢) يقول : إنى لم أستقل وحدى بهذا الشعر ولكن ظاهرنى عليه شعرى ، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت . والمعنى : إن شعرى كان يطاوعنى ويؤاتينى فى مدحك حتى لكأنه كان ينظم معى ، ولله قول أبى تمام فى هذا المعنى :

تغايرَ الشعرُ فيه إذ أرِقْتُ له   حتى ظَنَنْتُ قوافِيهِ سَتَقْتَتِلُ

(٣) ما : نافية ؛ وذا : اسم إشارة . ورونق : السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرته . والبشر : طلاقة الوجه وتهلله . يقول : ليس الذى يرى فى شعرى من الحسن رونقه هو : أى رونق فصاحته وبلاغته ، ولكن شعرى تهلل وجهه ابتهاجا بلقائك واستبشر ضاحكا ناضراً حين رآك ، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك .

(٤) الذى يوجب القدر : أى الذى يستدعيه قدرك ويستحقه ؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أى وإن نلت أنا وأنا من بعض خدمك ، وليس بشىء .



أَزَالَتْ بِكَ الأَيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا ... بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرُ[1]

* *

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا ... وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى[1]

---

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلقائيك أزالت عتبي عليها لأني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكأن الأيام أتت بك عذراً عن ذنوب بنيها . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلولا ... وأصلحَ بَيْنَ أيامِي وَبَيني

والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَتْ خطايا الدهر فِيَّ وقد يُرى ... بِندَاكَ وهْوَ إليَّ منهـا تائِبُ

ويقول أبو نواس :

يَرمِي إليك بها بَنُو أَمَلٍ ... عَتَبُو فأعتَبَهم بِكَ الدَّهْرُ

ويقول ابن الرومى :

أنتمْ أناسٌ بأيادِيكمُ ... يستغفر الدهر إذا أَذْنَبا

إذا جَنَى الدهْرُ على أهله ... وزادَ فى عِدَّتِكم أعتبَا

(*) ذكر الخطيب التبريزى ـ في شرحه ـ : إن المتنبى لما قصد مصر ومدح كافوراً مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :

* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفراً ،وكان قد قال فيها :

صغت السوار لأى كف بشرت ... بابن الفرات وأى عبـد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان ـ وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكاتب الأديب الكبير المعروف ـ لحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفراً ، وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات .

(٢) يقول ـ مخاطباً نفسه ـ : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِباً   لمَّا رآكَ وَفى الْحَشَى مَالاَ يُرَى[1]

وأى محب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو فى صوت المحب من نغمة الحزن والزفير والشهيق والتهيؤ للبكاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكاك : عطف على الضمير فى قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكاؤك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجرى ، « هذا » : وقد قيل للمتنبى خالفت فى هذا البيت بين سبك المصراعين فوضعت فى المصراع الأول إيجابا بعده نفى ، وفى الثانى نفيا بعده إيجاب ، فقال لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمعه ، ومن لم يصبر جرى دمعه : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن ـ بنون التوكيد الخفيفة ـ فأبدلها ألفا . قال العكبرى : ومثله كثير فى الكلام كقوله تعالى « ألقيا فى جهنم » الخطاب لمالك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : ياحرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى: اضربن عنقه ، ومثله لسويد بن كراع العقيلى :

فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر   وإن تتركانى أحْمِ عِرضاً ممنعا

والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تَعْبُدِ الشيطان والله فاعبدا *

فقد جاء فى الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطا فى قوله تعالى « ليسجنن وليكونا » ومثله : « لنسفعاً بالناصية » وقول الراجز :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما   شيخاً على كرسيه معمما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبراً وضحكا ظاهرين ولا يرى مافى الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد فى الصبح المنبى : أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أتقول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع مانقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبى : تلك حال وهذه حال . . وإنى لأحسب المتنبى حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فاختصر الجواب أجزأ اختصار . . . ومراده أن الحال التى يذكرها فى البيت الثانى سابقة على الحال المذكورة فى البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما انتحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوله على

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ ... فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا(١)

تَعِسَ الْمَهَارِى غَيْرَ مَهْرِىٍّ غَدَا ... بِمُصَوَّرٍ لَبِسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرَا(٢)

كونه عاشقاً فبدا هواه ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً فى كتم الهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً فى البيت الذى يلى .

(١) الفؤاد فى الجسد بمنزلة الملك ، فلهذا جعله آمراً للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإمساك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوله دل على مافى قلبك ؛ والضمير فى قوله فكتمنه : عائد على قوله مالا يرى ـ فى البيت السابق ـ وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف تمييز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبَرِى خُذِيه عن الضنى وعن الأسى ... ليس اللِّسَانُ وإن تَلِفْتُ بمخبرِ

(٢) تعس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهارى : جمع مهرى والبعير مهرى والناقة مهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبى قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول فى الجمع : مهارى ومهار ومهارى . قال رؤبة :

به تَمطَّتْ غَوْلَ كلِّ مِيلَهِ ... بِنا حَرَاجِيجُ المَهارِى النُّفَّهِ(١)

وقوله غير مهرى : استثناء ، وغدا : أى ذهب غدوة . يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع ـ هذا الحبيب الذى لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذى يلبس الديباج منقشاً بالصور .

---

(١) قبله :

وَمَخْفَقٍ مِنْ لُهْلُه ولُهْلُه ... فى مَهْمَهٍ أطرافه فى مَهْمَهِ

أَعْمَى الهُدَى بالجاهلينَ العُمَّهِ ... بِهِ تَمطَّتْ غَوْلَ كلِّ مِيلهِ

بِنَا حَرَاجِيجُ المَهَارِى النُّفَهِ ... يَجْذِبْنَهُ بالبَوْعِ والتأوُّهِ

المخفق : الموضع الذى يخفق فيه السراب ، واللهله : المكان المستوى الذى ليس به علم ، وغول كل ميله : أى بعده يريد مكانا بعيداً يغتال المشى فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التى توله الناس وتحيرهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، وحرجيج : الناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والنفه : جمع نافه



نَافَسْتُ فِيهِ صُــورَةً فى سِتْرِهِ   لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَا[١]

لاَ تَتْرَبِ الأَيْدِى الْمُقِيمَـــةُ فَوْقَهُ   كِسْرَى مُقَامَ الْحَاجِبَــيْنِ وَقَيْصَرَا[٢]

يَقِيَانِ فِي أَحَدِ الْهَوَادِجِ مُقْـلَةً   رَحلَتْ فَكَانَ لَهَا فُؤَادِى مَحْجِرا[٣]

---

(١) يقول : إنى أنفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التى فى ستر هو دجه وأحسدها لقربها منه ، ولو كنت تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو ، فأراه ويزول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمعنى خفاء الصورة انكشاف الستر ، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب . وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جنى : لو كنت الصورة التى فى ستره لزلت حتى يظهر الذى فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشفت حتى يظهر للناس ويزول ذلك الحجاب . وقال الواحدى : أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذى فى هودجه لقربها منه ، يعنى الصورة ، ولو كنت الصورة لخفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار . وقال ابن القطاع : إنما تمنى أن يكون صورة فى سترها ليشاهدها كل وقت ، ثم قال : لو كنتها لخفيت من نحو لى فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين .

(٢) لاتترب : لا تفتقر ، ويقال ترب الرجل : افتقر وصار على التراب ، ولا تربت يداك : أى لا افتقرت « أو مسكينا ذا متربة » صار على التراب لفقره . وكسرى : لقب ملوك العجم ، وقيصر : لقب ملوك الروم . يريد أن صورة كسرى وقيصر كانت على الستر وكأنهما أقيما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور . يدعو المتنبى للأيدى التى نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب . وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

قرارتها كسرى وفى جنباتها   مهى تدّريها بالقسى الفــوارس

(٣) الهوادج : جمع هودج ، مركب النساء على الجمال ، والمحجر : ما حول العين ، يقول : إن هذين الحاجبين يصرفان السوء ــ من الغبار ، وحر الهواء وحر الشمس ــ

وهى للعيبة . وفى الحديث : نفهت نفسك : أعيت وكلت ، وقال أبو سعيد : لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منفوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد ، ويجذبنه يريد يجذبن أنفسهن فيه . وقوله والتأوه . هو مثل قول المثقب العبدى .

إذا ما قمت أرحلها بليل   تأوه آهة الرجل الحزين



قَدْ كُنتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ ... لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا(١)

وَلَوِ اسْتَطَعْتُ إِذِ اغْتَدَتْ رُوَّادُهُمْ ... لَمَنَعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا(٢)

فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابِ فِرَاقِهِمْ ... جَعَلَ الصِّيَاحَ بِبَيْنِهِمْ أَنْ يُمْطِرَا(٣)

وَإِذَا الحَمَائِلُ مَا يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ ... إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا(٤)

عن مقلة أحد الهوادج ــ يعنى هودج الحبيب ــ وكنى عنه بالمقلة ــ العين ــ لعزته ، وجعل فؤاده محجراً لتلك المقلة ، والمعنى أنها كانت ضياء قلبى بمثابة عين القلب ، فلما ارتحلت عنى عمى قلبى والتبس على أمرى وقعدت لى كمقله ذهبت وبقى المحجر ، وينظر فى هذا التشبيه إلى قول أبى تمام :

إن الخليفةَ حينَ يُظلِمُ حادثٌ ... عَيْنُ الهُدَى وله الخلافةُ مَحجِرُ

(١) الحائن : الهالك . يقول : كنت أحذر بينهم ــ بعدهم وفراقهم ــ قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المحذور ، لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٢) الرواد : جمع رائد ، وهو الذى يرتاد لأهله الكلأ والماء ، واغتدت مثل غدت : أى ذهبت غدوة . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يجدوا ماء ولا كلأ يرتحلون إليهما للانتجاع .

(٣) قال الواحدى : هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره ، كأنه قال : لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال ، فإذا السحاب ــ الذى هو أخو الغراب فى التفريق ــ أبعدهم عنا . جعل السحاب أخا الغراب ، لأنه سبب الافتراق عند الانتجاع وتتبع مساقط الغيث فى الربيع كعادة أهل العير السيارة ، ولما جعله أخا الغراب جعل المطر كصياح الغراب ، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم ، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال فى تتبع الغيث . فالسحاب ــ فى قوله : فإذا السحاب مبتدأ ؛ وأخو غراب فراقهم : نعت له ، وجملة جعل الصياح : خبر ، ولك أن تجعل أخو : خبر عن السحاب وجعل الصياح : خبراً آخر عنه .

(٤) الحمائل ــ بالحاء المهملة ــ جمع حمولة ، وهى الإبل يحمل عليها ؛ وهذه رواية ابن جنى ؛ وروى غيره : الجمائل ــ بالجيم ــ جمع جمالة ، جمع جمل . ويخدن : من الوخد ، وهو ضرب من السير سريع ؛ والنفنف : المفازة والمهوى بين جبلين . يقول: كلما مرت جمالهم بأرض مخضرة بالكلأ بدت عليها آثار سيرها ، فكأنما شقت ثوباً أخضر . والمعنى: أنهم فارقونا أيام الربيع عند اخضرار الأرض. أو تقول : كثر الخصب

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرَّوْضِ إِلاَّ أَنَّهَا ... أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وَجُؤْذُرَا(١)

فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتِي رَاحَتِي ... ضَعْفاً وَأَنْكَرَ خَاتَمَايَ الْخِنْصِرَا(٢)

أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ ... وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا(٣)

أمامهم ، فكانت ركابهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كسته الخضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشق فى الثوب .

وفى هذا نظر إلى قول الآخر :

فكأنما الأنواء بعدهم ... كست الطلول غلائلاً خُضْرا

(١) يقول : إن هذه الإبل تحمل هوادج مثل الرياض — أى اريئت بالأنماط والديباج ، فكانت مثل الرياض فى تلون أزهارها — غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجآذرها . — يعنى : الحبائب — أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجآذرها والمهاة البقرة الوحشية . تشبه بها النساء لحسن عيونها ؛ والجؤذر : ولد المهاة قال الواحدى : قوله إلا أنها : رواها ابن جنى : إلا أنه ، كناية عن المثل ، والناس يروون « أنها » ، لأن مثل الروض روض. فالضمير على الروايتين : لمثل ، إلا أن ابن جنى رده على اللفظ. وغيره رده على المعنى . والبيت ينظر إلى قول أبى تمام :

خرجن فى خضرة كالروض ليس لها ... إلا الحُلِىّ على أعناقها زَهر

وقد سبق الجميع عدى بن زيد . إذ يقول :

لمن الظعْنُ كالبساتين فى الصبـ ... ـح نرَى بينها أثيثاً نضيرا

[الأثيث : النبات الملتف] .

(٢) بلحظها من إضافة المصدر إلى مفعوله : أى فبلحظى إياها ؛ ونكره وأنكره: بمعنى ، ضد،عرفه ؛ وضعفاً : مفعول لأجله . يقول : بسبب نظرى إلى هذه الهوادج يوم الفراق صرت ضاويا مهزولا حتى أنكرت قناتى يدى لضعفها عن حملها ، وأنكر خاتمى خنصرى لأنه صار يقلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم .

(٣) هذا تمهيد للتخلص من النسيب للمديح . قال الواحدى . يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفعاً وبعد همة : أى أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك . والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقنى بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان ، فإنك إذا ملكتنى ملكت الزمان بما فيه .



أَرَجَانَ أَيَّتُهَا الْجِيَــــادُ فَإِنَّهُ عَزْمِى الَّذِى يَذَرُ الْوَشِيجَ مُكَسَّرَا(١)

لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعَالَهُ مَاشَقَّ كَوْكَبُكِ الْعَجَاجَ الأَكْدَرَا(٢)

أُمِّى أَبَا الْفَضْــلِ الْمُبِرَّ أَلِيَّــتِى لأُيَمِّمَنَّ أَجَلَّ بَحْرٍ جَوْهَرَا(٣)

أَفْــتَى بِرُؤْيَتِهِ الأَنَامُ وَحَاشَ لِى مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّراً أَوْ مُقْصِرَا(٤)

صُغْتُ السِّوَارَ لِأَىِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ بِابْنِ الْعَمِيــدِ وَأَىِّ عَبْدٍ كَبَّرَا(٥)

---

(١) أرجان : أى اقصدى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد الممدوح ــ بلد بفارس ــ بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة ــ والضمير فى أنه : للشأن . والوشيج : شجر الرماح . يقول لخيله : اقصدى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئا يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الرماح بقوته ؛ يعنى أن الرماح لا تعوقنى عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) الفعال : الفعل ؛ وكوكب الخيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : الغبار ؛ والأكدر . الكدر . يقول لخيله : لو فعلت ما تريدين ماركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجمام والراحة ، وهو يتعبها بالأسفار .

(٣) أمى: اقصدى ؛ والألية . اليمين؛ وأبر يمينه وبر فى يمينه: صدق . يقول : اقصدى أيتها الخيل هذا الممدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرا ؛أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) يقال قصر عن الشىء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول: أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقا لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيها له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشاك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان للفعول ، كما تقول تنزيها لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى «حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التنحى ، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استثنيته وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحليها

إنْ لَمْ تُغِثْنِي خَيْلُهُ وَسِلاَحُهُ فَمَتَى أَقُودُ إلى الأعادِي عَسْكَرَا[١]

بِأَبِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى[٢]

مَنْ لاَ تُرِيهِ الْحَرْبُ خَلْقاً مُقْبِلاً فِيهَا وَلا خَلْقٌ يَرَاهُ مُدْبِرَا[٣]

خَنْثَى الْفُحُولَ مِنَ الْكُمَاةِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعَصْفَرَا[٤]

به ؟ وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً ببر قسمى ؟ .

(١) قال الواحدى : هذه إشارة إلى أنه يمده بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بأبي وأمى : أى أفديه بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتى من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تجعل القلوب أثماناً لها لم توجد بغيرها . وقوله: تباع وتشترى. أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكها ،وإن شئت جعلت الشراء بيعا فيكون مكرراً بلفظين معناهما واحد . قاله الواحدى .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقائه فى الحرب تهيبا له ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله« من » : بدل من ناطق .

(٤) خنثى الفحول : أى صيرهم خنائى ؛ والكماة : جمع كمى ، وهو المستتر فى الحديد ؛ والمعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفرا : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطالهم الفحول خنائى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المعصفرة التى يلبسها النساء والمخنثون«هذا» وقد قلنا : إن معنى خنثى الفحول : أى جعلهم وصيرهم مخنثين ، فهو فعل ماض . قال العكبرى : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنثث ، فكرهوا اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى خنطى وغنظى : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى تقضى البازى وقصيت أظفارى . وتظنى : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للالحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا: لاتدخل حروف الزوائد فى الإلحاق ألبتة . وإنما تدخل فى الإلحاق : الحروف الأصلية التى هى فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : دردج : للناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للالحاق

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ   شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرَا[١]

وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ   تِيهُ الْمُدِلِّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا[٢]

يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كِتَابُهُ   قَبْلَ الْجُيُوشِ ثَنَى الْجُيُوشَ تَحَيُّرَا[٣]

بجعثن ، وهى أصول الصليان[١] والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للالحاق بجعفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للالحاق ببرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للالحاق وفى رضوى وسلمى للتأنيث ، ثم نقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهمى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للالحاق . وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهماة وعلقاة وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه . وعبارة ابن جنى : قلمه أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحترى :

وأقلام كتابٍ إذا ما نَصَصْتَها   إلى نَسَبٍ صارت رِماحَ فوارس

(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والتيه : الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمسهُ ببنانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بمسه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء ينذرهم ويتوعدهم فعل كتابه فعل الجيش فردهم حائرين متلددين خوفا وذعرا لبلاغة كلامه وشدة وعيده . وعبارة الواحدى : يسحرهم ببيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتاباً لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

---

(١) الصليان : نبت .



أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا ارْتَكَبْتَ طَرِيقَةً
وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا[١]

قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ
وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا[٢]

فَهُوَ الْمُشَيَّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى
وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا[٣]

تكفى عن النّبل أحياناً مكايدُهُ
وربما خانَت أقلامهُ الأســلا

ومثله لآخر :

فى كلِّ يوم له جُنــدٌ مُوَجَّهةٌ
من المكايد تطوَى فى الطوامير

(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الاسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة : يروى ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد فى كل طريقة تأتيها وتحاولها لا يقدر أحد أن يحذو حذوك فى طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفا له . يعنى أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك عليها مخافة تقصيره فيفتضح ، قال الواحدى : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبا ـ يريد أنه مفعول ركبت ـ ويجوز أن يكون حالا للممدوح : أى لا يقدر أحد أن يكون رديفا لك وأنت غضنفر .

(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعها وإدراكها فهى خداج ليست بحلوة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور ـ أزهر ـ وبلغ أناه فهو حلو معسول قد بلغ الغاية فى الحسن والكمال ، ويروى : قبل نباته ، قال العكبرى : أى قبل تمامه .

(٣) يقول : إن مسامع الناس تشيع قولك ـ أى تتبعه ـ فى مسيره إذا انفصل من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه حبا له وشغفا به . وإذا كرر ازداد حسنه ، على خلاف ماعهد من الكلام : فإنه إذا أعيد سمج ، وإذا تكرر تكرج[١] وفى هذا نظر إلى قول أبى نواس:

---

(١) من تكرج الطعام والخبز : فسد وتعفن .



وَإِذَا سَكَتَّ فَإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الأَصَابِعَ مِنْبَرَا(١)

وَرَسَائِلٌ قَطَعَ العُدَاةُ سِحَاءَهَا

فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوَّرَا(٢)

فَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا

وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الأَكْبَرَا(٣)

خَلَقَتْ صِفَاتُكَ فِى العُيُونِ كَلَامَهُ

كَالخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعَىْ مَنْ أَبْصَرَا(٤)

يَزيدُك وجهه حسنا إذا ما زِدته نظرا

ويقول البحترى :

مُشرِق فى جوانب السمع لا يُخْـ لقه عَوْدُه على المستعيد

والمشيع : يروى المتبع .

(١) يقول : إذا سكت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .

(٢) ورسائل : عطف على قلم — فى البيت السابق — والسحاء : مايشد به الكتاب من أدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثنى الجيوش تحيرا يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا وييأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح فى دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب فى جواب كتاب ملك الروم : قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرؤه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هل تذْكرينَ إذ الرسائلُ بيْننـا

تجرى على الورق الذى لمْ يُغرْسِ

أيامَ أسرارى لديك وسرّكم يهْدَى إلىَّ مع الفصيح الأخرس

« ويريد بالورق الذى لم يغرس: البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الأخرس : الكتاب» .

(٣) و (٤) المسمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة

أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ   نَقَلَتْ يَداً سُرُحاً وَخُفّاً مُجْمَرَا[1]

تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا   طَلَباً لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا[2]

التى آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظا ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيده بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهى تلك التى خصك الله بها فى الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه ــ جل شأنه ــ دعاك الأكبر قولا من حيث دعاك فعلا ، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخاطب ، ومن أعلم خطا فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ماخصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلقت صفاتك : تبيين لقوله: ودعاك خالقك الرئيس الأكبر.

(١) السرح : السهلة السير ؛ والمجمر : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجمر : أى خفيف سريع . قال الخوارزمى : أراد خفا خفيفا فلم يوافقه اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافقه فهو تجنيس معنوى . يذكر المتنبى علو همة ناقته حين قصدته وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علوهمته هو لأنه يحمل ناقته فى السير مالا يطيق أمثالها:

(٢) الرمث : نبت يوقد به . يشبه الغضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث ــ بالفتح والتحريك ــ فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه فى البحر ، والجمع أرماث . قال أبو صخر الهذلى :

تَمَنَّيتُ مِنْ حُبِّى بُثَيْنَةَ أننا   على رَمَثٍ فى الْبحر ليس لنا وَفْرُ

(وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأنت قوما وقودهم العنبر ، يعنى الممدوح . وهذا من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا   أرضاً ترب الشيحَ والقيصوما



وَتَكَرَّمَتْ رُكَبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكًا أَذْفَرَا(١)

فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الأَظَلِّ كَأَنَّمَا
حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا العَقِيقَ الأَحْمَرَا(٢)

بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا
وَجَدَتْهُ مَشْغُولَ اليَدَيْنِ مُفَكِّرَا(٣)

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطَالِيسَ وَالإِسْكَنْدَرَا(٤)

---

(١) الأذفر : أى الذكى الرائحة . يقول : تكرمت ناقتى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر . يريد أن العنبر بحضرة الممدوح يوقد به والمسك ممتهن عنده بحيث يبرك عليه البعير ؛ والركبات : جمع ركبة ، وإنما هى اثنين بدليل قوله تقعان . قال العكبرى ركباتها جمع ركبة ، وإنما هى اثنين وهو كقوله جل وعلا « فقد صغت قلوبكما » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان ؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركبة ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من المفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان .

(٢) الأظل : باطن خف البعير ؛ وحذيت : أى جعل لها حذاء ، وهو النعل . يقول : أتتك الناقة وقد دميت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها انتعلت العقيق الأحمر ، كما قال الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهِنَّ بِالمَوْمَاةِ أَيْدِي جَوَارٍ بِتْنَ نَاعِمَاتِ

أى تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى .

(٣) بدرت : سبقت . يقول : سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكأنها وجدت الزمان مشغولا عنها فانتهزت الفرصة فى قصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات .

(٤) بعدها : أى بعد الأعراب . يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم

وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِى
مَنْ يَنْحَرُ الْبِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى(١)
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ
مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّراً(٢)

رأيت عالماً هو فى علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو فى سعة ملكه كالإسكندر ؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبى استعماله : حذف بعضه ، فإن العرب تجترئ على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم فى كثرة حروفه لا يوجد فى كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشراء ، وهى فى الأصل : التى لحملها عشرة أشهر ، والمراد هنا : النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدرة ، وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة ؛ والنضار : الذهب . يقول : مللت فى صحبة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافنى من يجعل قراه بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر فى البدر لذكره نحر العشار ، ومعنى نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بِعَالِيَةِ العِرَاقِ قِبَابُهُ
يَقْرِى الْبُدُورَ بِها وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد ببطليموس فى علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه — أى يتكلم بالعلوم التى فيها — وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة البدو ، وظرافة الحضر . قال الواحدى: وبطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للمشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياه بذكائه وجودة قريحته . ويكون التقدير سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون دارس كتبه : مفعولا ثانيا ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الْإِلٰهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا(١)

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا(٢)

يَالَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا
نَظَرَتْ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرَا(٣)

---

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكأن الله أحياهم ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان فى جميع الفضلاء . وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

أَتَيْتُهُ وأنا المَملوء مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزمانِ فَسَرَّى عَنِّيَ الغضبا
فلو حلفتُ لما كُذِّبْتُ يومئذ
أنى لقيت هناك العُجْم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلك : فاعل أتى . وهى حكاية قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفاضلين قد تتابعوا متقدمين عليك فى الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت منهم بمثابة إجمال الحساب الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب فى آخرها : فذلك كذا وكذا . وعبارة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء فى الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك فى الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم : مثل الحساب تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب فى آخر الحساب ؛ فذلك كذا وكذا : فجمع فى الجملة ماذكر فى التفصيل ، كذلك أنت : جمع فيك من الفضل مافرق فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفِى النَّاس مِمَّا خُصِصْتُمْ بِهِ
تفاريق لَكِنْ لكُمْ مُجْتَمِع

(٣) يقول : ليت الباكية التى بكت على فراقى وأحزننى بكاؤها رأتك كما رأيتك ، لتعذرنى فى فراقها وركوب الأهوال والأخطار فى سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال العكبرى : نصبها على جواب التمنى بإضمار « أن » عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا .

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لا تَرُدُّ فَضِيلَةً
أَلشَّمْسَ تُشْرِقُ وَالسَّحَابَ كَنَهْوَرَا[1]
أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلاً
وَأَسَرُّ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتْجَرَا[2]

---

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان لترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ماعهدنا فى المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك الممدوح فى حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور فيضاً ، فقد اجتمعان فى وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور فى الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد :أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال فى هذا المعنى محمد بن على بن بسام :

أَلشَّمْسُ غرتهُ والغيْثُ رَاحتهُ . فَهل سَمِعْتم بِغيْثٍ جاء مِنْ شَمْسِ

وأوضحه ابن الرومى فقال :

يُلْقى مُغِيا مُشْمِساً فى حَالةٍ هَطِلَ الإغامَةِ نَيِّرَ الإشْمَاسِ

وقال أيضاً :

لِكلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيهِ وَوَجْهِهِ
مَدَى الدهْرِ يَوْمٌ غائمُ الجوِّ شَامِسُ

وتبعه البحترى فقال :

وأَبْيَضَ وَضّاحٍ إِذَا مَا تغيَّمَتْ يَدَاهُ تَجلى وجْهُهُ فَتقَشَّمَا

وقال الرضى :

أَمْطَرُوا الجودَ مضِيئاً بِشرِهِمْ فرأيناهمْ شُمُوساً وغماما

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلتى إذ أدتنى إليه ، وتجارتى أربح من تجارة غيرى إذ اشترى شعرى بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله مالم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله :وأسر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى

زُحَلٌ عَلَى أَنَّ الكَوَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرَا[1]

أخفتنى بسراها ليلا حتى أتيتك؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها. وقوله: منزلا وما بعده، منصوب على التمييز، والمتجر: ما يتخذ للتجارة.

(١) جعل الكواكب المحيطة بزحل: كالقوم له، إذ أنه يسمى شيخ النجوم. يقول: لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم: يعنى أن قوم الممدوح ورهطه أشرف من النجوم. هذا وقوله زحل: مبتدأ، وقوله: لو كان منك الخ، خبر، والمعشر والعشيرة: قوم الرجل وأهله.

قافيـة الزاى

وقال بدمشق يمدح أبا بكر على بن صالح الروذبارىّ الـكاتب :

كفرِنْدِى فِرِنْدُ سَيْفِى الْجُرَازِ   لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَازِ [1]

تَحْسَبُ الْمَــاءَ خَــطًّ فى لَهَبِ النَّا   رِ أَدَقَّ الْخُطُوطِ فِى الأَحْـــرَازِ [2]

كُلَّمَا رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النَّا   ظِرَ مَوْجٌ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِى [3]

---

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه ، معرب دخيل، والجراز: القاطع . والبراز : مبارزة الأقران فى الحرب . يقول : إن سيفى يشبهنى فى المضاء ، وهو حسن فى مرآة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

فى كلِّ جوهرة فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ   وهم الفرِنْدُ لهؤلاء النــاسِ

(٢) الأحراز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقى . سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدنى الخطوط فى الأحراز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحراز . وهذا ينظر إلى قول القائل :

ماضٍ ترَى فى مَتْنِهِ   ماءً بِنارٍ مُخْتَــلِطْ

ومثله :

كأنه فى طَبــعِهِ   واللونِ ماءٌ ولَظَى

(٣) هازى : أصلها هازئ ـ بالهمز ـ خفف للقافية : يقول : كلما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وبياضه الذى يتردد فيه كالموج فكأنه يهزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

وكأن الفرِنْدَ والرَوْنَقَ الجــارِىَ فى صِفحتَيْهِ ماءٌ مَعين

ولابن أبى زرعة :

متردِّد فيــه الفرِنْــدُ تَردُّدَ المــاء الزُّلال

وَدَقِيقٌ قَذَى الْهَبَــاءِ أَنِيقٌ مُتَوَالٍ فِى مُسْــتَوٍ هَزْهَازِ[1]
وَرَدَ الْمَــاءَ فَالْجَوَانِبُ قَدْراً شَرِبَتْ وَالَّتِى تَلِيهَا جَوَازِى[2]

هذا : ويقال هزءاً به يهزأ هزأ وهزؤا ومهزأة وتهزأ به واستهزأ : سخر، ورجل هزأة — بالتحريك — يهزأ بالناس ، ورجل هزأة بالتسكين — يهزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقال سخرت بك.

(١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لمحذوف : أى وفرند دقيق . والقذى فى الأصل : مايقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالمفعول — على حد قولك: زيد حسن وجه الأب — والهباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن المعجب . والتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لمحذوف . أى فى صفح، أومتن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويجىء ، ويقال : سيف هزهاز وهزاهز : كأن ماءه يذهب عليه ويجىء ، وروى ابن جنى : قدى الهباء : من قولهم قدى رمح ، وقاد رمح، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازى : أصلها الهمز ، جمع جازئة : من قولهم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب — أى بالخضرة — عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشماخ بن ضرار :

إذا الأرْطَى تَوَسَّــدَ أَبْرَدَيهِ خدودُ جَوَازِىء بالرمل عِينِ[1]

وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ فقدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يلينها ، أما ما يليها من المتن فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك المتن ليكون أثبت عند الضرب فلا ينقصف .

---

(١) الأرطى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أبرديه : أى اتخذ الأرطى فى أبرديه كالوسادة ، والأبردان : الظل والفىء ، سميا بذلك لبردهما ، والابردان أيضاً : الغداة والعشى ، وانتصاب أبرديه : على الظرف ، والأرطى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأرطى فى أبرديه ، والجوازى : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين



حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حتى هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَــرَّازِ[1]
وَهْوَ لاَ تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارَيْــهِ وَلاَ عِرْضَ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِى[2]

---

(١) الحمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخرز الحمائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدى عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

حَمَلَتْ حمائلُهُ القديمةُ بَقْلَةً من عهدِ عادٍ غضة لم تَذبُلِ

(٢) غراراه : حداه ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، وانتضى السيف : سله ،والمخازى جمع مخزاة ، مايخزى به الإنسان . يقول: إن سيفى لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطخ . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه ـ يعنى نفسه ـ لحسن بلائه عند الوغى . وهذا من قول الأول :

بكلِّ حُسامٍ كالعقيقةِ صارِمٍ إذا قَدَّ لم يَعْلَقَ بصفحتِهِ الدمُ

هذا ، ولذكر العرض نورد ما أورده العكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال ــ وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهرى صاحب الصحاح : ــ والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقى العرض : برىء من أن يشتم ، والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتغوطون ولا يبولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » أى من أجسادهم ، والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لَعِرضٌ مِنَ الأعراضِ يُمسى حَمَامُهُ ويُضْحِى على أفنانِهِ الغِينِ يَهتِفُ
أَحَبُّ إلى قلبى مِنَ الدِّيكِ رنةً وبابٍ إذا ما مال للغلق يَصْرِفُ

---

(١) الغين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة، وصريف الباب : صريره.



يا مُزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّى وَرَوْضِى
يَوْمَ شُرْبِى وَمَعْقِلِى فى الْبَرَازِ[1]

وَاليمَانى الَّذِى لَوِ اسْطَعْتُ كَانَتْ
مُقْلَتِى غِمْدَهُ منَ الإِعْزَازِ[2]

---

(١) البراز : الخلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه — : أنت تزيل عنى الظلام بصفائك ورونقك : يعنى أنه يستصبح ببريقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كالظلام ، وأنت روضى يوم شربى : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروضى يوم أشرب دماء الأعداء ـ أى يوم الحرب ـ هو أنت ، وذلك لخضرته ، والسيف يوصف بالخضرة ، كما قال الحمامى فى مقصورة له :

مُهَنَّد كأنمــا طَنَّاعُهُ أشْرَبَهُ بالهند ماءَ الهِنْدَبَا[1]

ومثله للبحترى :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ القديمةُ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عادٍ غَضَّةً لم تَذْبُلِ

ثم قال المتنبى : ويا حصنى الذى أتحصن به وأذود عن نفسى فى البراز : أى الصحراء وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزازى له وإبقائى عليه لو استطعت لجعلت عينى غمداً له ، واليمانى : أى المنسوب إلى اليمن ، والأفصح : يمنى ويمان ، لأن الألف عوض من ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانى ـ بالتشديد ـ قال أمية بن خلف :

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُــدُّ كِيراً وينفُخُ دائماً لَهَبَ الشــواظِ

وقال العكبرى : اليمانى فى موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ، ويا اليمانى ، ثم قال : وهو جائز عندنا ـ يريد الكوفيين ـ أن ينادى ما فيه التعريف نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبى البصريون ذلك . وحجتنا أنه قد جاء فى أشعارهم وكلامهم ، قال الشاعر :

---

(١) الهندبا ـ يمد ويقصر ـ بقلة من أحرار البقول .

إنَّ بَرْقِي إذَا بَرَقْتَ فَعَالِي ... وَصَلِيلِي إذَا صَلَلْتَ ارْتِجَازِي (١)
لَمْ أُحَمِّلْكَ مُعْلَماً هٰكَذَا إلاَّ ... لِضَرْبِ الرِّقَابِ وَالأَجْوَازِ (٢)
وَلِقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا ... فَكِلاَنَا لِجِنْسِهِ الْيَوْمَ غازِي (٣)

فيا الغُلامَانِ اللذان فرّا ... إيا كما أن تكسبانا شرّا (١)

وقال الآخر :

فَدَيتُكِ يا التى تَيَمَّتِ قلبى ... وأنت بخيلة بالوصل عنى (٢)

ويدل على صحة قولنا : إجماعنا على أنه يجوز أن يقال فى الدعاء : يا الله ، والألف واللام فيه زائدتان . وحجة البصريين أن الالف واللام للتعريف ، وحرف النداء يفيد التعريف ، وتعريفان فى كلمة لايجوز .

(١) الفعال : الفعل الحسن ، والصليل : الصوت ، والارتجاز : قول الرجز من الشعر . يقارن ما بين سيفه ونفسه ؛ يقول : إذا كان لك برق ، فهناك فعالى بإزائه ، وإذا ارتفع صليلك — صوتك — فى الضريبة . فإن صليلى هو إنشادى الأراجيز من شعرى .

(٢) المعلم : الذى قد شهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها ، وهو مما كانت تفعله الأبطال من العرب ؟ ومعلماً : حال من المتكلم ؛ والأجواز : الأوساط ، جمع جوز ، يقول : لم أحملك فى الحرب لزينة ، وإنما لضرب الرقاب وأوساط الرجال . وروى : ولم أحملك . ، قال العكبرى : حرك الساكن وحذف الهمزة ، وهى لغة جيدة جاءت فى أشعارهم وخطبهم وكلامهم .

(٣) يقول : ولم أحملك إلا لأقطع بك الحديد الذى على الرقاب والأجواز

---

(١) هذا البيت والذى بعده شائعان فى كتب النحو ولم يعرف لهما قائل ولا ضميمه وإيا كما : تحذير ، وأن تكسبانا : أى من أن تكسبانا ، وماضيه كسب : يتعدى إلى مفعولين يقال كسبت زيداً مالا وعلماً : أى أنلته . قال ثعلب : كلهم يقول كسبك فلان خيراً إلا ابن الأعرابى ، فإنه يقول : أكسبك ، بالألف .

(٢) قوله فديتك : يروى من أجلك . أى من أجلك قاسيت ما قاسيت مثلا وقوله: تيمت كان القياس أن يقول تيمت بتاء التأنيث على الغيبة ، لكن جاء على نحو

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره

والقياس : سمته ، وجملة أنت بخيلة : حال عاملها « تيمت » .



سَلَّهُ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ ... فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ (١)

وَتَمَنَّيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّى ... طَالِبٌ لِابْنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَازِى (٢)

لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوذْبَارِ ... ىِّ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِبَازِ (٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمغافر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلانا يغزو جنسه .

فقوله :ولقطنى : عطف على قوله لضرب الرقاب ،وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقاض وقضاة ، وغزى – بتشديد الزاى – مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فعيل مثل حاج وحجيج وفاطن وفطين . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغَزِىِّ إذا غزَوْا ... والباكرين وللمُجدِّ الرائح

وغزاء أيضا بالمد : مثل فاسق وفساق ، قال تأبط شرآ :

فيوماً بغُزَّاء ويوماً بِسُرْبَةٍ ... ويوماً بخشخاشٍ من الرجْل هيضل

« سرية : اسم من الأسراء ، والخشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله القصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والغيث : المطر . يقول : ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لمعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة المتوكل :

إذا أُوقِدَتْ نارُها بالعِرَاق ... أضاء الحجازَ سَنا نارِها

والأصل قول الوائلى :

ما سَلَّه أهلُ الحجاز لحاجةٍ ... إلا يُبَشِّرُ بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيهم طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .

(٢) يوازى : يعادل ويماثل . وابن صالح : هو الممدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفى ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن المخالص .

(٣) السراة : جمع سرى — الشريف — والرذبارى : الممدوح ، نسبة إلى بلد



فَارِسِیٌّ لَه مِنَ المَجْدِ تَاجٌ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوَازِ[١]

نَفْسُهُ فَوْقَ كلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ
وَلَوَ أَنِّی لَهُ إلَى الشَّمْسِ عازِی[٢]

وَكَأَنَّ الفَرِيدَ وَالدُّرَّ وَالْيَا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ[٣]

شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ المَعَالِی
عَنْ حِسَانِ الوُجُوهِ وَالأَعْجَازِ[٤]

أبيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بينهم كالبازى بين سائر الطير : أى ليس أحد مثل هذا الممدوح الذى قد جمع ما تفرق فى غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسى :

بُغاثُ الطير أكثرها فراخا ... وأمُّ الصقر مِقْلاتٌ نزورُ

(١) أبرواز : هو أبرويز أحد الأكاسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كعادة العرب تتصرف فى الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز ، يريد أنه معرق له عظامى .

(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حتى لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .

(٣) وسام الركاز : عطف على الفريد. والفريد :الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الركاز لأن الركاز معدن الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه .

(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شىء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو المعالى ، لا مغازلة النساء . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً ... فما زلتَ بالبِيضِ القواضِبِ مغرما
ومن تيَمَّتْ سُمرُ الحسانِ وأدْمُها
فما زلتَ بالسمر العوالى مُتيَّما

تَقْضَمُ الجَمْرَ وَالحَدِيدَ الأَعَادِى
دُونَهُ قَضْمَ سُكَّرِ الأَهْوَازِ[١]

بَلَّغَتْهُ البَلاَغَةُ الجُهْدَ بِالعَفْوِ وَنَالَ الإِسْهَابَ بالإِيجَازِ[٢]

حَامِلُ الحَرْبِ وَالدياتِ عَنِ القَوْ م وَثِقْلِ الدُّيُون وَالإِعْوَازِ[٣]

ويقول :

عَدَاكَ حَرُّ الثغورِ المُسْتضامة عن بَرْدِ الثغورِ وعن سَلْسالِها الحَصِبِ[١]

(١) القضم : أكل الشيء اليابس . والأهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول : لحنق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما يقضم السكر . وهذا من قول الأعشى :

فَعَضَّ حَدِيد الأرض إن كنت ساخِطاً
بِفيكَ وأحجارَ الكُلابِ الرَّواهِصا[٢]

وقول أبى العتاهية :

كأن المطايا المُجْهَدَاتِ من السُّرَى إلى بابه يَقْضَمن بالجهد سُكَّرا

(٢) العفو : الميسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد: المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة مايبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية . وينال بإيجازه فى القول ما ينال غيره بالإسهاب وما أجمل قول البحترى :

فى نظام من البلاغة ماشك امرؤ أنه نظامُ فريد
حُزْنَ مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد

(٣) الديات : جمع دية ، مايؤخذ من القاتل عن القتال . والإعواز: الحاجة والفقر.

---

(١) سلسالها : يريد ريقها ، والحصب : الذى فيه الحصباء ، وهى صغار الحصى .

(٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام — اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواهص : صفة للأحجار ، وهى الثابتة الملتزقة المتراصفة .

كَيْفَ لاَ يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشَكَّوْا وَبِهِ لاَ بِمَنْ شَكَاهَا الْمَرَازِى(١)

أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءِ وَمَا فِيهِ مَبِيتٌ لِمَالِكَ الْمُجْتَازِ(٢)

بِكَ أَضْحَى شَبَا الأَسِنَّةِ عِنْدِي كَشَبَا أَسْوُقِ الْجَرَادِ النَّوَازِى(٣)

وَانْثَنَى عَنِّيَ الرُّدَيْنِيُّ حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْحُرُوفِ فِي هَوَّازِ(٤)

وَبِآبَائِكَ الْكِرَامِ التَّأَسِّي وَالتَّسَلِّي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِي(٥)

---

(١) المرازى : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله الهمز . وخفف للضرورة وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إنى لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزيئة أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار . ساحتها ، والمجتاز : الذى يجوز بالمكان ولا يعرج عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعنى أنه معطاء يبذل ماله فلا يبقى عنده .

(٣) شبا الأسنة : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنوازى ـ من قولك نزا الجراد ينزو ـ وثب . يقول : لما صرت فى جوارك واعتصمت بك صرت لا أكترث لعدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح فى نظرى كساق الجرادة لقلة مبالاتى به .

(٤) قوله فى هواز : أراد فى هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت، كما قال أبو حنش فى البرامكة :

أَبُو جَادُهُم بَذْلُ النَّوَى يُلْهِمُونَهُ وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ

وإنما هو أبجد . يقول المتنبي : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف المدورة فى هوز ، وهى الهاء والواو والزاى ؛ والجيد فى تعطف الرماح قول أبى العلاء المعرى :

وَتَعَطَّفَتْ لَعِبَ الصِّلاَلِ مِنَ الأَسَى فَالزُّجُّ عِنْدَ اللَّهْذَمِ الرَّعَّافِ

(يقول المعرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتتلوى إذا لعبت حتى تجمع رءوسها إلى أذنابها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها) .

(٥) التأسى : التعزى ؛ والتعازى : جمع تعزية . يقول : إنما يتعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فاذا ذكرنا فقدهم : هان علينا فقدمن بعدهم .



تَرَكُوا الأرضَ بَعْدَ ما ذَلَّلُوها   وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلاَ مِهْمَازِ[١]
وَأطَاعَتْهُمُ الْجُيُوشُ وَهِيبُوا   فَكَلاَمُ الْوَرَى لَهُمْ كَالنُّحَازِ[٢]
وَهِجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَآيَتْـــكَ عَدِيدَ الْحُبُوبِ فى الأقْوَازِ[٣]

---

(١) المهماز : حديدة تجعل فى عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع فى المشى . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض وانقادت لهم انقياد الدابة الذلول التى تمشى بغير مهماز .

(٢) النحاز : داء يصيب الإبل والغنم فى صدورها يشبه السعال . وهيبوا : أى هابهم الناس . قال ابن جنى : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة الجيوش إياهم صاروا لا يعبأون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت .

(٣) وهجان : أى ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : الكرام الخالصة النسب ، وتآيتك وتأيتك : أتت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشىء وتآياه : أى تعمد آيته ، أى شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الحُصْنُ أدْنَى لو تَأَيَّيْتِهِ   مِنْ حَثْيِكِ التربَ على الراكبِ[١]

وقال لقيط بن معمر الأيادى :

أبنـــاء قومٍ تآيَوْكم على حَنَقٍ   لا يَشْعُرُونَ أضرّ اللهُ أمْ نَفَعَا

وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إذا ما تأتّى يُريد القيامْ   تهادَى كما قد رأيتَ البَهيرَا[٢]

موردين إياه إذا ما تآيا ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ما تأتى ؛ وتأتى للشىء : تهيأ له والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الرابية . يقول : رب رجال كرام على إبل كريمة قصدوك فى مثل عدد حبات الرمل كثرة ،

---

(١) هذا البيت لامرأة تخاطب ابنتها ، وقد قالت لها :

يا أمّتِى أبصرنى راكبٌ   يسير فى مُسْحَنفر لاحِبِ
مازلتُ أحثُو الترب فى وجهه   عمداً وأحمِى حوزَةَ الغائب

فقالت لها أمها : الحصن ... الخ ... ...

(٢) بهيراً : أى مبهورا ، أى أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعياء .



صَفَّهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ ... فَوْقَ مِثْلِ الْمُلَاءِ مِثْلَ الطِّرَازِ (١)

وَحَكَى فِي اللُّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْرِ ... فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ (٢)

كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ ... عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالإِنْجَازِ (٣)

مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ ... وَاضِعُ الثَّوْبِ فِي يَدَيْ بَزَّازِ (٤)

وَلَنَا الْقَوْلُ وَهْوَ أَدْرَى بِفَحْوَا ... هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الإِعْجَازِ (٥)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ ... شُعَرَاءٌ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازِ (٦)

---

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الريطة ذات لفقين ، والإزار ؛ والطراز : ما يكون فى الثوب من النقش ، فارسى معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً فى سيرها على سعة الفضاء بطراز ـ نقش ـ على ملاءة . وإذا كان هناك فى هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لبياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان فى بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت فى السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَذَرُ المطِىَّ ورَاءَهَا فكأنها ... صَفٌّ تقدَّمُهنَّ وهْى إمامُ

(٢) فاعل حكى : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعنتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز : المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكى ـ ماثل ـ فى ذلك جودك فى إهلاك المال .

(٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعدته ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

صَدَقْتَ ظنى وَصَدَقْتَ الظنونَ به ... وحَط جودُكَ عند الرحَل عن جَمَلى

(٤) القريض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : نقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جنى : أى ينسب إلينا القول وهو أعلم بمعناه وأولى منا أن يأتى فى القول بالمعجز .

(٦) الخازباز ـ ببناء الجزأين على الكسر ـ حكاية صوت الذباب ، ثم سمى به الذباب



وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا
وَهْوَ فِى الْعُمْيِ ضَائِعُ الْعُكَّازِ[1]

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيرك لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديئه ، فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن . هذا : وإليك عبارة اللسان فى الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول فى ذلك ، قال : والخازباز : ذباب ، اسمان جعلا واحدا ، وبنيا على الكسر لا يتغير فى الرفع والنصب والجر ؛ قال عمرو بن أحمر :

تَفَقَّأَ فَوقه القَلَعُ السوارى وجُنَّ الخازبازِ به جنونا

« الخازباز » وسمى الذبان به — وهما صوتان جعلا واحداً — لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أَرْعَيْتها أَكْرَمَ عُودٍ عُودا الصِّلَّ والصِّفْصِلَّ واليَعْضِيدا
والخازبازِ السنِمَ المَجُودا بحيث يدعو عامر مسعودا

« نبت سنم مرتفع ، وهو الذى خرجت سنمته ، وهو ما يعلو رأسه كالأكليل ، والمجود الذى أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان « وكل من الصل والصفصل واليعضيد نبات » والخازباز — فى غير هذا — داء يأخذ الإبل والناس فى حلوقها . أقول « : لعله من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ فى الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يا خازباز أرْسِلِ اللهازِمَا إنى أخاف أن تكون لازما

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثلُ الكلابِ تَهِرُّ عند دِرَابِها
ورمَتْ لهازِمُها من الخِزبازِ

« الدارب : جمع درب ، واللهازم : جمع لهزمة ، وهى لحمة فى أصل الحنك ، شبههم بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذى ضاعت



كُلُّ شِعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ(١)

**

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو فى العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة العميان .

(١) المجيز : الممدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة . وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : فحذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجودا ذا قريحة بصيرا به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك المتخلف يكون شعره متخلفا ، والممدوح الذى يجيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع كان عقله جيداً كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر محك للمادح والممدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد والابتكار ، وعلى مكانة الممدوح من البصر بالشعر ونقده ومعرفة مايستحقه . ويروى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً فقبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الردىء .



قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، فقال أبو الطيب ارتجالا :

أَلاَ أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِي ... وَلاَ لَيَّنْتَ قَلْباً وَهْوَ قَاسِ(1)

وَلاَ شُغِلَ الْأَمِيرُ عَنِ الْمَعَالِي ... وَلاَ عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ(2)

***

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسى :

أَظَبْيَةَ الْوَحْشِ لَوْلاَ ظَبْيَةُ الْأَنَسِ ... لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ فى الْهَوَى تَعِسِ(3)

---

(١) يقول ـ للمؤذن ـ أذن فلم تذكر بأذانك ناسياً : يعنى أنه محافظ على الصلوات لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع ، فلا يحتاج إلى مايلينه . وكان حقه أن يقول ناسياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، فى موضع الحال ، كأنه قال : ولا لينت قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب المعالى ، فهو ليس ممن يستهلكون أوقاتهم فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة حق . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

ولم يَشْغَلْكَ عن طلب المعالى ... ولا لذاتها لَهْوٌ ولِعْبُ

(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمكان كذا أنساً كثيراً ؛ أى ناساً كثيراً ، والأنس أيضاً : الحى المقيمون ؛ والأنس كذلك : لغة فى الإنس . وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبى :

. . . .

أتوْا نارى ، فقلتُ مَنُونَ أنتم ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عِمُوا ظلاما

فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال مِنهمْ زَعِيمٌ : نحسُد الأنس الطعاما

لقد فُضِّلتمُو بالأكل فينا ولكن ذاكَ يُعقبكم سَقاما

والأنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به ـ بالكسر ـ أنسا وأنسة. وفيه لغة أخرى : هى أنست به أنساً ، مثل كفرت به كفراً . والجد : الحظ والبخت، والتعس : الانحطاط والكب والعثور : ضد الانتعاش وقيل الهلاك ، وتعس ـ بالفتح ـ يتعس تعساً ، وأتعسه الله . قال مجمع ابن هلال :

تقولُ وقد أفردْتُها مِن خَليلها تعَسْت كما أتعَسْتنِي يا مُجمِّعُ

والمراد بالجد التعس : المنحوس المشئوم . وقد عابوا قوله : تعس ، قائلين : إنما يقال جد تاعس ، من تعس ـ بفتح العين ـ ولا يجوز بكسرها إلا ماروى عن الفراء، واحتج أهل اللغة ببيت الأعشى :

بِذَاتِ لَوْث عِفَرْنَاةٍ إذا عثَرت فالتعْسُ أدْنى لها منْ أن أقول لعاً[1]

ولو جاز تعس ـ بالكسر ـ لكان المصدر تعساً ، فعلى هذا لا يقال: جد تعس . وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفته لكثرة ملازمته الفيافى ومساءلته الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أخُطُ وأمحو الخط ثم أعِيدُهُ بكفِيّ والغِزلانَ حَوْلِيَ ترتعُ

أى قد ألفتنى وأنسن بى لكثرة مايريننى . يقول : لولا شبيهتك من الإنس أيتها الظبية ـ يعنى حبيبته ـ لما صرت فى الحب ذا جد منحوس .

---

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت ـ فى بيت قبله ـ وهو :

كلَّفتُ مجهولها نفسى وشايعنى همى عليها إذا ما آلها لمعا

اللوث ـ بالفتح ـ القوة . وعفرناة ، شديدة قوية ، والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول: تعساً له، وإن كان بليدا كان دعاؤهم له إذا عثر : لعاً لك ، وهى كلمة يراد بها : أن ينتعش .

وَلاَ سَقَيْتُ الثَّرَى وَالْمُزْنُ مُخْلِفَةٌ   دَمْعاً يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفَسِى[١]

وَلاَ وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْىَ ثَالِثَةٍ   ذِى أَرْسُمٍ دُرُسٍ فى الأَرْسُمِ الدُّرُسِ[٢]

صَرِيعَ مُقْلَتِهَا سَآلَ دِمْنَتِهَا   قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكِ الْجَفْنِ وَاللَّعَسِ[٣]

خَرِيدَةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ   وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسِ[٤]

---

(١) الثرى : التراب ؛ والمزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير ماطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْلاَ الدموع وفَيضُهن لأحرقت   أرضَ الوَداع حرارةُ الأكبادِ

وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظت   يوماً تُنَشِّفُ فى العيون الماء

(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصباح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة: أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى امحت . يقول : لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظعنها ــ أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد بلقائها ــ بجسم دارس ناحل قد أبلاه الحزن وأنحله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خلَّفتَنِى نِضْوَ أحزانٍ أعالجها   بالْجِزْعِ أَنْدُبُ فى أنضاءِ أطلالِ

(٣) الدمنة : جمعها دمن ــ ما اسود من آثار الديار ــ ، واللعس : سمرة فى الشفة مثل اللمى ، وصريع وسآل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم. واللعس: عطف على تكسير . وكاف ذاك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقلتها قد صرعته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما فى جفنها من الانكسار وفتور النظر وما فى شفتها من السمرة.

(٤) الخريدة : الخفرة الحيية . وماس الغصن يميس : مال وتثنى . والميس : أصله

مَا ضَاقَ قَبْلَكِ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَإٍ وَلاَ سَمِعْتُ بِدِيبَاجٍ عَلَى كُنُسِ (١)

إِنْ تَرْمِنِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ تَرْمِ امْرَأً غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلاَ نَكِسِ (٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للقضيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر . يقول : إنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهى أحسن تثنيا من تثنى غصن البان ، فلو رآها لم يتمايل . قال الواحدى : وفى هذا إشارة إلى أنها فى غاية الستر ، وأن الشمس لم ترها ولا الغصن .

(١) الرشأ : الظبى الصغير . والكنس والكناس الموضع الذى تتخذه الظباء من أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشأ دقيق القوائم لا يضيق الخلخال على قوائمه ، وأنت رشأ غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال ، ولم أسمع أن كناس الرشأ يستر بالديباج — ضرب من الثياب الحريرية — أما أنت فمستورة الكناس بالديباج — يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

أَعَنِ الشمس عِشَاء رُفعت تلك السجوفُ
أم على أذنَىْ غزال عُلِّقت تلك الشنوف

(٢) الكثب : القرب . والرعديد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربع الهذلى :

ماذا يُغَيِّرُ ابنتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهما لا تَرْقُدَانِ ولا يؤسَى لِمن رَقَدَا
كِلتاهما أُبطنت أحشاؤها قصباً من بطن حَلْيَةَ لا رَطْبا ولا نَقِدَا
إذا تَجاوَبَ نَوْحٌ قامتا معه ضَرْباً أَلِيما بِسِبتٍ يَلْعَجُ الجِلدا (١)

---

(١) يقول هذه الأبيات فى أختيه وبكائهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً . وقوله : كلتاها أبطنت الخ ، يقول : كأن فى أجوافهما قصب المزامير من شدة البكاء . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى فى صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل . وقوله : ولا نقدا : أى لم يتأكل . والتاء فى «ترقدان» للمؤنث الغائب . والحلية : مأسدة باليمن والنوح : النساء يجتمعن للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب فى مناحاتهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهُمْ
بِجَبْهَةِ العَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الفَرَسِ (١)

أَبَا الغَطَارِفَةِ الحَامِينَ جَارَهُمُ وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْباً غَيْرَ مُفْتَرِسِ (٢)

مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُوراً عَلَى قَبَسِ (٣)

[يغير : ينفع . والسبت : جلود البقر المدبوغة . واللعج : الحرقة . أراد الجلد ، فحرك اللام بالكسر لكسر ما قبله] . ومثله كثير . يقول المتنبي : إن زمانى الدهر بنوائبه عن قرب – يعنى من حيث لا يخطىء – فإنى غير جبان ولا ساقط دنىء – يعنى لا أخاف ذلك ولا أجبن منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسدهم : فاعل يفدى . جعل العير – الحمار – مثلا للدنىء . والفرس : مثلا للكريم ، والمعنى : بأعز شىء فى اللئيم يفدى أخس شىء فى الكريم : أى أن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبى جعفر الأسكافى :

نفسى فِداؤكَ وهْىَ غير عزيزةٍ فى جَنْب شخصِكَ وَهْو جِدُّ عزيزِ
فلقد يقى الحرَّ البهىَّ أذاتَه فى وقتها كفٌّ من الشُّونيزِ

« الشونيز والشينيز : الحبة السوداء » ومثله لأبى نصر العتبى :

الله يشهد والملائك أننى لجليل ما أوليتَ غيرُ كفور
نفسى فداؤك لا لقدرى بل أرى أن الشعير وِقاية الكافور .

(٢) أبا الغطارفة : نصب على البدل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبا السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلبا لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد – أى البطل الشجاع – عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكريم النقى العرض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته: مبتدأ . والخبر: الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات[١] .

---

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات؛ قيل لأنه كان يشبب بعدة نساء يسمين جميعاً رقية .



دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٌّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ   أَغَرُّ حُلْوٍ مُمِرٌّ لَيِّنٌ شَرِسٍ (١)
نَدٍ أَبِيٌّ غَــرٍ وَافٍ أَخِي ثِقَــةٍ
جَعْدٌ سَرِيٌّ نَهٍ نَدْبٍ رِضًى نَدُسٍ (٢)
لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ
عَزَّ القَطَا فِي الْفَيَافِي مَوْضِعُ الْيَبَسِ (٣)

إنما مُصْعَبٌ شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء

(١) أمر الشيء : صار مراً . يقول : هو دان ـ قريب ـ ممن يحبه ويقصده بعيد عمن ينازعه ، محب للفضل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصاد ، حلو لأوليائه مر على أعدائه ، لين فى الرضا . شرس ـ صعب ـ على الأعداء . وروى الخوارزمى محب مبغض ـ بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ، وسر ، فهو بهج وبهيج قال الشاعر :

كان الشبابُ رداءً قد بَهِجتُ به   فقد تطايَرَ منه للبِــلى خِرقُ

(٢) ند : جواد ندى الكف . وأبى : أنوف يأبى الدنايا . وغر : مغرى بالفعل الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن جنى : أخ ـ منونا ـ أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم ـ الأخ ـ عليه لصحة مودته لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب ـ وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد عدل ـ وجعد جواد . قال الزمخشرى : وأما قولهم جعد للجواد (١) فمن الكناية عن كونه عربيا سخيا ، لأن العرب موصوفون بالجودة . قال :

هل يُرْوِيَنْ ذَوْدَكِ نَزْعٌ مَعْدُ   وساقيان سَبِــطٌ وَجَعْدُ

أى عجمى وعربى ، لأنهما لا يتفاهمان فلا يشتغلان بالكلام عن السقى . وسرى ؛ شريف ، ونه : ذو نهية ، وهى العقل . والندب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى يدعى فينتدب . ورضى . أى مرضى . والندس ـ بضم الدال وبكسرها ـ الفطن البحاث عن الأمور العارف بها .

(٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تغدو بالمطر . والفيافى :

---

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .



أَكَارِمُ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ
وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ (١)

أَىُّ المُلُوكِ - وَهُمْ قَصْدِى - أُحَاذِرُهُ
وَأَىُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْفِى وَهُمْ تُرُسِى (٢)

وسأله صديق له يعرف بأبى ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالا :

أَلَذُّ مِنَ المُدَامِ الخَنْدَرِيسِ وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَاةِ الكُئُوسِ (٣)
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالعَوَالِى وَإِقْحَامِى خَمِيساً فِى خَمِيسِ (٤)

جمع الفيفاة ، وهى المفازة لا ماء بها . واليبس : المكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه ماء سحابة لعم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا — وهو الطائر المعروف بالهداية — فى الفلوات موضعا جافا تلتقط منه الحب أو تنام فيه ، وعز — هنا — أعيا . وأصله غلب وقهر ، ومنه بيت الحماسة :

قَطاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فباتت تجاذبه وقد عَلِقَ الجناحُ

أى أعياها وجود موضع اليبس : أى المكان اليابس وامتنع عليها .

(١) أكارم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم فى الأرض حسدتها السماء إذ لم يكن فى السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر — بلد — عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحدا من الملوك ، وإذا استعنت بهم لم أحذر قرنا يقابلنى. والقرن : كفؤك فى الشجاعة : أما القرن من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إذا ذَهَبَ القَرْنُ الذى أنت فيهمُ وخُلِّفْتَ فى قَرْنٍ فأنت غريب

والقرن : الوقت من الزمان، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة.

(٣) و (٤) الخندريس : الخمر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالى : صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشىء فى الشىء ؛ والخميس : الجيش ؛ ومعنى معاطاة الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب : كمد المتناول يده إلى من ناوله الشىء يقول : إن الحرب ألذ عنده من الشرب : فقوله : ألذ ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة —



فَمَوْتِي فِي الوَغَى أَرَبِي لِأَنِّي رَأَيْتُ العَيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُوسِ (١)

وَلَوْ سُقِّيتُهَا بِيَـدَيْ نَدِيمٍ أُسَرُّ بِهِ لَـكَانَ أَبَا ضَبِيسِ (٢)

***

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى :

هٰذِي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ثُمَّ انْثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا (٣)

فى البيت الثانى — ومثل هذا يسميه العلماء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لسَلُّ السيوف وشق الصفوف وخوض الحتُوف وضرب القُلَل

ألذ إليه من المسمعاتِ وشربِ المـدامة فى يوم طَلّ

(١) الوغى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة. يقول : إذا قتلت فى الوغى — الحرب — فذلك هو حياتى ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيما تشتهيه النفس ، وأنا أشتهى أن أموت محاربا ، وإذا أدركت ما أشتهى : فكأنى حييت .

(٢) يقول : لو رغبت فى شرب الخمر لشربتها من يدى أبى ضبيس ، لأنى أسر بمنادمته .

(٣) هذي : أى ياهذه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال المعرى : هذه موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يا إبلى إمّا سَلِمْتِ هٰذِي فَاسْتَوْسِقِي لِصَارِمٍ هَذَّاذِ

أَوْ طَارِقٍ فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يريد هذه الكرة ؛ والرسيس — فى الأصل — مس الحمى وأولها ، وهو ما يتولد عنها من الضعف . والمراد هنا : مارس فى القلب من الهوى : أى ثبت ، قال ذو الرمة :

إذا غـيَّر النَّأْيُ المحبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الهوى مِن ذِكرِ مَيَّةَ يبرحُ

والنسيس : بقية النفس بعد المرض والهزال . يقول : برزت لنا فحركت ما كان فى قلبنا من هواك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا — بالوصال .

وَجَعَلْتِ حَظِّى مِنْكِ حَظِّى فى الكَرَى
وَتَرَكْتِنِى لِلْفَرْقَدَيْنِ جَلِيسَا(١)

قَطَعْتِ ذَيَّاكِ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدَرْتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوسَا(٢)

إِنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِى تَكْفِى مَزَادَكُمُ وَتُرْوِى الْعِيسَا(٣)

حَاشَى لِمِثْلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُونَ عَبُوسَا(٤)

وَلِمِثْلِ وَصْلِكِ أَنْ يَكُونَ مُمَنَّعاً وَلِمِثْلِ نَيْلِكِ أَنْ يَكُونَ خَسِيسَا(٥)

---

(١) يقول : حلت بينى وبينك كما حلت بينى وبين النوم ، فحظى منك ومن وصالك كحظى من النوم ، يعنى لا حظ لى من الوصال ولا من النوم ، فهو ساهر طول الليل يراعى الفرقدين ، وهما نجمان لا يفترقان ، يضرب بهما المثل فى الاجتماع .

(٢) ذياك : تصغير ذاك ؛ والخمار : بقية السكر . يقول : كنا مع قربك فى شبه الخمار لما كنا نقاسى من بخلك بالوصل ، فجاء ماطم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك ،يعنى : بلينا من فراقك بأشد مما كنا نقاسيه من منعك مع قربك، فشبه بخلها فى قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار إذا قيس بالسكر : صغر .

(٣) الظعن : الارتحال . والمدامع : مجارى الدموع من العين ، والمراد : الدموع . والمزاد : جمع المزادة : القربة . والعيس . الإبل . يقول : إن كنت مرتحلة فإنى أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعى تملأ ما معكم من أوعية الماء ، وتروى إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء .

(٤) و (٥) حاشى : كلمة تنزيه ، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح. و«أن تكون» فى موضع جر بـ«من» مضمرة . واسم تكون : يرجع إلى مثل،وهو يذكر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . وعبس : قطب وجهه ، والنيل : اسم لما ينال . والخسيس : القليل .يقول مثلك فى حسنه وكرم أصله لا ينبغى أن يبخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك فى توافر ملاحته لا ينبغى أن يكون عبوسا للناظرين إليه ، وبودى أن تجودى بوصلك وأن لا تمنعيه عنا . هذا : ولم يرد المتنبى ما قيل — فى هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال ، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنعا ، وإذا كان مبذولا مل ، وانحرفت النفس عنه ، وما أحسن قول القائل :

خَوْدٌ جنَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَاذِلِى حَرْبًا وَغادَرَتِ الْفُؤادَ وَطِيسًا[1]

ما أحـــلى الهوى مالم تنل فيه المنى والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى

وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق من لا يمد إلى مواصلة يدا

وقد قال كثير :

وإنى لأسمو بالوصال إلى التى يكون نثيًّا وصلها وازديارها

أى إنما أرغب فى ذات القدر المصونة ، لا المبذولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :

كأنّ مِشيتها فى بيت جارتها مَشْىَ السحابة لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

فقال هذه خراجة ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشتاقها جاراتها فيزرنها وتعتلّ عن إتيانهن فتُعْذَر ؟

قال ابن فورجه : هذا اعتراض على المتنبي بوصفه حبيبته بأنها مبذولة الوصال ، ولم يتعرض لذلك بشىء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس فى اللفظ مايدل على أنها مبذولة الوصل أو ممنعة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبذولا وصالها له ، وأى محب لا يحب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حبيبته فهو محال ؟

قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنعى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ فى رونق الصبا وفيهنّ عن أزواجهنّ طِماحُ

مُسِرّاتُ وُدٍّ مُظهِراتٌ لضدّه تراهن كالمرضى وهن صحاح ؟

أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر ما يحب وبينه ، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض المحبين . وأما قول المتنبي فهو مباين لهذا بقوله : أن يكون ممنعا : فهو هجر صراح .

(١) الخود : — بفتح الخاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — بضمها — وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تنور من حديد ، ويقال حمى الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لـكثرة ما يلمننى — أى العواذل — فى هواها ، ويراجعنى ويغضبنى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائها ، ثم قال : وقد تركت فؤادى مثل الوطيس : أى ملتهبا بما فيه من حرارة الوجد .

بَيضَاء يَمنَعُهَا تَكلّمَ دَلُّها تِيهاً وَيمنَعُهَا الحَيَاء تَميسا[1]

---

(١) يقول : إنها بيضاء — نقية العرض — يمنعها دلالها أن تتكلم ويمنعها حياؤها أن تميس — تتثنى — فقوله تكلم ، يريد أن تتكلم ، فحذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروى بدل تكلم : التكلم . وإليك ما قال العكبرى الكوفى : قوله تكلم : أراد أن تتكلم ، فحذف وأعمل ، وكذلك أن تميس ؛ وهو كثير فى أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحجتنا قول الشاعر :

انظرا قَبلَ تلومَانِى إلى طلل بين النقا والمنحنَى

وقول طرفة :

ألا أيّهــذا الزاجِرى أَحْضُرَ الوغى

وأن أشْهــدَ اللذاتِ هل أنتَ مُخلِدى[1]

وقراءة عبد الله «لا تعبدوا إلا الله» فنصب بتقدير «أن» مع حذفها ؛ وقول عامر ابن الطفيل :

* ونَهنَهتُ نفسى بَعدَ ما كدتُ أفعلَه *

وقد ألزمناهم بقولهم: إنها تعمل مع الحذف من غير بدل فى جواب الستة بالفاء مقدرة وحجتهم أنها تنصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضعيفة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها فى قوله تعالى « أفغير الله تأمرونى أعبد » وقال الشاعر :

أن تَقرآنِ عَلَى أسماء ويحكما مِنى السلامَ وأن لا تُشعرَا أحدا[2]

---

(١) من معلقه طرفة ، وبعده :

فإن كنتَ لا تَستطِيعُ دَفعَ منيتِى فَذَرنى أبادِرْها بِماملكت يَدِى

يقول فى البيت الأول : يامن يلومنى فى حضور الحرب لئلا أقتل. وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ـ ما أنت مخلدى إن قبلت منك ، فدعنى أنفق مالى فى الفتوة ولا أخلفه لغيرى ثم قال فى البيت التالى: إن كنت لا تقدر أن تدفع موتى فذرنى أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالى : يعنى أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

(١) قبله :

ياصاحِبَيَّ فَدَت نَفسى نُفُوسَــكما وحيثما كنتما لا قيتما رشدا



لمَّا وَجَـدْتُ دَوَاءَ دَائِى عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَىَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا[١]

أَبْـقَى زُرَيْقٌ لِلثُّغُورِ مُحَمَّداً أَبْـقَى نَفِيسٌ لِلنَّفِيسِ نَفِيسَاً[٢]

إنْ حَـلَّ فَارَقَتِ الْخَزَائِنُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتِ الْجُسُومُ الرُّوسَا[٣]

مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَـكَ عَادِهِ

وَرَضِيتَ أَوْ حَشَ مَا كَرِهْتَ أَنِيسَاً[٤]

---

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليونانى المشهور — ما وصفه من الأدوية فى تواليفه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى مالا يمت إليه بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو المدوح ، ومحمد : اسم الممدوح .

يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبقى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيسا ، وهو حفظ الثغور وذب الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلا فى وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جسوم أعدائه وبين رءوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدى : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عاديت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لابد من أن يكون خبرا يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهى والاستفهام لا تحتمل صدقا ولا كذبا . يقول المتنبى : إن عاديته فقد

أن تحمـلا حاجة لى خف محملها وتصنعا نعمة عنـدى بها ويدا

ولا يعلم قائل هذه الأبيات . وقوله: فدت نفسى الخ جملة دعائية ، وكذا قوله:لاقيتما الخ . والرشد ـ محركا ـ الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تحملا : قيل أن « إن » هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهى وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكما ، وأن تقرآن : بدل منه . ومحملها:مصدر ميمى ، أى حملها . وقوله بها : أى بحملها ؛ ويدا : عطف مرادف على النعمة،وويحكما معترض بين تقرآن وبين مفعوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

الخائِضَ الغَمَرَاتِ غَيْرَ مُدَافَعٍ وَالشَّمَّرِيَّ المِطْعَنَ الدِّعِّيسَا[(١)]
كَشَّفْتُ جَمْهَرَةَ العِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إلاَّ مَسُوداً جَنْبَهُ مَرْءُوسَا[(٢)]
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِى آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا[(٣)]

عاديت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه أتى عليه وقتله لقدرته .

(١) نصب الخائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الخائض ولك أن تجعله بدلا من الهاء فى «عاده» والغمرات: الشدائد ؛ والشمرى — بفتح الشين وكسرها الجاد المشيح فى أمره ؛ والمطعن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فعيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للعجز عنه .

(٢) جمهرة الشىء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير فى جنب هذا . والمسود : من ساده غيره : يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والممدوح فوقه فى السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشىء : منتهاه ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية فى العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وفى كلِّ شَىءٍ لهُ آيةٌ تدلُّ عَلَى أنَّه الواحِـد

يقول : إن الله صوره بشراً وجعله غاية للناس تنتهى إليها كمالاتهم بأسرها وكان ذلك الحلق فى آية من خوارق العادات تنتفى بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له بغيره ، لأن الشى إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جنى : أنت الذى صورك الله بشراً ينفى الظنون حتى لا يتهم فى حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوهم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك فى أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبارة الواحدى : إن ظننته بحراً أو بدراً أو سيداً أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية فى الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدميا ، وفيه ما لا يوجد فى غيره حين نفى ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشىء يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفى معناه .



وَبِهِ يُضَنُّ على الْــبَرِيَّةِ لاَ بِهَا ... وَعَلَيْهِ مِنْهَا لاَ عَلَيْهَا يُوسَى [١]

لَوْ كَانَ ذُو القَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ ... لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا [٢]

أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ ... فى يَوْمِ مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى [٣]

أَوْ كَانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ... مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى

أَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ ضَــوْءُ جَبِينِهِ ... عُبِدَتْ فَصَارَ العَالَمُونَ مَجُوسَا

لَمَّــا سَمِعْتُ بِهِ سَمِعْتُ بِوَاحِــدٍ ... وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْــهُ خَمِيسَا [٤]

أنت الذى لو يعاب فى ملإ ... ما عيب إلا بأنه بَشَرُ

(١) الضن : البخل بالشىء ؛ والبرية : الخليقة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو فى موضع الحال من الضمير فى «عليه» ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزنت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فلين للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساووا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم يبخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، ففيه منهم خلف ولا خلف منه فى جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن ههنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدى : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به المتنبي على الناس فقد تمنى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حق لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله فى الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوالقرنين رأى للمدوح لأضاءت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من الغلو المذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان فى الظلمات شعشعَ كأسها ... ما جارَ ذو القرنَين فى الظلماتِ

وقول الآخر :

لو أن ذا القرنين فى ظُلماته ... ورآه يضحك لاستضاء بثغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياه الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه فى الحرب لأعجز عيسى إحياؤه .

(٤) الخميس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويغنى غناءه ،وهو

وَلَحَظْتُ أُنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَوَاهِبًا ... وَلَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسَالَ نُفُوسَا[(١)]

يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ ... أَبَدًا وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيسَا[(٢)]

صَدَقَ الْمُخَبِّرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصْفُهُ ... مَنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرَسُوسَا[(٣)]

كما يقول ابن جنى — ضد قولك أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، ولله أبو تمام حين يقول :

لو لم يَقُدْ جَحْفلا يَوْمَ الوَغَى لغدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَها فى جَحْفل لَجِبِ

ويقول :

ثبْتُ المُقامِ يَرَى القبيلةَ واحِداً ... ويُرَى فيَحْسَبهُ القبيلُ قبيلا

ويقول ابن الرومى :

فَرْدٌ وحيدٌ يراهُ الناسُ كلهُم ... كأنه الناس طراً وهْوَ إنسانُ

(١) مواهبا ونفوسا : تميزان ؛ والمراد بالأنمل . الأصابع ؛ والمنصل: السيف .قال الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، ولمس المنصل كناية عن الاستنصار . يقول :تعرضت لعطائه فسالت بالمواهب أنامله،وتعرضت لإعانته إياى فسال سيفه بنفوس أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحترى .

تلقاه يقطر سيفُه وسِنانهُ ... وبَنَان راحته ندًى ونجيعا

« نجيعاً : دماً » ؛ ولدعبل .

وعلى أيماننا يجرى الندَى ... وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك : أى نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعباً منه . قال العكبرى : ولأن اسم الممدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه — والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحا مثنيا قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكأن من بالعراق يراه وهو بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق يراك فى طرسوس : أى لميله إليك ومحبته إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :



بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سائِرٌ   يَشْنَا المَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسا[1]
فَإِذَا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فَارَقْتَــهُ   وَإِذَا خَدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرِّيسا[2]

أُرِيدُ لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا   تَمَثَّلُ لِى لَيْــلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وكما قال أبو نواس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِى القلوب مِثالُهُ   فَكأنه لم يَخْلُ مِنــه مكَانُ

(١) يشنا : أراد يشنأ — من شنأت : أى أبغضت — والمقيل : القيلولة — النوم — وقت القائلة — الظهيرة — والتعريس : النزول فى آخر الليل للراحة ؛ والضمير فى يشنأ ويكره : للذكر . يقول : إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر فى البلاد كلها ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس . وهو من قول أبى تمام :

جَرَّرتُ فى مَدحِيكَ حَبلَ قصائدٍ   جالت بك الدنيا وأنت مُقيــمُ

(٢) خدر الأسد وأخدر : غاب فى أجمته ولزمها ؛ ويقال أخدر فلان فى أهله : أى أقام فيهم : وأنشد الفراء :

كأنَّ تحتِى بازِياً رَكَّاضاً   أَخْدَرَ خَمْساً لم يذُقْ عَضَاضا[1]

وأسد خادر : مقيم فى عرينه داخل فى الخدر — أى الأجمة — وأسد مخدر أيضا . قالت ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيا من فتاة حَيِيةٍ   وأشجعَ من ليثٍ بخَفَّانَ خادرِ[2]

وتخذت : بمعنى اتخذت . والعريس والعريسة : أجمة الأسد وعرينه ، شبه الممدوح بالأسد فاستعار له هذه الأشياء . يقول : هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه عند طلب الفريسة : أى العدو ، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومى :

هُوَ الليثُ طَوراً بالعِراق وتارةً   له بينَ آجامِ القَنا مُتأَجَّــمُ

---

(١) لم يذق عضاضا : أى ما يعض عليه . يريد أن هذا البازى أقام فى وكره خمس ليال مع أيامهن لم يذق طعاما ، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد ، وهو قرم إلى اللحم شديد الطيران ، فشبه ناقته به .

(٢) خفان : مأسدة .



إنِّى نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فانْتَقِدْ كَثُرَ المُدَلِّسُ فَاحْــذَرِ التَّدْلِيسَا[(١)]
حَجَّبْتُهَا عَنْ أَهْلِ إِنْطَاكِيَّةٍ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسَا[(٢)]
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى القُصُورِ وَشَرُّهَا يَأْوِى الخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا[(٣)]

---

(١) تقول : نقدت الرجل الدراهم والدنانير : إذا أعطيته إياها فانتقدها : أى أخذها ؛ هذا هو الأكثر فى كلام العرب ؛ وقد يستعملان فى تمييز الجيد ونفى الزيف . يقال : نقد كلامه وانتقده ، وكذلك فى الدراهم والدنانير ، وهو المراد هنا . شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس إخفاء العيب فى السلعة . يقول : كثرالمدلسون من الذين يبيعون الشعر ، فاحذر تدليسهم عليك ، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس :

نَثَرْتُ عليكَ الدرَّ يا دُرَّ هاشمٍ فيا مَنْ رَأَى دُرًّا على الدرِّ يُنثرُ

وعجزه ينظر إلى قول ابن الرومى :

أولُ ما أسأل مِنْ حاجــةٍ أن يُقرأ الشعرُ إلى آخرهْ
ثم كفــــانى بالذى ترتئى فى جَوْدَةِ الشعر وفى شاعرهْ

(٢) الضمير فى حجبتها وجلوتها : للقصيدة ، وإن لم يجر لها ذكر ، وإنما ذكر الدر ، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو : أى نظر إليها كذلك . جعل قصيدته التى مدحه بها كالعروس . يقول : حجبتها عن أهل هذا البلد — أنطاكية — أى لم أمدحهم بها — يعرض ببعض الأكابر — ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا ، وخصصتك بها دون غيرك ؛ وعروسا : حال من القصيدة . قال الواحدى : ويجوز أن يكون حالا من الممدوح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى ، وهذا إذا أراد فاجتليتها : أى قدر ضميراً ؛ وإذا لم يقدر فهى مفعول لاجتليت .

(٣) الناووس والناءوس : مقبرة النصارى والمجوس ، دخيل ، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت ؛ وهذا مثل . يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة — مثل البزاة — تطير إلى قصور الملوك ، وشر الشعر ما يمدح به اللئام والأراذل كالطيور التى تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلامى خير الكلام فأنت أولى به . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية . هذا ويقال : أويت منزلى وأويت إلى منزلى : أى عدت .

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فَدَتْكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسَا[١]

* *

ودس عليه كافور من يستعلم ما فى نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقِلُّ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرُّءُوسِ وَبَذْلُ الْمُكْرَمَاتِ مِنَ النُّفُوسِ[٢]

إِذَا خَانَتْهُ فِى يَوْمٍ ضَحُوكٍ فَكَيْفَ تَكُونُ فِى يَوْمٍ عَبُوسِ[٣]

* * *

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ[٤]

---

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذى لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة فى سبيل الله لجعلت نفسها وقفا محبوسا عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن الممدوح كان على الثغور فى وجه الروم يجاهد فى سبيل الله .

(٢) يقول: يقل له أن نقوم فى خدمته ولو على الرءوس وأن نبذل فى خدمته النفوس المكرمة ؛ وتروى المكرمات — بفتح الميم وضم الراء — أى الأفعال الكريمة . ولله قول أبى تمام :

لو يقدِرُون مَشَوْا على وجَناتِهِم وخُدودِهم فضلا عن الأقدامِ

(٣) الضمير فى خانته : للنفوس ؛ والعبوس : الكريه . يقول : إذا خانته النفوس فلم تقم بحقه ولم تخدمه فى السلم ، فكيف تخدمه فى الحرب ؟

(٤) النوك : الحمق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ماقبله . يقول : الذى يجعل العبد حاكما على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون فى طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقوله: من عرسه ، أى من عرس نفسه، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه .

وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحْكِيمُهُ   تَحَكُّمَ الْإِفْسَادِ فِي حِسِّهِ(١)
مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ   كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ(٢)
أَلْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقُهُ   عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ(٣)
لَا يُنْجِزُ الْمِيعَادَ فِي يَوْمِهِ   وَلَا يَعِي مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ(٤)
وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ   كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْسِهِ(٥)

---

(١) يقول : إن من حكم العبد على نفسه : يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره ، وسوء الاختيار يدل على تحكم الفساد فى الحس . والحس ، أو الحس المشترك أو الحس الباطن ــ وهو الذى أطلق عليه بعض متأدبى عصرنا (العقل الباطن) خطأ ــ : هو ــ كما جاء فى تعريفات السيد الجرجانى ــ القوة التى ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، فالحواس الخمس الظاهرة كالجواسيس لها ، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها . قال : ومحله مقدم التجويف الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أنهار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة ــ كلودبرنار ــ قال : هو جملة التغيرات الحاصلة فى الجسم الحى بواسطة المهيجات ، أو هو تكيف فى التأثير لكيفية فى المؤثر ، ويسميه أهل اللغة : الإدراك .

(٢) أى الذى يرى أنك فى وعده يحسن إليك ؛ والذى يرى أنك فى حبسه يسىء إليك . يريد أنه مرهون فى مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده ؛ فلا هو يفيه ما وعده ، ولا هو يؤيسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله ، فهو يرى أنه فى حبسه ، فليس له منه مخلص فما يبالى به . والحر الكريم يرى أنك فى وعده فهو يضير الإنجاز فيما وعد .

(٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان . يصفه بقصر الهمة عن المعالى .

(٤) الضمير فى يومه : للميعاد ؛ وفى أمسه : لكافور . يقول : لا ينجز الميعاد فى يومه الذى وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس ؛ يعنى أنه لغفلته وسوء فطنته : ينسى ما يقوله .

(٥) القلس . حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : إن كافوراً لا يأتى مكرمة بطبعه ، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح ــ البحار ــ السفينة لتجرى ؛ يعنى أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد ، وهو لا يتفق



فَلاَ تُرَجِّ ٱلْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فى رَأْسِهِ (١)
وَإنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فى نَفْسِهِ بِحَالِهِ فَانْظُرْ إلَى جِنْسِهِ (٢)
فَقَلَّمَا يَلْؤُمُ فى ثَوْبِهِ إلاَّ الَّذِى يَلْؤُمُ فى غِرْسِهِ (٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ (٤)

وشنشنتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتنحدر معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضد عادته .

(١) النحاس : الذى يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاه ورجاه — بالتشديد — وترجاه : بمعنى . وفى رأسه : أى على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسيق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت فى حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الغرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة، طبع عليها اللئيم فى غرسه ، فمن كان لئيما فى كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس — بفتح القاف وكسرها — الأصل. يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه فى الدنيا فنال ملكا أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله فى اللؤم، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لئيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد مجمرة محشوة بالنرجس والآس حتى خفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلا :

أَحَبُّ امْرِىءٍ حَبَّتِ الأَنفُسُ ... وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَعْطِسُ[1]

وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا ... مَجَامِرُهُ الآسُ وَالنَّرْجِسُ[2]

وَلَسْنَا نَرَى لَهَباً هَاجَهُ ... فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الأَقْعَسُ[3]

---

(١) المعطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف المبتدأ من الجملتين لأن المخاطبة والحال دلتا عليه ، هذا : والأكثر أن يقالَ أحبه فهو محب وهومحبوب ـ على غير قياس ـ وقدقيل محب ـ على القياس ـ وقال الأزهري : وقد جاء المحب شاذاً فى الشعر ، قال عنترة :

ولقد نَزَلتِ فلا تَظنِّى غيرَه ... مِنِّى بمنزلة المحب المكرَمِ[1]

قال الفراء : وحببته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول عيلال بن شجاع النهشلى :

أُحِبّ أبا مَرْوانَ من أجلِ تمرِه ... وأعلم أن الجار بالجار أرفقُ

فأقسم لولا تمرُه ما حَبِبْته ... وكان عِياضٌ منه أدْنى ومُشْرِقُ

وحبه يحبه ـ بالكسر ـ فهو محبوب . قال الجوهرى : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتى فى المضاعف : يفعل ـ بالكسر ـ إلا ويشركه يفعل ـ بالضم ـ إذا كان متعدياً ، ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر المبتدأ المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ماشمه الأنف هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة ـ على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » ـ والنشر : الرائحة ؛ والمجامر : المباخر . يقول : إن هذا النشر من الند إلا أن مجامره الآس والنرجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان .

(٣) الأقعس ـ ومنه العزة القعساء : الثابت ، وقيل : العالى المرتفع

---

(١) من ملعقة عنترة . ونزلت : خطاب مع محبوبته عبلة . وقوله : فلا تظنى غيره جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبى منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثانى : محذوف : أى فلا تظنى غيره واقعا : أى غير نزولك منى منزلة المحب .



وَإِنَّ الْفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ ... لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُسُ[1]

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأقعس الذى لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا نرى نارا هيجت ريح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأقعس ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .

(١) الفئام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح : وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف الملتفين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم، لأنها وقفت فى خدمتك على الأرض ، وكان يود الرءوس أن تكون هى الواقفة مكانها . وقال ابن جنى : لأنها تباشر الأرض التى باشرها الممدوح لسعيها إليه ، فهى كقوله أيضاً :

خير أعضائنا الرءوس ولكن ... فضلتها بقصدك الأقدام



قافيــة الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب بافيس ومسيره من دمشق :

مَبيــــتِي مِنْ دِمَشْقَ على فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرٍّ حَشَاىَ حَاشِ (١)
لَقَى لَيلٍ كَعَيْنِ الظَّبْــــيِ لَوْنًا وَهَمٍّ كَالْحُمَيَّا فى الْمُشَـــاشِ (٢)

(١) مبيق : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيق ؛ وعلى فراش : خبر مبيق ؛ وحشاه الخ : فى موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواه وحرارة قلبه من الحب ، يقول: إنى أتيت من دمشق على فراش حار حتى بحرارة قلبى من الهوى : يعنى حرارة الهوى وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقى : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كونى لقى ليل ! واللقى : الشىء الملقى . والحميا : سورة الخمر . والمشاش : رءوس العظام الرخوة . وعين الظبى : يضرب بها المثل فى السواد ، ولونا : تمييز . يقول : إنى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى فيه تمشى الخمر فى العظام ، وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

وتمشت فى مفاصلهم كتمشّى البُرءِ فى السَّقَم

والمصراع الأول من قول أبى تمام :

* إليكَ تجرَّعْنا دُجَى كحِدَاقِنا *

ومثله قول التنوخى :

والليلُ كالثّا كِلِ فى إحْدادِهَا ومُقْلةِ الظَّبْيِ إذا الظَّـــبْيُ رَنَا

والثانى من قول زهير :

فظَلْتُ كأنى شارِب مِنْ مُدَامَةٍ مِنَ الرّاحِ تَسْمو فى المَفاصِلِ والجسم

ومثله قول الأبيرد :

عسا كِرُ تغشَى النُّفس حتى كأنّــــنى
أخُو سَكرَةٍ دَارَتْ بِهامَتِـــهِ الخمرُ

وَشَوْقٍ كالتَّوَقُّدِ فِي فُؤَادٍ ... كَجَمْرٍ فى جَوَانِحَ كَالْمِحَاشِ (١)
سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غَيْرِ نَابٍ ... وَرَوَّى كُلَّ رُمْحٍ غَيْرِ رَاشِ (٢)
فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَّتْ ... لِمُنْصُلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرِّيَاشِ (٣)
فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى ... كَأَنَّ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ (٤)
وَقَدْ نَسِيَ الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى ... رَدَى الأَبْطَالِ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ (٥)
لَقُوهُ حَاسِراً فى دِرْعِ ضَرْبٍ ... دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهِبِ الْحَوَاشِى (٦)

---

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش ــ بضم الميم وكسرها ــ ما أحرقته النار ، تقول : امتحش الخبز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقته . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه ــ الذى هو محل الشوق ــ بجمر النار . وجوانحه ــ أضلاعه ــ بشواء أحرقته النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل نصل ــ سيف ــ لا ينبو عن الضريبة ــ أى لا يكل ولا يرتفع ــ ولكل رمح غير راش ــ أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى تواصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشائر . وهذه رواية الخوارزمى : وروى ابن جنى المبغوت وهو الذى بغته الشىء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشائر من الجيش الذى كبسه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنصله ــ سيفه ــ الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات ــ الشدائد ــ والتباسه بالحرب وأهوالها : صار يكنى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة ــ أبا العشائر ــ غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأخملتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما ــ فى قوله بما يسمى ــ مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والغيث : المطر . يقول : وقد نسى اسمه العلم ــ وهو الحسين بما سموه به من ردى الأبطال ــ أى هلاك الشجعان ــ أو غيث العطاش ، يعنى إن صفتى الشجاعة والجود غلبتا على اسمه المشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال أخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضربه الأعداء فى درع ،

كَأنَّ على الجَماجِمِ مِنْهُ نَاراً وَأَيْدِي القَوْمِ أَجْنِحَةُ الفَرَاشِ (١)
كَأنَّ جَوَارِيَ المُهَجَاتِ مَاءٌ يُعَاوِدُهَا المُهَنَّدُ مِنْ عُطَاشِ (٢)
فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مُفَاتٍ وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلٍ مُطَاشِ (٣)
وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنِ احْتِرَاشِ (٤)
يُدَمَّى بَعْضُ أَيْدِي الخَيْلِ بَعْضاً وَمَا بِعُجَايَةٍ أَثَرُ ارْتِهَاشِ (٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكنى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . والمعنى : أن ضربه الأبطال يصدّ عنه كما يصدّ الدرع .

(١) يقول : كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها ، ولان سيفه يلمع كالنار عليها ، وكأن أيدى القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدى القوم المقطعة حوله بالفراش الذى يتهافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال ــ الذى للأدواء : كصداع وزكام ــ شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعل ــ من الفوت ــ أى حيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفاته الشىء : أى جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق ، وثالث قد عقله : أى ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال .

(٤) المنعفر : المتلطخ بالعفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خبر مقدم ، وتوارى : مبتدأ مؤخر ، والتوارى : الاختفاء . والاحتراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف فى هذا المنعفر كما يغيب الضب فى جحره خشية الاحتراش : أى الصيد .

(٥) العجاية : عصبة فى اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمى الرواهش وهى عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهى تغوص فى دماء القتلى فيلطخ بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع فى قوله يدمى وفى البيت بعده : يريد أن الممدوح لا نظير له فى شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب المثل بأيدى الخيل ، ويريد : لا يقاتل الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَائِعُهَا وَحِيـــدٌ لَمْ يَرُعْهُ ... تبَاعُــدُ جَيْشِهِ والْمُسْتَجَاشِ (١)
كَأَنَّ تَلَوِّىَ النُّشَّابِ فِيـــهِ ... تَلَوِّى الخُوصِ فى سَعَفِ العِشَاشِ (٢)

---

(١) رائعها : مفزعها ومخوفها ، والمستجاش : الذى يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذى أفزع الخيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يخفه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذى يستجيشه : أى يطلب منه الجيش ، لأن الممدوح – وهو أبو العشائر – كان عاملا على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سعفها ودق أسفلها ، وقد عششت النخلة : قل سعفها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لئيمة المنبت : قال جرير :

فما شَجَرَات عِيصِكَ فى قُرَيْشٍ ... بعَشَّاتِ الفروعِ ولا ضواحِى (١)

وامرأة عشة : قليلة اللحم : ورجل : مهزول . أنشد ابن الأعرابى :

* تَضْحَكُ منى أَنْ رأتْنِى عشّا (٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهام فتتاوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكترث للطعن ولا الضرب ولا الرمى .

---

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفى المثل : عيصك منك وإن كان أشباً . يعنى أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وهم آباؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحى من الشجر القليلة الورق التى تبرز عيدانها للشمس .

(٢) بعده :

* لبست عَصْرَىْ عُصُر فامتَشّا *

بَشاشَتِى وعمـــلا فَفَشّا ... وقد أراها وشَواها الُحْمشَا
ومِشْفَراً إنْ نَطقت أرَشّا ... كمِشْفرِ النابِ تلوكُ الفرشا

قوله فامتشا : هو من امتش مافى الضرع إذا حلب جميع مافيه . وكذلك تقول فش الضرع فشا : أى حلب جميع مافيه . والشوى : الأطراف . والحمش : الدقيقة ، وأرش : أى جاء بالرش ، والرش فى الأصل المطر القليل والفرش الغمض من الأرض فيه العرفط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواهها .

وَنَهْبُ نُفوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى ... بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهْبِ القُمَاشِ (١)
تُشَارِكُ فى النِّدَامِ إذا نَزَلْنَا ... بِطَانٌ لاَ تُشَارِكُ فى الْجِحَاشِ (٢)
وَمِنْ قَبْلِ النِّطَاحِ وَقَبْلَ يَانِي ... تَبِينُ لَكَ النِّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ (٣)
فَيَابَحْرَ الْبُحُورِ وَلاَ أُوَرِّى ... وَيَامَلِكَ الْمُلوكِ وَلاَ أُحاشِي (٤)
كَأَنَّكَ نَاظِرٌ فى كُلِّ قَلْبٍ ... فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشِ (٥)

---

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول : إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشائر نهب نفوسهم، ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبى تمام :

إنّ الأسُودَ أسُودَ الغابِ همتها ... يَومَ الكريهةِ فى المسلوبِ لا السَّلَبِ

(٢) النِّدام : المنادمة على الشراب ، والبطان : جمع بطين ، وهو العظيم البطن الرغيب . والجحاش : المجاحشة . وهى المدافعة فى القتال : يقول : إذا نزلنا عن الخيل شاركنا فى شرب الخمر رجال ذوو نهم يكثرون الأكل ولا يشاركون فى القتال ،ومثله :

يَفِرُّ من الكتيبة حين يُلْقَى ... وَيثبتُ عند قائمة الخِوانِ

(٣) النطاح : مناطحة ذوات القرون،ويستعمل فى الحرب.و«قبل»رواه الخوارزمى نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالخفض عطفاً على ما قبله . ويأنى : يحين ـ من قولهم أنى الشيء يأنى إنى ـ أراد قبل أن يأنى : فحذف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسى ، وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، ويروى . ويا بدر البدور . وورى الحديث أخفاه وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولى بل أجهر به . ولا أحاشى : أى لا أدع أحداً ولا أستثنى إنسانا .

(٥) الغاش : الذى يغشاك ويزورك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويزورونه . ومنه قول ذى الرمة يصف سفودا :



أَأَصْبِرُ عَنْــكَ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشِ (١)
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِى الرُّوساءِ عِنْدِى عَتِيقُ الطَّــيْرِ مَا بَيْنَ الْخِشَاشِ (٢)
فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِى (٣)

وذِى شعَبٍ شتّى كسَوْتَ فرُوجَهُ لِغاشِيــةٍ يوماً مُقطَّعة حُمْرا
وقال حسان :
يُغشَوْنَ حتى ماتَهِرُّ كِلابُهم لا يَسْــأَلونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ (١)
يقول المتنى : إنك من الفطنة والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث ترى ما فى قلوب الناس وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يغشاك . ومثل هذا فى المعنى قوله الآتى :

ويَمتحنُ الناسَ الأمــيرُ برأيِه ويغضِى على علمٍ بكل مُمَخْرِقِ

(١) (٢) لم تبخل : أى وأنت لم تبخل ، فهى جملة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛ والواشى : النمام ؛ وكيف : حال محذوفة العامل ؛ أى وكيف أصبر عنك ، والعتيق : الكريم . والخشاش — بكسر الخاء ، وقد تفتح — صغار الطير نحو العصافير وأضرابها — والحشرات . يقول — فى البيت الثانى — : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لثقته بانتقامك وقوة بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ، لأنه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبارة ابن جنى: ليس يرجو من يخشاك أن يلقى من يكذبه ويخطئه فى خوفك ، لأن الناس مجمعون على خوفك وخشيتك . وعبارة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

---

(١) يغشون — بالبناء للمفعول — أى يتردد إليهم — من غشيه : إذا جاءه — وهر الكلب يهر — من باب ضرب — هريراً : إذا صوت ، وهو دون النباح. يعنى أن منازلهم لا تخلو من الأضياف والعفاة ، فكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أى هم فى سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير — وهو السواد — إذا قصدوا نحوهم .



تُطَاعِنُ كلُّ خَيْــلٍ كُنْتَ فِيهَا ... وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الجِحَاشِ (١)

أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ ... وَإِنِّى مِنْهُمُ لَإِلَيْــكَ عَاشِ (٢)

بُلِيتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يَلْــقَى ... أُنُوفًا هُنَّ أَوْلَى بِالْخِشَــاشِ (٣)

وانتقامك ، فما برجو تكذساً لما خافه لشدة خوفه ، ولا راجيك يخشى أن تخيبه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح فى هذا البيت رواية من روى :

* فما خاشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير بخشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن المدح فى العفو — لا فى تحقيق الخشية — وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السَّرَّاء أنجز وعــده ... وإن وعــد الضَّرَّاء فالعفو مانعه

(١) النبيط : قوم بسواد العراق حراثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل — على حد قوله صلى الله عليه وسلم « ياخيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما يركبون الحمير : أى أن من كان معك كان شجاعا لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار يعشو فهو عاش : إذا أتاها ليلا . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدللت عليها ببصر ضعيف . قال الحطيئة :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

وقوله «منهم» حال من ضمير المخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتك من بينهم أطلب الخير كما تؤتى النار فى الظلام .

(٣) الخشاش : عود يجعل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللئام من الناس وأنها أولى بالخشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بلقاء غيرك من الرؤساء ولم يليقوا بى كما لا يليق الورد بأنوف الإبل .



عَلَيْكَ إذَا هُزِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي ... وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فِي هِرَاشِ [١]

أَتَى خَبَرُ الْأَمِيرِ فَقِيلَ كَرُّوا ... فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشِ [٢]

يَقُودُهُمُ إلَى الْهَيْجَا لَجُوجٌ ... يُسِنُّ قِتَالُهُ وَالْكَرُّ نَاشِي [٣]

وَأَسْرَجَتِ الْكُمَيْتُ فَنَاقَلَتْ بِي ... عَلَى إعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِي [٤]

(١) يقول: هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا. أى إذا افتقرت: فصرت كالمهزول الذى لا لحم له، وإذا سمنت — أى أثريت وكثر مالك — التفوا حولك وتهارشوا تهارش الكلاب يطلبون نوالك، وكذلك حال الناس، فقوله: عليك أى هم عليك؛ والمراد بالهزال والسمن: الفقر والغنى. والهراش: مأخوذ من مهارشة الكلاب. وقال الواحدى: المعنى: هم عيال فى الحرب فإذا رجعت بالغنيمة خيموا لديك وتهارشوا.

(٢) شاش: بلد فى ما وراء النهر. يقول: ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو، فقلت: نعم — تصديقا لهذا الخبر — يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش: أى ولو أمعن عدوه فى الهرب وكان بعيداً، وهذا من قول البحترى:

يُضْحِي مُطِلاًّ على الأعداء لو وَقَفُوا ... بالصِّين فى بُعدِها ما استبعدَ الصِّينا

قال ابن جنى: كان أبو العشائر قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كر عليهم راجعا، فيقول المتنبي: نعم يكرون — أى الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش. وقال ابن فورجه: الرواية بضم الكاف — كاف: كروا — والمعنى أتى خبر الأمير بظفره بالعدو، فقيل لنا معشر المستميحين: كروا، فقلت: نعم نكر، ولو لحقوا بشاش: أى ولو كان على البعد منا. والأولى أظهر.

(٣) أراد باللجوج: أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يغزوهم. ويسن قتاله: أى يطول، من أسن: أى طالت سنه — أى عمره. وناشى: هى ناشىء — بالهمز — خفف، أى حديث السن، يقول: إن هذا الممدوح يقود جيوشه إلى الهيجا — الحرب — وهو لجوج فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا؛ فهو فى آخر القتال، كما كان فى أوله؛ وفيه نظر إلى قول البحترى.

مَلِكٌ لَهُ فى كلِّ يومِ كريهةٍ ... إقْدامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرَّبِ

(٤) الكميت: ما كان بين الأشقر والأدهم من الخيل — يقال للذكر والأنثى — قال الكلجبة.

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تُذَبُّ عَنْهَا   بِرُمْحِي كُلُّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ (١)

وَلَوْ عُقِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ
حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلَّ مَاشِ (٢)

إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ   وَشِيكَ فَمَا يُنَكِّسُ لِانْتِقَاشِ (٣)

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُخْلِفَةٍ وَلَكِنْ   كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ بِهِ الأَدِيمُ

[يعنى أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك] .

والناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقا ، انفتق بطنها للحمل . والغشاش : العجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على عجلة قالوا : وهى كنانية . وأنشدت محمودة الكلابية :

وما أنسى مقالتها غِشاشاً   لنا والليلُ قد طَرَد النهارا

وصاتَكَ بالعهود وقد رأينا   غرابَ البينِ أوكبَ ثم طارا

[أوكب الطائر : تهيأ للطيران] أى أنها أسرعت بى على ثقلها وعلى عجلتى .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، والمريد ، وهو الذى قد أعيا خبثاً ، والتمردة الممتنعة . يصفحرسه بالخبث وترك الانقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتذب : تدفع . وكل نائب فاعل تذب ؛ وطائرة الرشاش : أى كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من الدم . يقول : هى من الخيل الشديدة للراس وإنى أصونها برمحى عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو عقرت فرسى — قطع عصب رجلها ؛ والمراد : هلكت فلم تحملنى إليه ، لبلغنى إليه حديث عنه — أى عن الممدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى المطية : أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصبوالإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكأن الحديث حمله إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطحبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تحملنى وأحملك . يريد تحدثنى وأحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشى ؛ هذا على رواية كل ماش بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير فى عنه للحديث : أى أن كل ماش يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها .

(٣) شيك : أى دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف الممدوح فى الحرب تاق إليهورغب فى صحبته فأسرع



تُزِيلُ مَخَافَةَ ٱلْمَصْـــبُورِ عَنْهُ   وَتُلْهِى ذَا ٱلْفِيَاشِ عَنِ ٱلْفِيَاشِ (١)

وَمَا وُجِدَ اشْتِيَاقٌ كَاشْــتِيَاقِى   وَلَا عُرِفَ انْـكِمَاشٌ كَانْـكِمَاشِى (٢)

فَسِرْتُ إِلَيْــكَ فِى طَلَبِ ٱلْمَعَالِى   وَسَارَ سِوَاىَ فِى طَلَبِ ٱلْمَعَاشِ (٣)

***

ـبيه لإعجابه حتى إنه ـ لذهوله ـ لو كان حافيا ودخلت شوكة فى رجله إذ ذاك لم يكد يحس بها فلا ينكس رأسه — لا يطأطىء — لإخراجها . وقيل: المراد بمواقفه ، مواقفه فى الجود والعطاء .

(١) المصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال: قتل فلان صبراً وهو أن يحبس حتى يقتل والفياش : المفايشة ـ أى المفاخرة ـ يقول : إن مواقف الممدوح فى القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء ـ فى تزيل وتلهى ـ للمخاطب : أى أنك أيها الممدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة ؛ إذ يستخذى إليك حين يسمع بمفاخرك ويقر بفضلك : وفى رواية « يزيل » و « يلهى » بالياء ـ

(٢) الانـكماش : الإشاحة والجد فى الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقى إليك ولم يسرع أحد سرعتى فى قصدك .

(٣) هذا كقول أبى تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الأَقْوَامَ يرجُوا نَوالَهُم   فإِنى لم أَخْدُمْكَ إِلا لِأُخْـــدَمَا

وقد تقدم .



قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإنفاذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ ... خِلَعُ الأَمِيرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ (١)

فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ ... وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ (٢)

وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ ... فِى الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ (٣)

---

(١) يقول : أحيتنا خلع الأمير وألبستنا الوشى ، كما يحيى المطر الأرض ويوشيها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم نقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير فى أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيما لشأنه ،أو يريد أرض مملكته ــ إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الخصب والنماء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسره به ، ومثله :

والذئبَ أخشاه إن مررتُ به ... وحدِى وأَخْشى الرياح والمطرا

(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير فى جودته وسلامته من السخف ، وكأن نقاءها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومى فى ثوب استهداه :

صَحِيحاً مِثْلَ رَأْيِكَ إِنَّهُ وَالْحَزْمَ فِى قَرَنِ

نَقِيًّا مِثْلَ عِرْضِكَ إِنَّ عِرْضَكَ غَيْرُ ذِى دَرَنِ

(٣) المذيق : الممذوق ؛ أى الممزوج . والمحض : الخالص ، وهما من أوصاف اللبن استعارهما للجود . يقول : إذا فوضت الأمر فى الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئا وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبان لك صحيح الرأى من معيبه ، لأن صحيح الرأى لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأى لا يعطى حتى يسال مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك ورأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفا وحياء أم أنه خالص يبعث به طبعه ونحيزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَـــيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ وَالْكَرَمُ المَحْـضُ[(١)]

وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بالرُّقَادِ وَإِنَّمَـا … بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِي الأَعْيُنِ الْغُمْضُ[(٢)]

شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ … لِأَنَّكَ بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

* * *

وقال فى بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا فى الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِى لَكَ لا يَمْضِي … وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِى الْعُيُونِ مِنَ الْغُمْضِ[(٣)]

---

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والمحض : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول أبى تمام :

لا تَعْتَلِلْ إنما بالمَكْرُماتِ إذا … أنتَ اعْتَلَلْتَ تَرَى الأَوْجاعُ والعِلَل

وقوله :

إنا جهلْنا فَخِلْنَـــاكَ اعْتَلَلْتَ ولا … والله ما اعْتَلَّ إلا المُلْكُ والأدبُ

وقوله :

وإنْ يَجِدْ عِلَّةً نُعَمْ بها … حتى تَرانا نُعادُ مِنْ مَرَضِهْ

ومثله لمسلم بن الوليد :

نالَتْكَ ياخَيْرَ الخَـــلائقِ عِلة … يفديكَ مِنْ مَـكروهِها الثقلانِ

فبِـكل قلْبٍ مِنْ شَـكاتِكَ عِلةٌ … مَوْصُوفة الشـكوَى بكلِّ لِسَانِ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله فى العيون : يروى فى الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن الرؤيا تستعمل فى المنام ؛ لـكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ، وكان ذلك ليلا — ليلة الإسراء — . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق وعجز البيت من قول ابن الرومى :

ولطَعْمُ اكتحالةٍ منه بالزا … ئر أحْلَى فى عينِهِ مِنْ رُقادِ

عَلَى أَنَّنِى طُوِّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ شَهِيدٌ بِهَا بَعْضِى لِغَيْرِى عَلَى بَعْضِى[1]
سَلَامُ الَّذِى فَوْقَ السَّمٰوَاتِ عَرْشُهُ تُخَصُّ بِهِ يَا خَيْرَ مَاشٍ عَلَى الأَرْضِ

***

(١) قال الواحدى : أأنصرف عنك ، مع أنك قلدتنى نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدل بنعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتنى به من نعمك ، فحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وقد سَبَقَت منه لىَ نعمة تقِرّ علىّ وإن لم أقِرّ



قافية حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة يشيعه ، وهبت ريح شديدة فقال :

لَا عَدِمَ الْمُشَيِّعَ الْمُشَيَّعُ ... لَيْتَ الرِّيَاحَ صُنَّعٌ مَا تَصْنَعُ (١)
بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ ... وَسَجْسَجٌ أَنتَ وَهُنَّ زَعْزَعُ (٢)
وَوَاحِــدٌ أَنْتَ وَهُنَّ أَرْبَعُ ... وَأَنْتَ نَبْعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ (٣)

***

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التى نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ، وذلك فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة(*) :

---

(١) المشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والمشيع — بصيغة اسم المفعول — غلامه يماك ، يدعو له . يقول : لا عدمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع ما تصنع أنت من نفع الناس .

(٢) بكرن ضرا : أراد بكرن — أى الرياح — يضررن ضرراً ، أو بكرن ذوات ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والزعزع : الريح الشديدة المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .

(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والشمال . والصبا ، والدبور . والنبع : شجر صلب تتخذ منه القسى ، وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متثن ، وكل شىء لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة فى هذه الغزوة بـمندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربضها وكنائسها وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياما ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أمسى ترك السواد وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِى بِأَكْثَرِ هٰذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعُوا(١)

الدمستق فى ألوف من الخيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقته وزرازرته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأثغار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقة الناس يحميهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو ، فجرح من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة المسير — وهى عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متياسراً فى طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى العشاء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أى أخذوا فى سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قريبة من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهاراً لم يرجع ، ومن بقى تحتها لم تكن فيه نصرة ؛ وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا مئات ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء : لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخديعة وخدعة : أى أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتخادع وانخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وانخدع : إذا استروح ريح الإنسان ، فدخل فى جحره لئلا يحترش ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،



أَهْلُ الحَفِيظَةِ إلاَّ أَنْ تُجَرِّبَهُمْ ... وَفِى التَّجَارِبِ بَعْدَ الغَىِّ مَا يَزَعُ[1]
وَمَا الحَيَاةُ وَنَفْسِى بَعْدَ مَا عَلِمَتْ ... أَنَّ الحَيَاةَ كَمَا لا تَشْتَهِى طَبَعُ[2]

وخدعت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نعسه ؛ أى ما مرت بها . قال المزق العبدى

أَرِقْتَ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعينَىَّ نَعسة ... ومن يَلْقَ مالاقيْت لابدّ يأْرَقُ[1]

(١) الحفيظة : الحمية والأنفة : والغى : الانهماك فى الجهل — خلاف الرشد . ويزع يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفى تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطتهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من عجز أصحاب سيف الدولة فى الغزاة التى جبنوا فيها ، وقال : هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام ويتزينون بذلك مالم تقع التجربة ، فإذا جربوا تركوا . وقال بعض الشراح : يريد بالغى الاغترار : أى وفى تجربة الشىء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكف عن الاغترار به .

(٢) الطبع : الدنس . وقوله ونفسى : فى موضع رفع عطفا على الحياة أى مع الحياة كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسى والحياة ؟ أى لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهاة دنس ، وشين لها ، فعلام الحرص إذن على هذه الحياة والركون إليها ؟ أى لا أريد حياة ولا أشتهيها إذا كانت كذلك ؛ وفيه نظر إلى قول قطرى بن الفجاءة :

وما لِلمرْء خَيرٌ فى حياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المَتاعِ

هذا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو طبع ؛ أى صدىء . قال القفعسى : وتروى لحكيم بن معية الربعى وأنشدها الأصمعى :

إنّا إذَا قلّتْ طخاريرُ القَزَعْ ... وصَدَرَ الشارِب منها عن جُرَعْ
نفحلها البيضَ القليلاتِ الطبعْ ... من كلّ عرّاضٍ إذا هُزّ اهْتَزَعْ
مثلِ قدامَى النسرما مَسّ بَضَعْ ... يَئُولُهَا تَرْعِيَةٌ غَـيرُ ورَعْ

---

(١) أى لم تدخل بعينى نعسة ، ثم قال : ومن يلق مالاقيت يأرق لابد : أى لا بد له من الأرق .



لَيس الجمال لِوجـــهٍ صَحَّ مارِنُهُ ... أنفُ العَزيزِ بِقَطْعِ العِزِّ يُجْتَدَعُ(١)
أأطْرَحُ المجْدَ عَنْ كِتْفِي وأطْلُبُهُ ... وأتْرُكُ الغَيْثَ في غِمْدِي وأنْتَجِعُ(٢)
والمَشْرَفِيَّـــةُ لا زَالَتْ مُشَرَّفَةً ... دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أوْ هِيَ الوَجَعُ(٣)

ليس بِفانٍ كِبَراً ولا ضَرَعْ ... تَرَى بِرِجْلَيهِ شقوقاً في كَلَعْ
من بارِىءٍ حيصَ ودام مُنْسَلِعْ(١)

(١) المارن : مالان من الأنف . واجتدع أنفه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح المارن بجميل ، فإن العزيز متى قطع عزه ذل ، فصار كمن جدع أنفه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

ليس جَدْعُ الأنوف عندي جَدْعاً ... إنَّ ذلَّ النفوس قتلٌ وجَدَعُ

واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أي ألزقه بالرغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره .

(٢) الانتجاع — في الأصل — طلب الكلأ ، ثم صار كل طلب انتجاعا والمراد بالغيث : لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بشيء آخر ؟ يقول : أأترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والنزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك في غمده ما ينتجعه ؟

(٣) المشرفية : السيوف ، والمشرفية : مبتدأ ؛ والخبر : دواء ؛ وجملة لازالت مشرفة : دعائية : ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فمعناه: لاكانت داء ، بل كانت دواء يقول: إن السيوف دواء الكريم أو داؤه ، لأنه : إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحتري :

وعِنْدَ بُقراطَ داءٌ لَوْ تأمّله ... قالَ الشفاءُ بحدّ البيضِ والأسلِ

---

(١) القزع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من الغيم . والطخارير : سحابات متفرقة ويقال أخلت إبلي : إذا أرسلت فيها خلا ؛ والبيض السيوف وتفحلها الخ يريد نعرقبها بالسيوف ، وهو مثل ، وأراد بالعراض : السيف البراق المضطرب ، واهتزع : اضطرب وكلعت رجله تكلع كلعا وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يئول فهو مؤئلها . ومنسلع متشقق .



وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ... فى الدَّرْبِ وَالدَّمُ فى أعْطَافِهَا دُفَعُ (١)

وَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فى قَلْبِهِ قَلَقٌ ... وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فى لَفْظِهِ قَذَعُ (٢)

بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ ... وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبى الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ (٣)

قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ ... عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ (٤)

لاَ يَعْتَقِى بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ ... كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلاَ شِبَعُ (٥)

---

(١) يريد بفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبتها فى مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت : أى أسرعت فى الهزيمة فزعا : ووقرها : ثبتها والدرب : المضيق والمدخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم فى أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة . وقال ابن جنى تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كقولك شاعر القوم؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعراً ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر، بل تعمهما الصفة لأنه يجرى مجرى أشعر الرجلين ، فلابد من أن يكونا شاعرين. ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحدته : أى الخيل — أى تركته وحيداً . والقذع : الفحش . يقول فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بانحيازها عنه فلم يك فى لفظه فحش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبى الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا لم تكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقانب : جمع مقنب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والنهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملجمة ولم يتفرغوا — لشدة السير — أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد فى لقاء العدو .

(٥) لا يعتقى : أى لا يعتاق : يقال عاقه واعتاقه ، ثم يقلب ؛ ويقال : عقاه واعتقاه يقول : إن سيره إلى بلد لفتحه لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كالموت الذى يعم فلا يرتوى



حَتَّى أقامَ عَلَى أرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبِيَعُ (١)

لِلسبي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا (٢)

مُخْلًى له الْمَرْجُ مَنصُوباً بصارِخَةٍ لَهُ الْمَنَابِرِ مَشْهُوداً بِهَا الْجُمَعُ (٣)

يُطمِعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أحْيَائِهِمْ تَقَعُ (٤)

وَلَوْ رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا (٥)

ولا يشبع : أى لا يقنعه كثرة من يغنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو يفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العمارة — الضواحى — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم ، لانه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسبى نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم :هذا : وقد أقام ما : مقام من فى المصراع الأول ليوافق «ما» فى المصراع الثانى ،على حد قوله تعالى «والسماء وما بناها»ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبى نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العكبرى :واللام فى قوله للسبى : لام العاقبة . كقوله :

* لِدُوا لِلموتِ وابْنُوا للخَراب *

أى عاقبتهما هذا وقد زاد المتنبى على أبى تمام فى قوله :

لم تبقَ مُشْرِكَةٌ إلا وَقَدْ عَلِمَتْ إنْ لمْ تَتُبْ أنهُ للسَّبْيِ ما تَلِدُ

(٣) المرج : موضع ببلاد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومخلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهوداً : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب المنابر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية فى النكاية بهم حتى أخلى له المرج ونصبت المنابر التى هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم فى غدواتهم وروحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل

ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُودُ الغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ (١)
فِيهَا الكُمَاةُ الَّتِى مَفْطُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الجِيَادِ الَّتِى حَوْلِيُّهَا جَذَعُ (٢)
تَذْرِى اللُّقَانُ غُبَاراً فِى مَنَاخِرِهَا وَفِى حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ (٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمى أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتى وحوارِيى من أمتى » أى خاصتى من أصحابى وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ؛ وكذلك الحوارى من الدقيق : سمى به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء: النقيات الألوان والجلود لبياضهن ؛ ومنه الحور العين : لبياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لبياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظافتهن . قال أبو جلدة :

فقل لِلحَوارِيّاتِ يَبْكِينَ غيرَنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابِحُ
بَكينَ إلينا خيفَةً أن تبيحَها رماحُ النصارَى والسيوفُ الجوارح

[جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدمستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : ورأى الدمستق كتائب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعا متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن جنى : تحير حتى أنكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فلما التقى الجمعانِ لم تجتمع له يَدَاهُ ولم يَثْبُتْ على البيض ناظره

(٢) فيها : أى فى سود الغمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكماة : جمع كمّى ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى الذى أتى عليه حول . والجذع الذى أتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع ببلاد الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع —



كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِى الأَجْوَافِ مَا تَسَعُ(١)
تَهْدِى نَوَاظِرَهَا وَالحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنَ الأَسِنَّةِ نَارٌ وَالقَنَا شَمَعُ(٢)

ما شربته ، فماء هذا النهر فى حلوقها وقد وصل إلى مناخرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبارة ابن الأقليلى : وصلت اللقان وحناجرها لم تجف من ماء النهر. يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جنى : لا تستقر فتشرب ، إنما تختلس الماء اختلاسا بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت الماء قليلا لعلمها بما يعقب فى الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم لأن طعن فوارسها يفتح فى أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطعن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :

طَعَنْتُ ابنَ عَبدِ القيسِ طَعْنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشعاع أضاءها(١)
مَلَكْتُ بها كَفِّى فأنهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قائمٌ مِن دونِها ما وراءَها(٢)

وعبارة ابن الإفليلى : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقا ، وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم ويخرق مالا يضيق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقُدُّ السَّلوقِىَّ المضاعَفَ نسجُهُ وتوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ

[السلوقى : الدرع المنسوبة إلى سلوق ـ قرية باليمن ـ والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة . وقيل: الحباحب ذباب يطير بالليل ـ كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدى . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع ـ الغبار ـ هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة نارا جعل القنا شمعاً ، والأسنة فى رءوس القنا ـ كما هو معروف ـ قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النمرى :

ليلٌ من النَّقْعِ لا شمس ولا قمرٌ إلا جَبِينُكَ والمَذْرُوبَةُ الشُّرُعُ(٣)

ولقد أحسن البحترى فيه بقوله :

مَدَّ ليلاً من العَجَاجِ فما يَمْ شونَ إلا بِضَوْءِ السيُوفِ

(١) النفذ : الثقب ؛ والشعاع: حمرة الدم؛ أى لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.
(٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أوسعت .
(٣) المذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .



دُونَ السِّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةً ... عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقْوَرَّةُ الْمُزُعُ(١)
إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجاً حَالَ بَيْنَهُمَا ... أَظْمَى تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضِّلَعُ(٢)
أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الْفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ ... إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعُ(٣)
وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبِيضِ مُنْفَلِتٌ ... نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَحْشَائِهِ فَزَعُ(٤)
يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْراً وَهْوَ مُخْتَبَلٌ ... وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلاً وَهْوَ مُمْتَقَعُ(٥)

---

(١) يقال لوهج الصيف وغبراته : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل ـ على مالم يسم فاعله ـ إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطافحة : حال ـ أى مسرعة ـ يقال طفح يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة. والمزع : السريعة ـ يقال مزع الفرس والظبى يمزع : إذا مر مسرعا خفيفاً . يقول : قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتيهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فتطؤهم بحوافرها . وكان لسيف الدولة غزوتان فى كل سنة : غزوة فى الربيع ، وغزوة فى الخريف . وروى ابن جنى « دون السهام » بكسر السين ـ ودون القر : أى قبل أن تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل المسرعة الضامرة . قال ابن جنى : سألته ـ أى المتنبي ـ فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم .

(٢) العلج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأظمى : يعنى رمحا أسمر ، ومنه : تعليل . يقول : إذا استعان العلج بعلج آخر حال بينهما رمح أظمى يفرق بين الضلعين، فكيف بين العلجين ؟

(٣) الفقاس : جد الدمستق . وقال ابن جنى : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بعدهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكتف ـ مشدود الكتفين ـ لأنه قاتل حتى أسر ـ وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلاـ وأشجع منه قتيل مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفى قلبه منها فزع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . ولله أبو تمام إذ يقول :

إنْ يَنجُ منك أبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ ... تنجوا الرِّجالُ ولٰكنْ سَلْهُ كيف نجا

(٥) المختبل : الذاهل المضطرب ؛ والممتقع : المتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه

كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا ... لِلبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعُ[(١)]

يُقَاتِلُ الخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ ... وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ[(٢)]

تَغْدُو المَنَايَا فَلا تَنْفَكُّ وَاقِفَةً ... حَتَّى يَقُولَ لهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ[(٣)]

قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ إنَّ المُسْلَمِينَ لَكُمْ ... خَانُوا الأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا[(٤)]

فيعيش فى الأمن حينا من الدهر وهو ذاهل مختبل العقل لشدة مالحقه من الفزع ، ويحتسى الخمر وهو ممتقع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الخمر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها .

(١) الحشاشة : بقية الروح . والبطريق الفارس من الروم أو القائد . وتضمنها : كفلها . والباترات : السيوف . والورع : التقى والكف عن المحارم ، والمراد بالأمين : الذى لا ورع له : القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله ، فأرواحهم فى ضمان القيد للسيوف ؛ قال العكبرى : وقوله : أمين ماله ورع من أحسن الكلام ، لأن الأمين هو الذى يؤتمن على الأشياء فلابد له من ورع .

(٢) يقاتل ويطرد : أى الأمين ، وهو القيد ؛ وعنه : أى عن المقيد . يقول : إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد المشى قاتله بتضييقه . يريد أوجعه بالضيق على ساقيه ، فكأنه يقاتله ؛ وإذا أراد النوم منعه ؛ فكأنه يطرده عنه . ولعله ينظر إلى قول أبى نواس :

إذَا قامَ أعْيَتْه على السَّاق حِلْيَةٌ ... لها خَطْوُهُ وَسطَ الفِناء قَصِيرُ

(٣) يقول : إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة . فهى إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم ، ومثله قول بكر بن النطاح :

كأنّ المَنايا ليسَ يَجرِينَ فى الوَغى ... إذا التقَتِ الأبْطَالُ إلا بِرَأْيِهِ

ويقول صريع الغوانى :

كأنّ المَنايا عالِماتٌ بأمْرِهِ ... إذا خَطَرَتْ أرماحُهُ وَمَناصِلُهْ

(٤) المسلمين ــ بفتح اللام ــ الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه ، وذلك أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر : غادر ذلك الموضع وبقى فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقى فيه رمق من القتلى ، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلوهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم ، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَاماً فى دِمائِكُمُ ... كأَنَّ قتلاكُمُ إيَّاهُم فَجَعُوا[1]
ضَعْفَى تعِفُّ الأيادِى عَنْ مِثالِهِمِ ... مِنَ الأعادِى وَإنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا[2]
لا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كانَ ذا رَمَقٍ ... فلَيْس يأكُلُ إلاَّ المَيِّتَ الضَّبُعُ[3]
هَلاَّ عَلَى عقبِ الوَادِى وَقَدْ صَعِدَتْ ... أُسْدٌ تَمُرُّ فُرادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ[4]

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا فى البيت التالى .

(١) فى دمائكم : أى فى دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفجوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشىء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء الذين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوهم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتم ولا تظنوهم كان فيهم رمق — بقية حياة — وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لخستكم ودناءة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبع لا تفترس إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبع تخنق عشراً من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أخبث السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتم كان ذا رمق » لكان أوضح وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبة وفرادى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفراداً لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إذا الشَّرُّ أَبْدَى ناجذَيْهِ لهم ... طارُوا إليهِ زَرَافاتٍ وَوُحْدَانَا

قال العكبرى : قوله ،هلا يريد هلا صبرتم ، أو هلا وقفتم مثلا ، لأن هلا للتحضيض ولابد لها من الفعل — مظهراً أو مضمراً — ومنه قول جرير :

تعدون عقرَ النيبِ أفضل مجدِكم ... بَنِى ضَوطَرَى لولا الكمىُّ المقنعا[1]

---

(١) تعدون هنا بمعنى تجعلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن

تَشُقُّكُمْ بِفَتاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ ما يَدَعُ[(١)]

وَإنَّما عَرَّضَ اللهُ الْجُنودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلاَ فَسْلٍ إذا رَجَعُوا[(٢)]

فَكُلُّ غَزْوٍ إلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وَكُلُّ غازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ[(٣)]

أى هلا عددتم الكمى المقنع ؟

(١) السلهبة : الطويلة من الخيل . يقول : يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتى عليه الضرب أكثر ممن يدعه . وروى بقناها : أى برماحها ؛ أى تشقكم كل سلهبة برمحها ، والمراد كل صاحب سلهبة ، لان أصحاب السلاهب ـ الخيل ـ وفرسانها هم الذين يشقون بالطعن . هذا : ويدع : مضارع فعل ترك استعماله .

(٢) الفسل : الرذل الدنىء العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود ـ الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة . . وهم الأوباش الذين قتلتموهم ـ ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة فى الأبطال المتخبين ليس فيهم فسل ولا دنىء . قال الواحدى : كل الناس رووا « بكم » والصحيح فى المعنى لكم ـ باللام ـ لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له . ويجوز أن تكون بكم : من صلة معنى التعرض ، لا من لفظه ، ومعناه : إنما ابتلى الله الجنود بكم : أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة .

(٣) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له ـ لا عليه ـ لأن الأوباش والضعفاء من جنوده قد قتلوا ، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له . لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

يكون من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، تقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم ؛ فلما أسقط الخافض : تعدى الفعل فنصب ؛ وبنو ضوطرى : حى معروف. وقال ابن سيده : يقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء : بنو ضوطرى ؛ ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق الخ . ومعنى البيت : إنكم تعدون عقر الإبل المسنة التى لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم ، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم ؟ وهذا تعريض بجبنهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران :



يَمْشِى الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمِ ... وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِى وَتَبْتَدِعُ(١)
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فَارِسَهُ ... وَكَانَ غَيْرَكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرَعُ(٢)
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَىْءٌ وَلاَ يَضَعُ(٣)
لَمْ يُسْلِمِ الْكَرُّ فِى الأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ ... إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الأَصْحَابُ وَالشِّيَعُ(٤)
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الأَقْدَارِ مُعْطِيَةٌ ... فَلَمْ يَكُنْ لِدَنِىءٍ عِنْدَهَا طَمَـــعُ(٥)

---

(١) يقول : إن أفعالك أبكار لم يسبق إليها ، فأنت مبتدع فى كل مأثرة لا متبع أحداً فيها ، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم .

(٢) الضرع : الضعيف . يقول : إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يعيبك عجز العاجز . يريد أن قتلهم وأسرهم ضعاف أصحابك لا يشينك . قال الشراح : وفى نظم هذا البيت عيب عند الحذاق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغى أن يقول فى صدر البيت الاول : « كنت حازمه » لما قال فى العجز العاجز الضرع ، لأن ضد الحازم العاجز . أو يقول فارسه وجبانه .

(٣) ولا يضع : أى ولا يضعه شىء . يقول : من بلغ الغاية فى الرفعة فليس وراء الغاية موضع . وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد .

(٤) أسلمه : خذله . والكر : الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى ، والأعقاب جمع عقب ، وهو مؤخر كل شىء ، واسم كان : ضمير الشأن : والجملة بعدها خبرها ؛ والشيع : الأتباع . يقول : إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء فى الأعقاب — أى أواخر الخيل — لم يخذله : يعنى أنه من شجاعة نفسه فى منعة ، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ، ومثله لأبى تمام :

ما غاب عنه من الإقدامِ أشرفُهُ ... فى الرَّوْعِ إن غابتِ الأنصارُ والشِّيَعُ

(٥) الدنىء : مهموز ، وقال ابن جنى قلت له — للمتنبى — : عندالقراءة عليه أأهمزه ؟ قال : لا تهمزه ، فقلت له : هو من باب المهموز . فقال لا : ألا ترى الإجماع على قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » بترك الهمزة ؟ أقول : والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الخسيس : لا يهمز — كما هنا — أما الدنىء بمعنى الخبيث الماجن ، فإنهم يهمزونه . قال أبو زيد فى النوادر : رجل دنىء : هو الخبيث البطن والفرج دنؤ دناءة ، ورجل دنى ، وقد دنى يدنى ، ودنو يدنو دنوا ، وهو الضعيف الخسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر فى كل ما أخذ فيه ، وأنشد :

رَضِـيتَ مِنْهُمْ بأَنْ زُرْتَ الْوَغى فرَأَوْا
وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبِيضِ فَاسْتَمَعُوا[١]
لَقَدْ أَبَاحَـكَ غِشًّـا فى مُعامَـلَةٍ
مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِـعُ[٢]

فلا وأبيك ما خُلُقِى بِوَغْرٍ ولا أنا بالدنِيِّ ولا المُدَنَّى[١]

يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم فى الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع فى نوالهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته فى الفضل .

(١) الحبيك : جمع حبيكة ــ كسفين وسفينة ــ وهى الطرائق تكون فى السماء وفى الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ، والبيض . إما قراءتها بفتح الباء ــ جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد تجعل على الرأس للوقاية فى الحرب ــ وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أى السيوف ، وحبيكها تلك الطرائق التى فى السيوف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعك فى الوغى ــ الحرب ــ دون أن يباشروا القتال : يعنى أنا الذى أباشر القتال معك دون غيرى من الشعراء

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق. يعنى شعرهؤلاء الشعراء :أىأنهؤلاءالشعراءإنما يتقربونإليك ويأخذون أموالك بذلكالشعرالكاذبالذى لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال،فكأنهم يغشونك . أما أنا : فإنىأصدقك إذ أمدحك وأباشر معك القتال. وعبارة العكبرى:من لم يصدقك بقوله فقد غشك،فإنهيظهر لك الشجاعة والجبن عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس عنده . قال ابن وكيع : لو قال« من كان منك بغير الصدق» لسلم من الاعتراض . وقال الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعنى أنى قد صدقتك فيما ذكرت ، لأنى لو لم أصدقك كنت قد غششتك. قال :ويجوز أن يكون المعنى: إن منغشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه فى معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشا لأنه جزاء الغش . وقوله على هذا« بغير الصدق » أى بغير صدق اللقاء .يعنى بالنظر والسماع .

---

(١) الدنى : المقصر عما ينبغى أن يفعله .



الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ... وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ(١)
وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ ... وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدَعُ(٢)
وَمَا حَمِدْتُكَ فِى هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ ... حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ(٣)
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ ... وَقَدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ بِهِ زَمَعُ(٤)
إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ... وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبُعُ(٥)

* *

---

(١) المصطاف والمرتبع : المنزل فى الصيف والربيع . يقول إن الدهر معتذر إليك مما فعل — يعنى من قتل الروم ضعفاء أصحابك — والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وربيعاً تنزلها متى شئت، إذ هى ملكك. وصدر البيت من قول أبى تمام :

عَضْباً إذا سَلَّهُ فى وجه نائبةٍ ... جاءتْ إليه صُرُوفُ الدهرِ تعتذرُ

وعجزه من قوله أيضا :

وأقمت فيها وادِعاً مُتَمَهِّلا ... حتى ظننا أنها لكَ دارُ

(٢) نصران ونصرانى : واحد ؛ والأعصم : الوعل الذى فى إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالمسن ولا بالصغير : أى الفق . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لانها لا تحميهم ؛ ولو أن أو عالها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصعة : التقاتل والتجالد بالسيوف ؛ وامتصع فى الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمدك على شجاعتك وثباتك فى الحرب إلا بعد أن بلوتك — خبرتك وجربتك — أى قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الخفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطىء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذى تعتريه الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعنى إنى قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطىء ولم أكذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والسبع :خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن؛ والمخلب: للطير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسداً يفترس .

وقال فى صباه يمدح على بن أحمد الطائى :

حُشَاشَةُ نفسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَـلَمْ أدرِ أىَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ (١)

أَشَارُوا بِتَسْليمٍ فَجُدْنَا بأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الآمَاقِ وَالسِّمِ أَدْمُعُ (٢)

حَشَاىَ عَلَى جَمْـــرٍ ذَكِىٍّ مِنَ الهوَى وَعَيْنَاىَ فى رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ (٣)

---

(١) الحشاشة : بقية الروح فى المريض ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعتنى وفارقتنى يوم ودعنى الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائراً لاأدرى أى المرتحلين أودع ؟ يعنى الحشاشة والحبيب المودع فى جملة من ودعو . فقوله : الظاعنين بلفظ التثنية ـ وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكرهم فى قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدا بعضهم ذاتَ اليمينِ و بعضهمْ شِمالا وقلبى بينهم مُتَوزَّعُ

(٢) المؤق : طرف العين ممـا يلى الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بئر وآبار ، والسم : لغة فى الاسم ـ بكسر السين ، وضمها ، وفتحها ـ يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أى أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا فى صورة دموع ؛ ومثله :

خَليلىَّ لا دَمْعاً بَكَيْتُ وَإِنَّمَا هِىَ الرُّوحِ مِنْ عَينِى تسيل على خَدِّى

ويقول بشار :

وليس الذى يجرى من العين ماءها ولـكنَّها رُوحى تَذوبُ فَتَقطـرُ

ويقول ديك الجن :

ليس ذا الدمع دمعَ عَينى ولـكن هى نفسى تذيبهــا أنفاسى

ولابن دريد :

لا تحسـبوا دمعى تحَدُّرُ إنَّهَا رُوحى جَرت فى دَمعىَ المتحدر

(٣) الحشا : مافى داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول : قلبى على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناى ترتعان من وجه الحبيب فى روض من الحسن ، ولله أبو تمـام حين يقول :

أَفِى الحق أَنْ يُضْحِى بقلبىَ مأْتَمٌ مِنَ الشوق والبلوَى وعيناىَ فى عُرْسِ

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِى بِنَا
غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْ شَكَتْ تَتَصَدَّعُ (١)

بِمَا بَيْنَ جَنْبَيَّ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا إِلَيَّ الدَّيَاجِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّعُ (٢)

والأصل فى هذا المعنى قول ابن الدمينة :

غدَتْ مُقلتِي فى جنة من جمالها وقلبى غدًا مِن هجرها فى جَهنم

هذا : وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد إحداهما برؤية دون الأخرى ، فاكتفى بضمير الواحد . قال العكبرى : وأفرد الخبر لأن العينين – وهما عضوان مشتركان فى فعل واحد مع اتفاقهما فى التسمية – يجرى عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى باشتراكهما فى النظر : كاشتراك الأذنين فى السمع ، والقدمين فى المشى ؟ وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة فى الخبر والمخبر عنه ، فتقول : عيناى رأتاه ، وأذناى سمعتاه . والثانى : أن تخبر عن اثنين وتفرد الخبر – كبيت أبى الطيب – فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تعبر عن اثنين بواحد وتفرد الخبر ، فتقول : عينى رأته ، وأذنى سمعته . والرابع أن تعبر عن اثنين بواحد ، وتثنى الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عينى رأتاه وأذنى سمعتاه ، كقول الشاعر :

إذا ذكرت عينى الزمان الذى مضى بصحراء فَلجٍ ظلَّتا تكِفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

ولَوْ أنّ الجبال فقدنَ إلفًا لأوْشكَ جامدٌ منها يذوبُ

(٢) بما بين جنبي : أي أفديها بما بين جنبي ؛ يعني قلبه أوروحه . فالباء للتفدية ؛ وقال ابن القطاع : يريد هى مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبي . والدياجى : جمع ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة، كما قالوا: مكوك ومكاكى . والخلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والهم ، والهجع : النيام . يقول : أفدى بقلبي المرأة التى أتانى خيالها فى ظلام الليل فقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالمتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ، لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعسة؛ وغيره من الخليين نام جميع ليلته .

أَتَتْ زَائِراً مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا ... وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ (١)

فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْثَنَتْ تُوسِعُ الْخُطَا ... كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ (٢)

فَشَرَّدَ إِعْظَامِى لَهَا مَا أَتَى بِهَا ... مِنَ النَّوْمِ وَالتَّاعَ الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ (٣)

فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا ... وَسُمُّ الأَفَاعِى عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ (٤) ؛

تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى ... فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لاَ يَذِلُّ وَيَخْضَعُ (٥)

---

(١) زائرا : حال من فاعل أتت : أى أتت خيالا زائراً؛ وخامر : خالط؛ والكاف فى «كالمسك» اسم ، بمنزلة مثل ، مبتدأ ؛ والخبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع ردن أصل الكم . ويتضوع : يفوح : يقول : أتت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تتعطر، ومثل المسك يفوح من ثيابها ، لأنها طيبة الرائحة طبعاً — لا تطبعا — كما قال امرؤ القيس :

ألم تريانى كلما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطَيَّبِ ؟

أى أن طيبها خلقة فيها لا تتكلفه .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاماً : استعظمه ، وما : موصولة ، وهى مفعول شرد . ومن — فى قوله من النوم — بيانية . والتاع : احترق ، واللوعة . الحرقة ، والمفجع : الموجع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها ، فنفى ذلك نومى الذى أتى بها ، واحترق قلبى لفقد رؤيتها .

(٤) تجرعة : شربه على تكلف واستكراه ، يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقنى فيها خيالها فتجرعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها ، فحذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم منقاداً مطيعا لها ، والخضوع فى القرب : الطاعة والانقياد ؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لفظها ، وذلك آية المحب ، كما قال أبو نواس :

أيا كثيرَ النوحِ فى الدِّمَنِ ... لا عليها بل على السكنِ

سُنَّةُ العُشاقِ واحدةٌ ... فإذا أحببتَ فاستكنِ

ويقول :

كن إذا أحببتَ عبداً ... لِلذى تهوَى مُطيعا

لن تنالَ الوَصْلَ حتى ... تُلزِمَ النفسَ الخضوعا

وَلاَ ثَوْبُ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ ... عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ بِلُؤْمٍ مُرَقَّعُ(١)
وَإِنَّ الَّذِى حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ ... بِهِ اللهُ يُعْطِى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ(٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تحمَّلْ عظيمَ الذنبِ مِمَّنْ تحُبُّه ... وإن كنت مظلوماً فقُلْ أنا ظالِمُ
فإنك إن لم تحمِلِ الذنبَ فى الهوى ... يفارِقْك مَنْ تَهوَى وأنفُكَ راغِمُ

(١) يقول : إنه لم يسلم المجد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للممدوح . ولا ثوب : روى بالرفع عطفاً على عاشق — فى البيت السابق — وبالنصب : على جعل لا : نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : الممدوح ؛ وعلى أحد : صلة ثوب الأول . واللؤم الخسة ، ضد الكرم . ومرقع : خبر ، ورواها ابن جنى ، يرقع .

(٢) جديلة : رهط الممدوح من طىء . قال ابن جنى : حابى : بمعنى حبا : أى أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديلة هذا الممدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جنى : حابى : بمعنى حبا ، مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة — التى هى يعطى وفاعله — خبر إن ؛ واسم إن : الذى قال . العكبرى : وخولف فى هذا فقيل : معنى حابى بارى ، تقول : حابيت زيداً : إذا باريته — مثل باهيته — فى العطاء ؛ وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد الشجرى : فعلى هذا يكون فاعل حابى : مضمراً فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله : مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابى به جديلة فى الحباء الله يعطى من يشاء ، ومفعول يمنع : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول يشاء المذكور والمحذوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للممدوح . وقال العكبرى : أصل حابى : فاعل ، ولا يكون إلا من اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وعافاه الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابى : بمعنى حبا ، كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاه الرشيد خراسان :

إنَّ خراسان وقد أصبحتْ ... ترفَعُ مِنْ ذى الهمة الشانَا
لم يحْبُ هرُونُ بها جعفراً ... وإنما حابَى خراسانا



بِذِى كَرَمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ ... عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةً مِنْهُ تَطْلُعُ(١)
فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ ... وَأَرْحَامُ مَالٍ لاَ تَنِى تَتَقَطَّعُ(٢)

وقد جاء حابى : بمعنى بارى فى قول سبرة بن عمرو الفقعسى :

نُحابِى بها أكفاءنا ونُهينها ... ونشرب فى أثمانِها ونقامِرُ

وقد جاء حابى بمعنى اختص ، قال :

اصْبرْ يَزيد فقد فَارقْتَ ذا ثِقةٍ ... واشكرْ حِباء الذى بالملكِ حابا كا

وقال الواحدى : وحابِى لا يكون بمعنى حبا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة : أى غالبهم وباهاهم فى العطاء ـ يعنى الممدوح ـ به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله: به الله ، خبر«إن» .

(١) بذى كرم : بدل من قوله به ـ فى البيت المتقدم ـ ، يقول : لم يمر يوم وشمس ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالذمم من هذا الممدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو ـ فى قوله وشمسه ـ واو الحال ؛ وشمسه : مبتدأ ؛ وجملة تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تميز ، وأوفى: صفة لمحذوف أى على رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتتصل اتصال الأرحام ، وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تتقاطع أرحامها . فقوله:لاتنى : أى لا تزال . وقل الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ، فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفتر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تتقطع . وشدد النون ـ فى لدنه ـ للضرورة ، ويروى : يتصلن ببابه . وقال ابن جنى : قوله لدنه : فيه قبح وشناعة ، وليس هو معروفاً فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون أخرى : نحو لدنى ولدنا . هذا كلامه . وقد يحتج لأبى الطيب فيقال : شبه بعض النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، بحمل أحد الضميرين على الآخر ، وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فحذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتعد ، فحذفوا الفاء أيضاً ، وليس هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن : القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إنّ شَكْلِي وإنّ شَكْلكِ شَتّى ... فالْزمِي الْخُصّ واخفضى تَبْيَضّضِي



. . . .

فزاد ضادا ، وقال سحيم :

وما قرية من قُرَى مَيسناً   نَ مُعجبة نظرا واتصافا[١]

أراد : ميسان ، فحذف وزاد نونا . وقال الأسدى .

وجاشت مِن جِبال الصُّغْد نفسى   وجاشت منْ جِبال خُوَارزِمِ

أراد خوارزم فغيرها . وقال الجرجانى : لما كانت الهاء خفيفة ، والنون ساكنة ، وكان من حقها أن تتبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ، فهذه علة وقرينة تحتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرفى العلة — الواو والياء — لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف فى الوقف إذا كانت خفيفة نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا فى الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها كما جعلت إعرابا فى التثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لتقاء الساكنين فى نحو: اضرب الغلام — بفتح الباء — فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحتمله من الزيادة . وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء فى الصياريف فى قوله :

تَنْفِى يداها الحصى فى كل هاجرةٍ   نَفْىَ الدراهِمَ تَنقَادِ الصياريف[٢]

وزيادة الواو فى قوله :

* مِن حيثما سَلكوا أدْنو فأنظورُ *[١]

---

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق .

(٢) الدراهم : روى الدراهيم ، وروى : الدنانير . ونفى : مضاف إلى تنقاد — من إضافة المصدر إلى فاعله — والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول — وهو الدراهم — بين المتضايفين . وروى أيضاً : بإضافة نفى إلى الدراهم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر إلى مفعوله . قال الأعلم : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير فى الهواجر . يقول إن يديها لشدة وقعهما فى الحصا ينفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير إذا انتقدها الصيرفى فينفى رديئها عن جيدها ، وخص الهاجرة لتعذر السير فيها .

(١) عجز بيت ثان أنشدهما الفراء وهما :

الله يعلم أنّا فى تلفتنا   يوم الفِراق إلى أحْبابِنا صُورُ

وأننى حيثما يَثْنِى الهوى بصرى   من حيثما سلكوا أدنو فأنظور

. . . .

يريد : فأنظر وزيادة الألف فى منتزح من قول ابن هرمة :

فأنت من الغوائل حين تُرمَى ومن ذمّ الرجال بِمُنْتزَاح

يريد بمنتزح . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه سديد ، كما ذكرنا العلة فى إدغام النون فى الجيم . فى قراءة عبد الله بن عامر وأبى بكر بن عباس فى كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة فى شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء فى القرآن « من لدنى ومن لدنه ، ومن لدن حكيم عليم » وقد غاب عن أبى الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فإنّ الكُثْرَ أعيانى قديما ولم أُقْتِرْ لدُنْ أنى غلام (١)

وقول كثير :

وما زلت من ليلى لدُنْ إنْ عَرَفْتُها لكالهائم المُقصَى بِكلّ سبيل (٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما ، وحوث : لغة فى حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا فى الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثما : متعلق بأدنو وبأنظر : أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أدنو فأنظور : روى أثنى فأنظور : أى أثنى عنق فأنظر نحوهم : من ثناه ، بمعنى لواه .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعيانى هو ، قال ابن السيرافى فى قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وحين شبابى فلم أبلغ مافى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفتقر بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

ألا حَيِيا ليلى أجدّ رحِيلى وآذن أصحابى غدا بقفول

ومنها :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل



فَتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ   أَقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ (١)

غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمْطِرٌ لَيْسَ يُقْشِعُ   وَلاَ الْبَرْقُ فِيهِ خُلَّبًا حِينَ يَلْمَعُ (٢)

إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ   إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ (٣)

وقول القطامى :

صريعُ غوانٍ راقهن ورُقْنَهُ   لدنْ شَبَّ حتى شاب سودُ الذوائبِ (١)

(١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه فى زمانه ألف جزء ، أقل جزىء من هذه الأجزاء الألف بعضه ـ أى بعض جزئى من رأيه ـ الرأى الذى فى أيدى الناس كله ، فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف‌جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر وأقل جزىء مبتدأ ، والجزىء : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول ، والرأى : خبر المبتدأ الثانى ـ وهو بعضه ـ والجملة : خبر الأول ـ وهو أقل ـ وأجمع : توكيد للرأى . والمعنى : أن هذا الممدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالدى الناس من الرأى : قال العكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لوْ تَرَاهُ يا أَبَا الحَسَنِ   قَمراً أَوْفَى عَلَى غُصُنِ

كلّ جُزْءٍ مِنْ محاسِنِهِ   فيهِ أَجْزَاءٌ مِنَ الفِتَنِ

(٢) المطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب : أقلع وتفرق ، يقال أقشع وانقشع وتقشع ، والبرق الخلب : المخلف الذى لا مطر فيه وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يمطر علينا العطايا دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يمطر مرة وينقشع أخرى ، وإذا رجوناه بلغنا منه أوفى مانرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلا ، ولما جعله غماماً جعل له المطر ، وبرقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحترى :

رأيتك إن مَنَّيْتَ منيت موعداً   جَهاماً وإن أَبْرَقْتَ أبرقت خُلَّبا

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

---

(١) الصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغوانى : جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ، وراقهن أعجبهن ، والذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الخصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريع مغلوب على أمره من جراء الحسان اللائى تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب

. . . .

وحوائج — على غير قياس — كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمعى ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير فى كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهارُ المَرء أمْثلُ حِينَ تُقضى حوائجه من الليــل الطويل

وأنشد ابن الأعرابى :

مَنْ عَفَّ خَفَّ على الوجوه لقاؤه وأخُو الحَوائج وَجْهه مبــذول

والحوجاء : الحاجة . يقال : مالى فيه حوجاء ولا لوجاء . قال قيس بن رفاعة :

مَنْ كان فى نفسهِ حوجاء يطلبها عِندِى فإنى له رَهْنٌ بإصْحارِ
أُقيم نَخْوَتَهُ إنْ كَانَ ذا عِوَج كما يُقوِّمُ قِدْحَ النَّبعَةِ البارى[1]

والمشفع : الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه فى قضائها ، وإذا كان المسئول شفيعاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبتة . ومثل هذا قول الخريمى :

شفعَتْ مَكارِمه لهمْ فَكَفتهمُ جَهدَ السؤالِ ولطف قوْلِ المَادحِ

وقول أبى تمــام :

طَوَى شِيما كانَتْ تَروح وتَغتدِى وسَائِلَ مَنْ أعْيَتْ عَليهِ وسائله

وقال الحطيئة :

وذاكَ امرؤٌ إنْ تَأتِهِ فى نَفيسَةٍ إلى مالهِ لا تأتِه بشَفيعِ

ولأبى العتاهية :

فياجُودَ مُوسى نَاجِ موسى بحاجَتِى فمالى سوى مُوسَى إليــه شَفيعُ

ولابن الرومى :

أبا الصَقرِ منْ يشْفَعْ إليك بِشافع فمالى سِوَى شِعْرى وَجُودِك شافعُ

(١) قوله بإصحار : ففى حديث لعلى رضى الله عنه « فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك » أى كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش . .

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لَمْ تَهِجْهَا بَنانُهُ ... وَأَسْمَرُ عُرْيَانٌ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ(١)

نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ... وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدْوُهُ حِينَ يُقْطَعُ(٢)

يَمُجُّ ظَلاماً فى نَهَارٍ لِسَانُهُ ... وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ(٣)

ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبَةً ... وَأَعْصَى لِمَوْلاَهُ وَذَا مِنْهُ اطْوَعُ(٤)

فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقْ تَجِدْ كُلَّ لَفْظَةٍ ... أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ(٥)

(١) خبت النار : سكن لهبها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : للينه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قلمه وأنامله لا بد أن تنطفئ ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التى يشبها هو فإنها لا تنطفىء لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف : دقيق، ويعدو : يجرى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل . يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن المشى — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يمضى فى الكتابة ويحسن به الخط . ومن قولهم : القلم أنف الضمير ، إذا رعف : كشف أسراره ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : المداد ، وبالنهار : القرطاس ، وبلسانه طرفه المحدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظا ، وهو من قول أبى تمام :

أَحَدُّ اللفظِ يَنطِقُ عن سِوَاه ... فيُفهِمُ وَهْوَ لَيْس بِذى سماعِ

(٤) ذباب السيف : طرفه المحدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضريبة : اسم للمضروب ، كالرمية للمرمى ، وضريبة : تمييز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينجو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم ـ وهو المكتوب بقتله ـ فإنه لا ينجو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومى .

لعَمْرُكَ ما السيف سيفُ الكمِي بأنفذَ منْ قلم الكاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة ـ وهى الكمال فى الفصاحة ـ والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .



بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْهَا سَحَابَةٌ
لمَا فَاتَهَا فى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مَوْضِعُ(١)

وَلَيْسَ كَبَحْرِ المَاءِ يَشْتَقُّ قَعْرَهُ
إلَى حَيْثُ يَفْنَى المَاءَ حُوتٌ وَضِفْدَعُ(٢)

أَبَحْرٌ يَضُرُّ المُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ زُعَاقٌ كَبَحْرٍ لاَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ(٣)

يَتِيهُ الدَّقِيقُ الفِكْرِ فى بُعْدِ غَوْرِهِ وَيَغْرَقُ فى تَيَّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ(٤)

---

(١) يقول : إن هذا القلم الموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه فى عموم النفع لعمت المشرق والمغرب بالمطر ، وقال ابن الرومى :

خِرْقٌ يَعُمّ وَلا يَخصُّ بِفَضْلِهِ كَالغَيْثِ فى الإطباق كل مكانِ

[الخرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس: ضمير يعود إلى الجواد ــ فى البيت السابق ــ ويشتق : يشق ، وحوت فاعل يشتق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذى يغوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهيا إلى قعره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعنى أن جوده لاينقطع ، وقال ابن القطاع قوله: يفنى الماء ، هى بنصب الماء لا برفعها: أى يتخذه فناء ؛ يقال فنيت المكان وبالمكان: إذا أقمت به . ويفنى : فالفعلان ــ يشتق ويفنى ــ للحوت . والضفدع .

(٣) المعتفى : السائل . عفاه واعتفاه : أتاه سائلا ؛ والزعاق : المر. يريد أن يفضل الممدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذى يضر من ورده بالغرق ، وهو مع ذلك من الطعم لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم . فقوله: وينفع ، معطوف على «لا يضر» وقد نقد ابن جنى البيت قائلا: إن المعروف عندهم أن ينسب الممدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :

ولكن فَتَى الفِتيان مَنْ رَاح واغتدَى لضَرِّ عَـدوٍّ أو لنفعِ صـديق

وقالوا :

إذا أنت لم تنفـع فضُرّ فإنما يُرَجَّى الفتَى كيما يَضُرُّ ويَنفعُ

ولكن فاته أن المتنبى أراد كبحر لايضر المعتفين ، فلا ينافى ذلك أنه يضر الأعداء .

(٤) الغور : المنتهى والقعر ؛ وضميره : للبحر: والتيار : الموج . والمصقع : الفصيح البليغ ، لأنه يأخذ فى كل صقع من القول : والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذى يدق يدق فكره وخاطره حين يفكر . يقول : إن الممدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد



أَلاَ أَيُّهَا الْقَيْلُ الْمُقِيمُ بِمَنْبِجٍ ... وَهِمَّتُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ تُوضِـعُ(١)

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ ... وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ(٢)

وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا

عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ(٣)

إلى قصره فيتيه فى صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبرى : الرواية الصحيحة فى الدقيق : بلام التعريف ، وهو حسن فى الإضافة . كالجميل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق: نعت لمحذوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ، وهو نعت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جعله نعتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق من الأفكار : والأول أبلغ فى المعنى .

(١) القيل — فى الأصل — الملك من ملوك حمير : ومنبج : بلد بالشام : والسماكان : نجمان ، وهما السماك الرامح والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ، من أوضعت الناقة : إذا أسرعت وهذا من قول العطوى :

إن كنت أصبحت لابساً سَمَلا ... فهمتى فوق هامة الملكِ

وللتنوخى :

وأنفس مسكنها ما بيننا ... وهمها فوق السماكِ والسُّهى

(٢) ظلعت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أنى مع جودة خاطرى وبلاغة كلامى أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنونى معاليك فلا أدركها لوفرتها ؟ ! .

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للممدوح والثوب . يقول : أليس عجيبا أن صدرك على أنه أوسع من الأرض ـ قد اشتمل عليك ثوب وهو — الصدر — فيك وفى الثوب قد اشتملتما عليه . ومثله لابن الرومى :

كضمير الفؤاد يلتهمُ الدنيا وتحويه دِفّتا حيزومِ

ولأبى تمام :

ورحب صدرٍ لو انّ الأرضَ واسعةٌ

كوسعِهِ لم تضِق عن أهلها بلدُ



وَقَلْبُكَ فى الدُّنيــا وَلَوْ دَخَــلَتْ بِنا
وَبالْجِنِّ فيــهِ ما دَرَتْ كَيفَ تَرْجِـعُ(١)

أَلاَ كُلُّ سَمْحٍ غَيْرَكَ الْيَوْمَ باطِلٌ وَكُلُّ مَديحٍ فى سِوَاكَ مُضَيَّعُ(٢)

* * *

وقال فى صباه على لسان من سأله ذلك :

شَوْقِى إِلَيْكَ نَفَى لَذِيذَ هُجُــوعِى فَارَقْتَنِى فَأَقَامَ بَيْنَ ضُــلُوعِى(٣)

أَوَ مَا وَجَدْتُمْ فى الصَّرَاةِ مُلُوحَــةً مِمَّا أُرَقْرِقُ فى الْفُرَاتِ دُمُوعِى(٤)

مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِداً حَتَّى اغْتَدَى أَسَفِى عَلَى التَّوْدِيعِ(٥)

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْــلَتِى فَكَأَنَّمَا أَتْبَعْتُهُ الأَنفَاسَ لِلتَّشْــيِيعِ(٦)

* * *

(١) يقول : أو ليس عجيبا أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع ؟!

(٢) النسمح : الذى يسمح بماله . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول ابن الرومى :

وكلُّ مديحٍ لم يكن فى ابن صاعِدٍ ولا فى أبيه صاعِدٍ فهْوَ هابِطُ

وقوله غيرك : هو منصوب ، لأنه تقدم على المستثنى ، كقول الكميت :

فما لِىَ إلا آلَ أحمدَ شيعَةٌ وما لِىَ إلا مذهبَ الحق مذهبُ

(٣) الهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصراة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب فى دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبه على جانب الصراة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله مما أرقرق — مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعم ملوحة من دموعى فى مائكم لبكائى فى الفرات ؟ وهم يقولون: إن دمع الحزن ملح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقتنى فإنى أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه ، لأنى لقيتك عند الوداع ، فبودى أن أودعك لألقاك . وقال ابن جنى : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصحبه من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عنى بارتحالى عنكم ، فكأن أنفاسى

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

مُلِثَّ الْقَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعَا ... وَإِلاَّ فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا[(١)]

أُسَائِلُهَا عَنِ الْمُتَدَيِّرِيهَا ... فَلاَ تَدْرِى وَلاَ تُذْرِى دُمُوعَا[(٢)]

لَحَاهَا اللهُ إِلاَّ مَاضِيَيْهَا ... زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدَ الشَّمُوعَا[(٣)]

تبعت العزاء مشيعة له ، فهى صاعدة متصلة دائمة . قال ابن جنى : وقال برحلق أى مع ارتحالى . كما تقول سرته بمسيرك : أى معك — أى فكما لا ترجع إلى أنفاسى لا يرجع إلى صبرى . فمعناه : ارتحل الصبر عنى بارتحالكم .

(١) الملث : الدائم المقيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تمييز : أى من ربوع . والنقيع والمنقع : المربى . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع أى لا تسقها — وإن لا تعطشها فاسقها السم النقيع فى الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تبك من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أبا الطيب أحد فى الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنبا :

سُقِيتِ دَمَ الْحَيَّاتِ ما بالُ زائرٍ ... يُلِم فيُعْطَى نائلا أن يكلما

والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلا ضنَّ بالسلام ... سُقيتَ صَوباً من الغمام

ما ترك الْمُزن منك إلا ... ما ترك السقم من عِظامى

(٢) للتديرها : أى المتخذها داراً . وتذرى دموعا . أى تلقيها — من إذراء الحب للزرع . يريد تعليل ما فى البيت السابق . يقول: إنما طلبت إلى السحاب أن يعطشها أو يسقيها السم النقيع لأنى أسائلها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدرى ذلك ولا تجيب ولا تساعدنى على البكاء .

(٣) لحاه — فى الأصل — قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل فى الدعاء على الشىء : أى لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والخود — بفتح الخاء — الجارية الناعمة ، وجمعها خود — بضم الخاء — والشموع : اللعوب الضحوك . قال الواحدى : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والخود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتماله عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الخود . قال ابن وكيع : ماضياها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحترى :

مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَــــةٌ رَدَاحٌ ... يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا(١)

تُرَفِّعُ ثَوْبَهَا الأَرْدَافُ عَنْهَا ... فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوعَا(٢)

إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجاً ... لَهُ لَوْلاَ سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا(٣)

فإذا ما السحاب كان رُكاماً ... فسقَى بالرباب دار الرباب

(١) امرأة رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح : ضخم الألية ، ودوحة رداح : عظيمة : وجفنة رداح عظيمة قال أمية بن أبى الصلت :

إلى رُدُح من الشيزَى مِلاَء ... لبابَ البر يُلبَكُ بالشِّهادِ(١)

وكتيبة رداح : ضخمة ململة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وأدنيتنى حتى إذا ما ملكتِنى ... بقولٍ يحل العُصْمَ سهل الأباطح(٢)

وقال أيضاً :

بعَينين نجلاوين لَوْ رَقرقتهما ... لِنَوْء الثريا لاستهل سَحابُها

وقال ابن دريد فى مقصورته :

لو ناجَتِ الأعْصَمَ لانحط لها ... طوْعَ القيادِ من شماريخ الذُّرا

(٢) أراد بالوشاحين : قلادتين تتوشح بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أردافها عظيمة شاخصة عن بدنها ترفع ثوبها وتمنعه عن أن يلاصق جسدها حتى يكون بعيداً عما توشحت به من القلائد : وهذا من قول بعض الكلابيين :

أبَتِ الغلائلُ أن تمسَّ إذا مشت ... منها البطونَ وأن تمسّ ظهورَها

(٣) ماست : مشت متبخترة . والضمير فى له : للثوب . ونزوعا : صفة لارتجاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان ينزعان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها فى الكمين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

---

(١) يقال للجفان التى تسوى من شجرة الشيزى : شيزى . قال الجوهرى : الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع .

(٢) العصم : جمع الأعصم ، وهو الوعل .

تَأَلَّمُ دَرْزَهُ وَالدَّرْزُ لَيْنٌ … كما تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّنِيعا[1]

ذِرَاعَاهَا عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا … يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعا[2]

كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ … يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلوعا[3]

لولا التمنطق والســوارُ معاً … والحجل والدملوجُ فى العَضُدِ

لتزايلت مِنْ كل ناحيــةٍ … لــكن جُعِلنَ لها عَلَى عَمْــدِ

(١) الدرز : موضع الحياطة من الثوب : والعضب : السيف ، والصنيع المحكم : الصقال والصنعة. يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الحياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف . يقول : إن للدرز فى بدنها تأثيراً كتأثير السيف ، فقوله تألم — بحذف إحدى التاءين — أى تتألم ، والتألم : كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله أو منه ، وعداه ههنا : ضرورة . ومما يستظرف فى هذا الباب ما رووا أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتنى أنك تتزوج بى أسلمت إليك المفاتيح ، فعاهدها على ذلك ، فسكر أبوها ليلة ونام ، فدفعت المفاتيح إلى سابور . فأخذ المدينة وتزوج بها ، فبينا هى معه ذات ليلة على فراش الحرير تألمت وتوجعت وقلقت ، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعها ، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك ، فقال لها : ما كان يغذيك به أبوك ؟ فقالت له : لب البر بالعسل والخمر ، فقال : وكان جزاؤه منك ما جازيته ! فأخذها وشد ضفائرها إلى أذناب الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعتها أربا أربا .

(٢) يقول : إن دملجيها يضيقان عن ذراعيها ، فهما ممتلئان بهما يكادان لذلك يفصمانهما ويكسرانهما، وإذا ضاجعها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه ، لاهى .

(٣) شبه النقاب على وجهها : بالغيم الرقيق ، ووجهها : بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضىء الغيم الرقيق بضوء البدر . فقوله يضىء : لازم ، لا يتعدى ؛ والبدر : مفعول أول لمنعه ؛ والطلوع : مفعول ثان . وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن الدمينة ، قال :

مُبرقعةٌ كالشمسِ تحتَ سحابة … وكالبدرِ فى جنح مِنَ الليلِ مُظلِمِ

وقال بشار :

بدا لك ضوءُ ما احتجبت عليه … بدوَّ الشــمس من خَلَل الغمام

أقولُ لها اكشفي ضُرِّي وَقَوْلِي ... بأَكْثَرَ مِنْ تَدَلُّلِها خُضُوعا[١]
أخِفْتِ اللهَ في إحْيــاءِ نَفْسٍ ... مَــتَى عُصِيَ الإلَهُ بأنْ أُطِيعا[٢]
غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهاماً ... وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعا[٣]
أُحِبُّكِ أوْ يَقُولُوا جَــرَّ نَمْلٌ ... ثَبِيرًا وَابْنُ إبْرَاهِــيمَ رِيعا[٤]
بَعِيدُ الصِّــيتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا ... يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعا[٥]
يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ ... كَأَنَّ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعا[٦]

(١) قوله وقولى الخ ؛ أى أن خضوعى لها فى قولى هذا أكثر من تدللها على كثرته فقولى : مبتدأ . وبأكثر : خبر وخضوعا : تميز .

(٢) يقول . إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله ، وليس مما يخـــاف منه : يعنى أنك إذا واصلتنى كنت كأنك قـــد أحييتنى ، وإحياء النفس طاعة لله ، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل :

ما حرامٌ إحياء نفسٍ ولـكن ... قتل نَفسٍ بغيرِ نفسٍ حَرامُ

(٣) الخلو : الخالى من الهوى . والمستهام : الذى يصيره الهوى هائما ذاهب اللب . والخليع : الذى خلع العذار وترك الحياء وتهتك فى الهوى ، قال ابن وكيع ، لوقال:

غدا بِكِ كلُّ خِلو فى اشتغال ... وأصبحَ كل ذى نسكٍ خليعا

لـكان أحسن .

(٤) أو يقولوا : أى إلى أن يقولوا ، فحذف أن وأعملها ، وثبير : جبل بالحجاز معروف . وريع : أخيف . وابن إبراهيم : هو الممدوح . علق زول حبه بمـالا يمكن وجوده . يقول : لا أزال أحبك ، لأن الجبل لا يجره النمل ، والممدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء . وهذا من حسن التخلص .

(٥) الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا : جمع سرية ، الطائفة من الجيش . يقول : إنه كثير الغارات ، سراياه مبثوثة فى الآفاق ، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفا ورعباً .

(٦) الدهى والدهاء : النكر وجودة الرأى . والخشوع : الاستكانة والذل . وخشوعا ؛ اسم كان . واسم ليس : ضمير الخشوع . والجملة : اعتراض . يقول : يخفى مكره ودهاءه بغض الطرف كأن به خشوعا ، وليس به ذلك الخشوع ، ولله قول ابن الرومى فى هذا المعنى :



إِذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِى يَدَيْهِ ... فَقَدْكَ سَأَلْتَ عَنْ سِرٍّ مُذِيعَا(١)

قَبُولُكَ مِنَّهُ مَنٌّ عَلَيْهِ ... وَإِلَّا يَبْتَدِىء يَرَهُ فَظِيعَا(٢)

لِهُونِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا ... وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعَا(٣)

إِذَا ضَرَبَ الأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ ... فَمَا لِكَرَامَةٍ مَدَّ النُّطُوعَا(٤)

فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا ... وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيعَا(٥)

ساهٍ وما تُتَّـقى فى رأْىِ سَقْطتهُ ... داهٍ وما يَنطوِى منه على رِيَبِ

فدَهْيُـه للدواهى الرُّبْدِ يَدْمَغُهَا ... وسهوهُ عن عيوب الناس والغِيَبِ

(١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيعا ـ أى مفشيا ـ مفعول سألت يقول : إذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذياع للأسرار إذا سألته عن سر أفشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يضن به لأريحيته .

(٢) المن : النعمة . يقول : لأريحيته واستلذاذه العطاء يعد قبولك عطاءه منة ـ نعمة ـ مننت بها عليه ، وإن لم يبتدىء بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً قبيحاً . ومثله لأبى تمام :

يُعطِى وَيشْكُر مَنْ يأتيه يَسأله ... فشكره عِوَضٌ وماله هَدَر

(٣) قالوا : إن الممدوح كان قد حمل إليه مال جبي ، فأمر أن يفرش له أديم ـ جلد ـ ويطرح عليه فاعتذر له المتنبى وقال: إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه ـ أى هوانه ـ لأنه يريد أن يفرقه على القصاد والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من الضياع ويدخره فى خزائنه ، ولكن ليفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالى ، وهذا قريب من قول على بن الجهم :

ولا يَجمعُ الأموال إلا لبذلهـا ... كما لا يساق الهَدْىُ إلا إلى النحر

(٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذى يبسط تحت من يراد قتله . يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليصان المجلس عن تلطيخه بالدم ، فكذلك بسطه النطع ـ الجلد ـ للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما لتفريقه وإتلافه .

(٥) القريع ـ فى الأصل ـ الفحل الكريم ؛ سمى بذلك لأنه يقرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنَصْلٍ كَفَى الصَّمْصَامَةُ التَّعَبَ القَطِيعَا(١)

عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءٍ مُبَارِزَهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا(٢)

عَلِيٌّ قَاتِلُ البَطَلَ المُفَدَّى وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرَدِ النَّجِيعَا(٣)

إِذَا اعْوَجَّ القَنَا فِى حَامِلِيهِ وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا(٤)

وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الأَكْبَادُ مِنْهُ فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا(٥)

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية فى كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :

حَذَارِ مِن أَسَدٍ ضِرغَامَةٍ شَرِسٍ لا يُولِغ السيفَ إلاَّ هامَةَ البطل

وبيت المتنبي أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذى لا يثنى ، والقطيع : السوط الذى يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه فى التأديب ، فأغنى السيف السوط عن التعب .

(٢) يقول : إن علياً — وهو اسم الممدوح — لا يمنع أحداً يأتى لمبارزته فى الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلا أو أسيراً

(٣) المفدى : الذى يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما يرون من شجاعته وشدة بأسه ، والزرد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطرى . يقول : يسلب البطل المفدى درعه ويكسوه بدله دما ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعا مكان الدرع .

(٤) جواب إذا : قوله الآتى خذ . واعوج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوج والتوى . وقوله فى حامليه : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبي : كنت قلت :

* وَأَشْبَهَ فِى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :

فى مأزقٍ ضَنكٍ تَخَالُ بِهِ القنا بينَ الضُّلوعِ إذا انْحَنَينَ ضُلُوعَا

(٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع

فَحِدْ فى مُلْتَــقَى ٱلْخَيْلَيْنِ عَنْهُ   وَإِنْ كُنْتَ ٱلْخُبَعْثِنَةَ الشِّجِيعَا[١]

إنِ ٱسْتَجْرَأْتَ تَرْمُقُهُ بَعِيداً   فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئاً مَا ٱسْتُطِيعَا[٢]

وَإِنْ مَارَيْتَنِى فَارْكَبْ حِصَانًا   وَمَثِّلْهُ تَخِرَّ لَهُ صَرِيعَا[٣]

غَمَــامٌ رُبَّمَا مَطَرَ ٱنْتِقَامَاً   فَأَقْحَطَ وَدْقُهُ ٱلْبَلَدَ ٱلْمَرِيعَا[٤]

رَآنِى بَعْدَ مَا قَطَعَ ٱلْمَطَايَا   تَيَمُّمُهُ وَقَطَّعَتِ ٱلْقُطُوعَا[٥]

يقول : واندقت الرماح ـ انكسرت ـ وتصدعت فى الأكباد لشدة الطعن فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب : إذ اعوج القنا ، والتقدير : إذا اعوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه : لحد عنه ، والخبعثنة : من أسماء الأسد ، ويقال للنمر ـ والشجيع : الشجاع . يقول : إذا كان كذلك والتقى الجمعان لحد ـ أى مل وتباعد عنه ـ وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد ، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جنى : استجرأ الرجل بمعنى جرؤ ، أى صار جريئاً ، وترمقه أى أن ترمقه ، لحذف ورفع الفعل . يقول : إن قدرت على النظر إليه فى الحرب من بعيد فقد قدرت على شىء عظيم لم يقدر عليه أحد ، وهذا من قول أبى تمام :

أمّا إذا عشتَ يوماً بعد رؤيته   فاذهب فإنك أنت الفارس النجِدُ

(٣) يقول : إن جادلتنى ولا جحتنى فى قولى هذا فاركب فرساً وصوره فى نفسك كأنك تحاربه ، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه .

(٤) الودق : المطر ؛ والمريع المرع : أى المخصب . يقول : هو غمام يمطر النعم فيحيى بها البلاد ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار ، كذلك هو ربما أمطر نقمة على الأعداء ، فصير مطره البلد المريع قحطا مجدبا لما يلم به من الدمار .

(٥) القطوع : جمع القطع ، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطى كتفى البعير . يقول : رآنى بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه — أى قصدى إياه — مطاياى — إبلى — أى أنضاها وأعجزها عن السير ، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس : أى أبلتها بكثرة السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِى غَدِيراً وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنَتِى رَبِيعاً[1]
وَجَاوَدَنِى بِأَنْ يَعْطِى وَأَحْوِى فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخْذِى سَرِيعاً[2]
أَمُنْسِىَّ السُّكُونَ وَحَضْرَمَوْتاً وَوَالِدَتِى وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيعاً[3]

---

(١) الغدير : القطعة من السيل يغادرها المطر . يقول : أعطانى حتى ملأنى بالعطاء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار . وقد نحا فى هذا منحى ابن الرومى فى قوله .

فَضيفه فى ربيعٍ طُولَ مُدّتِهِ وَجارهُ كلَّ حينٍ مِنْه فى رَجَبِ

وابن هفان فى قوله .

لِرَبيع الزمان فى الحول وقتٌ وَابْنُ يَحيى فِى كلِّ وَقْتٍ رَبِيعُ

وكذلك البحترى :

فَكم لبستُ الخفضَ فى ظِلّه عُمْرِى شَبابٌ وَزمانِى رَبِيع

(٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما فى قوله :

* قَبولكَ مَنّهُ مَنٌّ عليه *

يقول : جاودنى ، أى غالبنى فى الجود ، فكان يجود على بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبنى ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينيه لتوافره حتى طفح عطاؤه على أخذى فأغرقه : أى كان فى الإعطاء أسرع منى فى الأخذ .

(٣) هذه أسماء أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألهاه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحترى :

جَفَوْتُ الشامَ مُرتَبَعِى وَأُنسِى وَعَلْوَةَ خَلْوَتِى وَهَوَى فؤادِى
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذهَلَنِى حَبِيبِى وأَكْسَبَنِى سُلُوًّا عن بلادِى

ومثله للراعى :

رجاؤكَ أنسانى تذكُّرَ إخوتى ومالُك أنسانِى بوَهْبِينَ مَالِيا[1]

---

(١) وهبين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .



قدْ اُستقصيْتَ فى سَلْبِ الأعَادِى … فرُدَّ لهمْ مِنَ السَّلَبِ الْهجُوعَا(١)

إذَا ما لمْ تسِرْ جيْشاً إليهمْ … أسرْتَ إلى قلوبهِم الْهلُوعَا(٢)

رَضُوا بِكَ كالرِّضَا بالشَّيْبِ قسْراً … وقدْ وخطَ النَّوَاصِىَ والفرُوعَا(٣)

فلاَ عزَلٌ وأنتَ بِلاَ سِلاَحٍ … لِحَاظُكَ ما تكونُ به مَنيعَا(٤)

لوِ اسْتبْدلْتَ ذِهْنكَ مِنْ حُسَامٍ … قدَدْتَ بهِ المَغافِرَ والدُّرُوعَا(٥)

---

(١) استقصى فى الأمر : بالغ ؛ والسلب الأول : ــ بسكون اللام ــ مصدر ؛والثانى ــ بفتحها ــ الشىء المسلوب ؛ والهجوع : النوم . يقول : بالغت فى سلب الأعداء فسلبتهم كل شىء حتى النوم ، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك .

(٢) الهلوع . الجزع والخوف الشديد . يقول : إذا لم تغزهم بجيشك غزوتهم بالخوف ، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبى تمام :

لم يَغزُ قوما ولم يَنهَدَ إلى بَلدِ … إلا تَقدَّمهُ جيشٌ مِنَ الرُّعُبِ

(٣) وخط الشيب الشعر: خالطه؛والنواصى :جمع ناصية: مقدم الرأس ؛ والفروع : جمع فرع : الشعر . يقول : إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه .

(٤) العزل : مصدر الأعزل ، وهو الذى لا سلاح معه ؛ واللحاظ ــ بفتح اللام وبكسرها ــ مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة : فهو منيع . والضمير فى به : يعود إلى ما : أى لحاظك الشىء الذى تكون به منيعا . يقول : إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح ، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلته هيبة لك ، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا . وفى مثل هذا المعنى يقول الآخر :

لحظَاتُ طَرْفِكَ فى الوَغى … تُغنيكَ عن سَلِّ السيوفِ

وعَزيمُ رأيكَ فى النُّهَى … يَكفيكَ عاقبةَ الصروفِ

وسيولُ كفِّكَ فى الورَى … بَحرٌ يَفيضُ على الضعيف

(٥) المغافر : جمع مغفر : زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس. يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء .

لَوِ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعَا[(١)]
سَمَوْتَ بِهِمَّةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو فَمَا تُلْفَى بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعَا[(٢)]
وَهَبْكَ سَمَحْتَ حَتَّى لاَ جَوَادٌ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لاَ رَفِيعَا[(٣)]

---

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكت من فيها جميعا .

(٢) تلفى : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطابا للممدوح : أى كلما سمت همتك ازددت علوا ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : سموت بهمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبدا فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك محا اسم الجواد عن الناس ، فكيف محا علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف — فى رفيعا — ليس بدلا عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

﴿ تم — بحمد الله — الجزء الثانى ؛ ويليه — إن شاء الله — الجزء الثالث ﴾

فهرس

قوافي الجزء الثاني من ديوان المتنبي





فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى

تابع قافية الدال

مطلع القصيدة	صفحة
غاضت أنامله وهن بحور . . . سعير	٢٣٥
ألا ل إبراهيم بعد محمد . . . وزفير	٢٣٨
مرتك ابن إبراهيم صافية الخمر . . . السكر	٢٣٩
أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة . . . بقادر	٢٤٠
نال الذى نلت منه منى . . . الحور	٢٤١
وجارية شعرها شطرها . . . أمرها	٢٤٢
إن الأمير أدام الله دولته . . . مضر	٢٤٣
زعمت أنك تنفى الظن عن أدبى . . . مقدارا	٢٤٤
برجاء جودك يطرد الفقر . . . العمر	٢٤٤
لا تنكر رحيلى عنك فى عجل . . . مختار	٢٤٥
عذيرى من عذارى من أمور . . . الخدور	٢٤٥
ووقت وفى بالدهر لى عند واحد . . . كثيراً	٢٤٩
أنشر الكباء ووجه الأمير . . . الحور	٢٤٩
لا تلومن اليهودى على . . . فلا ينكرها	٢٥٠
إنما أجفظ المديح بعينى . . . فى الأمير	٢٥٠
ترك مدحيك كالهجاء لنفسى . . . الكثير	٢٥١
بسيطة مهلا سقيت القطارا . . . حيارى	٢٥٢
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر . . . الصبر	٢٥٢
باد هواك صبرت أم لم تصبرا . . جرى	٢٦٤
قافية الزاى	
كفرندى فرند سيفى الجراز . . . للبراز	٢٨١
قافيـــة السين	
ألا إذن فما أذكرت ناس . . . قاس	٢٩٤
أظبية الوحش لولا ظبية الأنس . . . تعس	٢٩٤
ألذ من المدام الخندريس . . . الكئوس	٣٠٠
هذى برزت لنا فهجت رسيساً . . . نسيساً	٣٠١
يقل له القيام على الرءوس . . . النفوس	٣١١



مطلع القصيدة	صفحة